

الإمراح محدّ برّ بحبر للوقة ب

سَّرَح العَلَّامَةَ أَبِي المِعَالِي بِحَدِّمُودَ شَكْرِي الأَلُوسِيِّ ١٢٧٣ - ١٣٤٣ ع

> درَّيَسَهُ وحَقَقه و فَي فُوسِفْ بِه مُحَمَّرُ لِلسَّعِيْرِ الاُسْتَكَادُ الْسَاكِ لِيُسَمِّمُ لِعَقَيْمَةً وَالْدَاهِبِ الْعَاصَةَ بكلية أُصُولِ الِّذِيثِ بالتَهَاضَة بكلية أُصُولِ الِّذِيثِ بالتَهَاضَة

حُقُوقُ ٱلطَّبِعِ وَٱلتَّصُويْرِ مِحُفُوطَةً الطَّبْعَةُ الأولِى ١٤٢٥ه - ٢٠٠٤م حُقُوقُ ٱلطَّبِعُ وَٱلطَّصُويْرِ عَجَفُوطَةُ الطَّبِعَ الطَّبِعَةُ الأولى الطَّبْعَةُ الأولى ١٤٢٥ مر

بِنْ اللَّهِ ٱلدَّخْنِ ٱلرَّحِيَ لِهِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد: فهذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب المبارك ، وقد حرصت على تنقيحها وتلافي ما وقع في الطبعة الأولى من الأخطاء التي لم تكن مقصودة.

ومن الطرائف أن أحد العابثين بالكتب وهو المدعو علي مصطفى خلوف قام بالسطو على الكتاب في طبعته الأولى ، وزاد عليه أشياء يسيرة ، وحرَّف في الكتاب ، ونقل الأخطاء كما هي ، ولم يتورع عن العبث به وإفساده .

وقد قام الأخ الشيخ عبد الرحمن العسكر بنقده في أحد أعداد جريدة «الجزيرة» وهو العدد ذو الرقم ١٤٢٣/٦ الصادر يوم الخميس ٢٩ / ٦/ ١٤٢٣ فلله الأمر من قبل ومن بعد.

والله المستعان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه القدير يوسف بن محمد السعيد عصر الجمعة ٢٦/٤/٤/١٤٢٤ الرياض - حرسها الله تعالى



مقدمة التحقيق

إِنَّ الحمد للهِ ، نَحمَدُهُ ، ونَسْتَعينُهُ ، ونَسْتَغفِرُهُ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئاتِ أعمالِنا ، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادي لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إللهَ إلا اللهُ وحدَه لا شَريكَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورسولُهُ.

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ عَ وَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَٱنتُم تُسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَذِيرًا وَبِسَآةً وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآة لُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيلُا ﴿ يُصَلِحَ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَمُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أُمَّا بَعْدُ. . .

فإنَّ أصدق الحديثِ كتابُ اللهِ ، وخَيْرَ الهدي هَديُ مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ، وضَيْرَ الهامِ اللهِ ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ .

هذا ، وإنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ بَعَثَ نَبيَّهُ محمَّداً ﷺ وقد مَقَتَ ـ جَلَّ جلالُه ـ

⁽۱) آل عمران: (۱۰۲).

⁽Y) النساء: (۱).

⁽٣) الأحزاب: (٧٠ ـ ٧١).

أهلَ الأرضِ عَرَبَهم وعَجَمَهم إلا بقايا من أهلِ الكتابِ ، فَفَتَحَ به أَعْيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وَقُلُوباً غُلْفاً ، فَحَصَلَ ببركةِ نُبُوَّتِهِ الخيرُ العظيمُ.

وكانَ النَّاسُ إذْ بعِثُ فِيهِمُ النَّبِيُّ عَلَيْ قَدَ حَادُوا عن الصِّراطِ المستقيمِ ، وسَلَكُوا طُرُقَ الشَّياطينِ ، فَكَثُرَ فيهم الفسادُ والشَّرُ ، فكانوا أحوجَ ما يكونونَ إلى من يَدُلُهُم إلى ما أضَلُوا ، وهو دِينُ اللهِ ـ تعالى ـ ووحْيُهُ.

وهذا إنَّما حَصَل بِسببِ بُعْدِهم عن منهج الله _ تعالىٰ _ وشَرْعِهِ ، فأكثرُ ما جاءَ عن الله _ تعالىٰ _ قد دُرِسَ ، وما بَقيَ منه لا يُعلمُ صدقُه مِن كَذِبِهِ ، إذْ سَلَكَ فيه المُؤتَمَنونَ عَلَيه _ وهُمُ الأحبارُ _ مَسْلَكَ التَّغْييرِ والتَّبُديلِ ، فَاشْتَبَه حَقُّهُ بِباطِلِهِ.

ولمَّا بُعِثَ نبيُّ الله ﷺ كان غَايةُ همِّهِ ومُرَادِهِ العودَة بالنَّاسِ إلى الأمرِ الأوَّلِ ، وهو عبادةُ اللهِ _ تَعالى _ ونبذُ كُلِّ ما يُعارضُ ذلك ، والقضاءَ على مآثِرِ الجاهِليَّةِ ، فَجَدَّ ﷺ في ذلك واجتهدَ حَتَّى تَرَكَ النَّاسَ على البيضاءِ ليلُها كنهارِها ، لا يَزيعُ عنها إلاَّ هالِكُ ، وَأَتَمَّ اللهُ _ تعالى _ بِهِ النَّعمةَ ، وَأَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ ﴿ ٱلْيَوْمَ آكَمَلْتُ لَكُمُّ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُّ وَالْمَعْتَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَا ﴾ (١) .

وَقد حَذَّرَ ﷺ من إحياءِ سُنَنِ الجاهِلِيَّةِ ، أو التَّشَبُّهِ بأهلِها ، أو مُوافَقَتِهِم في شَيءٍ من ذلك ، فَوَقَعَ هذا مَوْقِعَه من أصحابِهِ - رَضِيَ اللهُ تعالى عنهم - ومَنْ تَبِعَهم من القرونِ المُفَضَّلَةِ.

وَلَمَّا بَعُدَ النَّاسُ من نورِ النُّبُوَّةِ ، اجتالَتْهُمُ الشَّياطينُ ، فاتَّبَعوا أهواءَ الَّذينَ مِن قَبْلِهِم ، فَدَبَّتْ إليهم أنواعٌ من البِدَع والمُحْدَثاتِ الَّتي لم تكُنْ في أَسلافِهِم حَتَّى اسْتمرَأ كثيرٌ منهم ذلكَ ، فأَنْكَروا على مَنْ أنكَرَ عليهم ،

⁽١) المائدة: (٣).

وحارَبوه ، وَغَدَتْ بَيْنَهُمُ البِدَعُ سُنناً والسُّننُ بِدَعاً ، وتَشَبَّهوا بأهلِ الجاهِلِيَّةِ الأُمِّيِّن والكِتابِيِّين ، وَوَقَعوا فيما حَذَّرَ مِنْهُ ﷺ.

وَلمَّا رَأَى عُلماءُ هذهِ الأمةِ الخاتِمَةِ ما وقع فيه المُسلمون مِن ذلك ، تَجَرَّدوا لِمُحارَبَتِهِ بِكُلِّ ما يستطيعون ، فكان مِن نتائِجِ ذلك تأليف الكتبِ المحذِّرةِ مِن الوقوعِ في ذلك ، فألِّفت في ذلك مُؤلَّفاتٌ عِدَّة ، منها ما هو خاصٌ بالتَّحذير من مُشابهةِ الكُفَّارِ.

ومِن هذهِ المؤلَّفاتِ كتابُ «المسائِلِ التي خَالفَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ ما عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ» وهو كُتيَّبٌ صغيرُ الحجمِ عظيمُ النَّفعِ ، جَمَعَ فيه مُؤلِّفُهُ الإمامُ العالِمُ الرَّبَانِيُّ شيخُ الإسلامِ أبو عبد اللهِ محمدُ بنُ عبدِ الوهّابِ - رَحمه اللهُ تَعالى - مَسَائِلَ كثيرةً خالفَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ أهلَ الجاهِليَّةِ الأمِّينَ والكِتابِيِّين.

وَلِكُونِ هذا الكِتابِ ذا أهمِّيَّةٍ كبيرةٍ ، فإنَّ العالِمَ السَّلَفيَّ أبا المَعالي محمود شكري الألوسيّ - رَحمه اللهُ تَعالَى - قد قامَ بِشرحِهِ شرحاً مُوجزاً ، استدلَّ فيه لِبعضِ مسائِلِهِ ، وَفَسَّرَ بَعضَ أُدلَّتِهِ ، وَرَبَطَ بَعْضَ مسائِلِهِ بِواقِعِهِ اللهُ يَعيشُ فِيهِ.

ولأَهمِّيَّةِ هذا الكتابِ وأصلِهِ ، رَغِبْتُ في تحقِيقِهِ ونشرِهِ ، لَعَلَّ اللهَ - تعالى ـ أَنْ يَنفَعَ بِهِ ، وأَنْ يَجْعَلَه ذُخْراً لي يومَ ألقاهُ.

وقد قَسَّمتُ العملَ في هذا الكتابِ قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الأَوَّلُ: قِسْمُ الدِّراسةِ ، وفيه فصلانِ:

الفصلُ الأُوَّلُ: التَّعريفُ بمؤلِّفَي الكتابينِ وكِتابَيْهِما ، وفيه المباحثُ الآتةُ:

المبحثُ الأوَّالُ: ترجمةٌ موجزةٌ لمؤلِّفِ الأصل.

المبحثُ الثَّاني: تَرجَمةٌ موجزةٌ للشَّارح.

المبحثُ الثَّالثُ: منهجُه في الشَّرح ، ومصادرُه.

المبحثُ الرَّابعُ: طَبعَاتُ الشَّرح ، وتَقْوِيْمُها.

المبحثُ الخامسُ: التَّعريفُ بالنُّسخةِ الخَطِّيَّةِ لِلشَّرْح.

الفصلُ الثَّاني: في الجَاهِلِيَّةِ ، وفيه المَباحثُ الآتيةُ:

المبحثُ الأَوَّلُ: تعريفُ الجاهِلِيَّة لُغَةً واصطِلاحاً.

المبحثُ الثَّاني: أنواعُ الجاهِلِيَّةِ.

المبحثُ الثَّالثُ: حُكمُ مخالفةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ.

القِسمُ الثَّاني: قِسمُ التَّحقيقِ ، وكانَ عَمَلي فيه على النَّحوِ الآتي:

ا ـ قَابَلْتُ بَيْنَ النَّسخةِ الخَطِّيَّةِ والمطبوعةِ ، واعتمدت طريقة (النَّصِّ المُختارِ) ، لِكونِ كُل واحدة منهما تُكْمِلُ الأخرى ، وأرَى أنَّ القارىءَ يَهُمُّهُ المُختارِ) ، لِكونِ كُل واحدة منهما تُكْمِلُ الأخرى ، وأرَى أنَّ القارىءَ يَهُمُّهُ سلامةُ النَّصِّ ، وخُرُوجُهُ على نحوِ ما أراده مؤلِّفهُ ، وإبقاءُ الخطأ في النَّصِّ مع الإشارةِ إليه في الحاشيةِ على نحو ما يفعلُه كثيرٌ من المُسْتَشْرِقينَ وبَعْضُ المُتأثِّرينَ بِهم - أرَى أنَّه مِمَّا يُشَتِّتُ ذِهنَ القارىء.

٢ - ضَبَطْتُ النَّصَّ بِالشكلِ ، وما كان فيه وجهان أوضحتُهُما بالشكل ،
 وكذا ما كان فيه ثلاثةُ أوجُهِ .

٣ ـ عَزُوتُ الآياتِ إلى مواضِعِها مِن كتابِ اللهِ ـ تَعالى _.

٤ - خَرَّجْتُ الأحاديثَ والآثارَ الواردَةَ ، واجْتَهَدْتُ في نقلِ أحكام أئمَّةِ هذا الشَّأنِ عليها ، خاصَّةً المُتَقَدِّمِين مِنهم ، ولم أذكرْ مِنَ المُتَأخِّرينَ سوى الشَّيخِ أحمدَ بنِ شاكرٍ - رحمه اللهُ تعالى - والشَّيخِ محمَّدٍ ناصر الدِّينِ الأَلْبانِيِّ.

- ٥ _ خرجت الأبياتَ الشِّعْرِيَّةَ من الدَّواوينِ وكُتُبِ التَّخاريجِ.
 - ٦ ـ عرَّفت بالفِرَق.
 - ٧ عَلَّقْتُ على بعضِ المواضِع الَّتي رأيتُ التَّعليقَ عَليها.
 - ٨ وَثَّقْت نُقُولاتِ المؤلِّفِ مِنَ المصادرِ الَّتِي نَقَلَ عَنْها.
- ٩ ـ قُمتُ بوضعِ فهارسَ للكتابِ ، هي: فهرسُ الآياتِ ، والأحاديثِ والآثارِ ، والأبيات ، والأعلامِ ، والفِرَقِ والجماعاتِ ، والكتبِ الواردةِ في المتن ، ومصادِرِ التَّحقيقِ ومراجِعِهِ ، والموضوعاتِ .

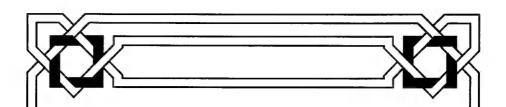
هَذا وأسألُ اللهَ _ تَعالى _ أَنْ يَنفع بهذا الكتابِ وأصلِهِ مَن أَلَّفَه، وَحَقَّقَهُ، وسعى في نَشْرِهِ، وَقَرَأهُ.

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشَكُر نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَلِحًا مَرْضَلُهُ وَأَصْدِلَحَ لِي فِي ذُرِيَّيَّ إِنِي بَنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على عبدِكَ ورسولِكَ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِهِ ، والحمد لله رَبِّ العالَمينَ.



				.*



القسم الأول

الدراسة

وفيه فصلان:

- التعريف بمؤلفي الكتابين وكتابيهما .
 - في الجاهلية.







الفصل الأول

وفيه خمسة مباحث:

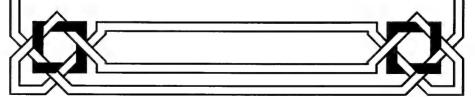
المبحث الأول: ترجمة موجزة لمؤلف الأصل.

المبحث الثاني: ترجمة موجزة للشارح.

المبحث الثالث: منهجه في الشرح ومصادره.

المبحث الرابع: طبعات الشرح وتقويمها.

المبحث الخامس: التعريف بالنسخة الخطية للشرح.



المبحث الأول ترجمة مؤلف الأصل

- هو الإمامُ العلاَّمةُ المُصْلِحُ شيخُ الإسلامِ ، ومُحيي ما انْدَرَسَ من مَعالِمِه ، أبو عبد الله محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ بنِ سُليمانَ بنِ عليِّ بنِ محمَّدِ ابنِ أحمدَ بنِ راشدِ بنِ بُرَيْدِ بنِ محمَّدِ بنِ مُشَرَّفِ التَّميميُّ .
- وُلد ـ رحمه الله تعالى ـ في بَلْدَةِ العُيَيْنَةِ من بلادِ نجدِ سنةَ خمسَ عشرةَ وَمَائةٍ وَأَلفٍ من هجرةِ المُصطفى ﷺ في بيتِ علم ودِينٍ ، فقد كان والدُه الشَّيخُ عبدُ الوهَّابِ (ت ١١٥٣) قاضيَ العُيَيْنَةِ ومُفْتِيَها ، وكان جدُّهُ الشَّيخُ سُلَيمانُ (ت ١٠٧٩) قاضيَ نجدٍ عامَّةً ومُفْتِيَها.

بَدَأ - رَحمه اللهُ تعالى - في طلبِ العِلمِ مُبَكِّراً ، فقد حَفِظَ القرآنَ قبلَ العاشِرةِ مِن عُمُرِه ، ثمَّ قَرَأ على والدِهِ مبادى الفقهِ الحَنبليِّ ، ثُمَّ استأذَنه في الخُروجِ إلى الحجِّ ، فحجَّ ، ثُمَّ قصدَ المدينةَ النبويَّةَ ، ثُمَّ عادَ إلى العُينْنَةِ ، وأكملَ القراءةَ على والدِهِ ، ثُمَّ سافَر بعدُ إلى مكَّة والمدينةِ ، وأخذَ يَتَرَدَّدُ على عُلمائِهما ، فكانَ ممن أفاد منه الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ ابنِ سيفِ النَّجديُّ الحنبليُّ نزيلُ المدينةِ النَّبويَّةِ ، والشَّيخُ محمَّد حياة السِّنديُّ (ت ١١٦٥) ، ثم عاد مرَّةً أخرى إلى العُينْنَةِ ، وقرأ فيها على والدِهِ ، وبَدَأ دعوتَه ، حَيْثُ دعا إلى التَّوحيدِ والتَّمَسُّكِ بالكتابِ والسُّنَة ، وحذَر من الشَّركِ الدِّي كان سائِداً في أعظمِ أرجاءِ البَسيطَةِ ، ثُمَّ رَحلَ إلى وحذَر من الشَّركِ الَّذي كان سائِداً في أعظمِ أرجاءِ البَسيطَةِ ، ثُمَّ رَحلَ إلى

العراقِ ، وكان يَتَرَدَّدُ فيها بَيْنَ البَصْرَةِ والزُّبيرِ ، وأَخَذَ هُناكَ عن الشَّيخِ محمَّدٍ المَجموعيِّ ، ثم لمَّا أرادَ العودةَ إلى بلادِهِ مرَّ بِبَلَدِ الأحساءِ ، ونَزَل هناك على الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللَّطيفِ الأحسائيِّ ، وأقامَ عِندَهُ يَتَلَقَّى عنه العِلْمَ ، ثُمَّ رَجع إلى نجدٍ ، ونَشِطَ في دعوتِهِ إلى اللهِ ـ تعالى ـ يَتَلَقَّى عنه العِلْمَ ، ثُمَّ رَجع إلى نجدٍ ، ونَشِطَ في سبيل اللهِ بِكُلِّ ما يملكُ ، أمِراً بالمعروفِ ، ناهياً عن المُنكرِ ، مُجاهِداً في سبيل اللهِ بِكُلِّ ما يملكُ ، فأحيا اللهُ على يَدَيْهِ سُنناً قدْ دُرِسَتْ ، وتُرِكَ العَمَلُ بِها ، وعَمَّ التَّوحيدُ أرجاء كثيرةً من العالَمِ الإسلاميِّ.

- تَتَلْمَذَ على يَدَى الشَّيخِ طلبةٌ نُجباءُ ، أصبحوا بعدُ عُلَماءَ أجلاءَ ، حَمَلوا الدَّعوةَ بعدَه ، نَهَجوا نَهْجَه ، فَنَفَعَ اللهُ _ تعالى _ بِهِم ، ومن هؤلاء: أبناؤه: الشَّيخُ عبدُ اللهِ (ت ١٢٤٣) ، والشَّيخُ حُسَينٌ (ت ١٢٢٤) ، والشَّيخُ عليُّ (ت ١٢٤٥) ، وحفيدُه الشَّيخُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ حَسَنِ والشَّيخُ عليُّ (ت ١٢٨٥) ، والشَّيخُ حمدُ بنُ ناصِر بنِ مُعَمَّر (ت ١٢٢٥) ، والشَّيخُ حمدُ بنُ ناصِر بنِ مُعَمَّر (ت ١٢٢٥) ، والشَّيخُ حمدُ العزيزِ الحُصيِّنُ (ت ١٢٣٧) .
- ألّف الإمامُ ـ رَحمه اللهُ تعالى ـ كتبا ورسائل كثيرة ، قامت جامعة الإمامِ محمّد بنِ سعودِ الإسلاميّة بجمعِ أكثرِها ، وطبعِهِ على نَفَقَتِها ، وتُوزِيعِهِ ، فكانتْ أكثرَ مِن عشرِ مُجَلَّداتٍ.

ومن هذهِ الكتبِ:

- * كتابُ التَّوحيدِ الَّذي هو حَقُّ اللهِ على العَبيدِ.
 - * مسائِلُ الجاهِليَّةِ .
 - * كشفُ الشُّبُهاتِ.
 - * الأصولُ النَّلاثةُ.
 - * مُختصرُ زادِ المعادِ.

- * مُختصرُ السّيرةِ.
- * مُختصرُ المُغني والشَّرح الكبيرِ.
- أَلَمَّ بِالشَّيخِ رَحمهُ اللهُ تعالى مرضٌ شديدٌ في أواخِرِ شهرِ شوَّال عامَ اللهَ علمَ الشَّهِ علمَ المَرَضُ حتَّى تَوفَّاه اللهُ تَعالى في أواخِرِ شهرِ ذي القعدةِ من العامِ نفسِه ، فاللهمَّ ارفعْ دَرَجَته في عِلِّيِّنْ ، واجعلُه مع الَّذينَ أنعمتَ عليهِم من النَّبيِّنَ والصِّدِيقينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحينَ .

* * *

المبحث الثاني ترجمة الشارح

هُوَ أبو المَعالي محمود شكري بنُ عبدِ اللهِ بهاءِ الدِّينِ بنِ محمّدِ بنِ أبي الثَّناءِ شِهابِ الدِّينِ بنِ عبدِ اللهِ صلاحِ الدِّينِ بنِ محمود الخطيبِ الألوسي.

- ولد ـ رحمه الله تعالى ـ في اليوم التاسع عَشَرَ من شَهْرِ رَمضانَ عامَ
 ثلاثةٍ وسَبعين ومائتينِ وألفٍ من هجرةِ النَّبيِّ ﷺ في بغدادَ مِن بِلادِ العِراقِ.
- نَشَأ ـ رحمه اللهُ تعالى ـ في بيتِ عِلم ودِينٍ ، فقد كان كثيرٌ من أسرتِهِ علماءَ وأدباءَ ، فأبوه عبدُ اللهِ (ت ١٢٩١هـ) كان عالماً ، له مؤلّفاتٌ ، وجدُّه أبو الثّناءِ محمودٌ شِهابُ الدِّينِ صاحبُ «روح المعاني» كان ـ أيضاً ـ عالِماً ، وإنْ كان عنده شيءٌ من البِدَع ، فاللهُ يُسامِحُهُ ، ومِن أولاءِ عمّهُ نُعمانُ خيرُ الدِّينِ صاحبُ «جَلاءِ العَينينِ» ، فقد كان خيراً دَيِّناً عالِماً وقُوراً.
- بَدَأُ أَبُو المعالي رحمهُ اللهُ تعالى في طلب العلم في سِنِّ مُبَكِّرَةٍ جِدّاً ، فأخذَ عن أبيهِ مبادىءَ العربيَّةِ والخَطِّ ، ثُمَّ بعدَ وفاةِ أبيهِ كَفَلَه عَمُّهُ خيرُ الدِّينِ فأخذَ عنه ، كما أَخَذَ عن مشايخِ بَلَدِهِ ، ومنهم الشَّيخُ إسماعيلُ بنُ مصطفى.
 - وبعد أنِ استوى على سُوقِهِ عَقَدَ حلقاً للعلمِ في دارهِ ينهلُ منها الطُّلابُ ، ويُفيدونَ مِنها ، كما دَرَّسَ في جامع عادلِ خاتونَ ، وجامع

- الحيْدَرِيَّةِ ، وجامع السَّيِّدِ سُلطانَ عَلي ، ومدرسةِ المرجانِ.
- أَلَّفَ أبو المعالي _ رحمه اللهُ تعالى _ مؤلَّفاتٍ كثيرةً نَفَعَ اللهُ _ تَعالى _
 بها ، ومن هذه المؤلَّفاتِ :
 - * _ غايةُ الأماني في الرَّدِّ على النَّبهانِي .
- * فتحُ المَنَّانِ ، وهو كتابٌ أتمَّ به مِنهاجَ التَّأْسيسِ في الرَّدِّ على داوُدَ ابنِ جِرْجِيسَ للشَّيخِ عبدِ اللطيفِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ حسنِ بنِ محمَّدِ بن عبدِ الوَّهَابِ رحمهم اللهُ -.
 - * صبُّ العذابِ على مَنْ سَبَّ الأصْحَابَ.
 - *- بُلوغُ الأرَبِ في معرفةِ أحوالِ العربِ.
 - * ـ تاريخُ نجدٍ .
 - * شرحُ مسائِلِ الجاهِليَّةِ ، وهو كتابُنا هذا.
 - * شرح منظومة عمود النَّسَبِ.
 - * الضَّرائرُ الشِّعْرية .
- لقد كان الشَّيخُ _ رحمه اللهُ تعالى _ على عقيدةِ السَّلَفِ أهلِ السُّنَةِ والجماعةِ ، يظهرُ ذلكَ جليّاً في مؤلَّفاتِهِ ، وخاصَّةً في «بلوغ الأماني» و «شرح مسائل الجاهلية» و «فتح المنَّانِ» ، وكان _ رحمه اللهُ تعالى _ شديداً على أهلِ البِدَع ، مُحارباً لهم ، مُتَأثِّراً بدعوةِ الشَّيخِ محمَّدِ بن عبدِ الوهَّابِ.
- تُوُفِّيَ أبو المَعالي ـ رحمه اللهُ تعالى ـ في اليومِ الرَّابعِ من شهرِ شوَّال عامَ (١٣٤٢ هـ) على أثرِ مرضٍ ألمَّ به في أواخِرِ شهرِ رمضانَ من العامِ

نفسِهِ ، نسألُ الله - تعالى - له الرَّحمة والنَّجاة مِن النَّارِ ، وجزاه على ما قدَّم لِلمُسلِمينَ خَيرَ الجزاءِ(١).

* * *

⁽۱) انظر ترجمته: «محمود شكري الألوسي ـ سيرته ودراساته اللغوية» لمحمد بهجة الأثري ، «أعلام العراق» ، لمحمد بهجة الأثري (ص ٨٦ ـ ٢٤١) ، مقدمة «المسك الأذفر» (ص ١٣ ـ ٤٥) مقدمة كتاب «صب العذاب على من سب الأصحاب» للألوسي ، والمقدمة من وضع الشيخ عبد الله البخاري (ص ٣٧ ـ ١٨٣).

المبحث الثالث منهج الشرح

لقد بَيَّنَ المؤلِّفُ _ رحمه اللهُ تعالى _ منهجه في شرحِهِ هذا الكتابَ في مُقَدِّمةِ كتابِهِ حيثُ قالَ: «. . . ولاشتمالِها على تلكَ المسائِلِ المُهمَّةِ الآخِذةِ بيدِ من تَمَسَّكَ بها إلى منازلِ الرَّحمةِ ، أحببتُ أَنْ أُعَلِّقَ عَلَيها شَرحاً يُفَصِّلُ مُحْمَلَها ، ويكْشِفُ مُعْضِلَها ، مِن غَيرِ إيجازٍ مُخِلِّ ، وَلا إطنابٍ مُمِلٍّ ، مُقتصِراً فيه عَلى أُوضَحِ الأقاويلِ ، وَمُبَيِّناً ما أوردَه من بُرهانِ ودليل».

فهذا منهجه قد أبانه بهذه السُّطور.

وقد أخلَّ _ رحمهُ اللهُ تعالى _ بِما ذكره هُنا في بعضِ المواضِع ، فتجدُهُ تارةً يُطِيلُ في بعضِ الماللةَ غيرَ معتادةٍ ، بَينما تَجِدُهُ تارةً أخرى يَذكرُ المسألةَ دونَ أن يَتكَلَّمَ فيها بشيءٍ.

والشارح ـ رحمه الله تعالى ـ لا يذكر في كثير من الأحيان المسألة بنصها ، وإنما يمزجها مع الشرح.

في تفسيره للآيات جل اعتماده على كتاب جده أبي الثناء «روح المعانى».

وفي مسائل الاعتقاد يعتمد اعتماداً كبيراً على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم. وهو تارة يصرح بالمصدر الذي نقل عنه ، وتارة لا يصرح.

كما أن الشارح _ رحمه الله تعالى _ عني كثيراً بربط هذه المسائل بما يشاهده من أهل زمانه ، مما يجعل هذا الكتاب مصدراً معتبراً لمعرفة أحوال الناس وقت الشارح.

* * *

المبحث الرابع طبعات الكتاب

لقد تمَّ طبعُ هذا الكتاب أوَّلَ مرَّةٍ عامَ ١٣٤٧ هـ بالمطبعةِ السَّلَفِيَّةِ للسَّيِّدِ مُحبِّ الدِّين الخطيبِ ـ رحمه اللهُ تعالى ـ بمصر ، أي بعدَ وفاةِ المؤلِّف ـ رحمه اللهُ تعالى ـ بأربع سنواتٍ ، واعتمدَ فيها على نسخةٍ أهداه إياها الأستاذُ محمد بهجة الأثريُّ أحدُ تلامذَةِ المُؤلِّفِ ، ثُمَّ صُوِّرَ عن هذهِ الطَّبعةِ مراتٍ كثيرةٍ .

وقد حَرص محبُّ الدِّينِ ـ رحمه اللهُ تعالى ـ على إخراجِها لِلنَّاسِ ، كي يُفيدوا منها ، فكانَ له ما أرادَ ، فأفادَ النَّاسُ من هذه الطَّبعةِ ، وانتشرتْ بَيْنَهُمْ ، فجزاهُ اللهُ عنهم خيرَ الجزاءِ .

وفي عام ١٤١٢ هـ قامتْ دارُ المجدِ للنَّشْرِ والتَّوزيعِ بالرِّياضِ بِصَفِّ حروفِ هذا الكتابِ صَفَّاً جديداً ، معتمدةً على طبعةِ الكتابِ السَّابقةِ ، بما فيها تعليقات الناشر.

الملحوظاتُ على مطبوعةِ السَّلفِيَّةِ ومطبوعةِ دار المجدِ:

إِنَّ كلَّ عملٍ بَشَري لا بُدَّ أَنْ يَلحَقَهُ شيءٌ من النَّقصِ ، وإنَّه مَعَ حِرصِ السَّيِّدِ مُحِبِّ الدِّينِ على إخراجِ الكتابِ بصورةٍ حسنةٍ ، لم تسلمْ هذه الطبعةُ من الأخطاءِ ، فمِن هذه الأخطاءِ :

١ ـ عدمُ وصفِ النُّسخةِ الخطِّيَّةِ التي اعتمدَها في إخراجِ الكتابِ.

٢ ـ عدمُ تمييزِهِ بين تعليقاتِهِ وتعليقاتِ المؤلّف ، فقد كان له ـ رحمه اللهُ تعالى ـ تعليقاتُ ، وللمؤلّفِ تعليقاتُ ، فلم يُمَيِّزْ بَيْنَهُما ، ولا يَعْرِفُ ذلك إلاَّ مَنْ وَقَفَ على المخطوطِ.

٣ ـ التَّدَخُّلُ في نصِّ المؤلِّفِ ، فقد وُضِعتْ عناوين لِلمسائلِ ليست في النُّسخةِ الخَطِّيَّةِ النَّي اعتمدَها ، فهذا مما يُدلِّلُ على أهمِّيَّةِ وصفِها ، وتصوير بعض أوراقِها في أوّل الكتابِ ، وإنْ لم تكنْ موجودةً ، فهذا تَدَخُّلُ في النَّصِّ لم يُشَرْ إليه.

¿ ـ جاء على طُرَّةِ النُّسخةِ الخطِّيَّةِ الَّتِي بَيْنَ أيدِينا ما نصُّهُ: "بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرحيم ، إلى حضرة الإمام الهمام ، إمام الأئمة ، أعني به جناب الشيخ عبد الله بن خَلَفِ بنِ دُحَيَّانَ المحترَم ، أعلى الله ـ تعالى ـ (١) آمين ، بعدَ السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدَّوام ، أُقَدِّمُ إليكَ هذا الكتاب ، وهو شرحُ مسائلِ الجاهِلِيَّة ، هَدِيَّةً إليكَ ، فالرَّجاءُ قبولُها والتَّحَفُّظُ عَليها ، لأنَّ إبراهيم أفندي نجلَ السَّيِّدِ ثابتِ الألوسي وبَهْجَة الأثريَّ أرسلاها إلى مِصرَ لأجلِ الطَّبع ، لَكِنْ بعدَ ما غيَّرا فيها وبدَّلا ، وهذهِ صُحِّحَتْ مراراً وكراراً؛ فَلِذَلِكَ أُوْصِيكَ بِحِفْظِها والسَّلامُ ، ٣ ذي القعدة ١٣٤٥ عبدُ الكريم السَّيِّد عبَّاس».

وبَعْدَ المقابَلَةِ لَم يَظْهَرْ لي سِوى ما ذَكَرْتُهُ قَبلُ ، فَلَعَلَّهُ يُشير بِهذا الكلامِ إِلَيهِ.

^{* * *}

⁽١) هنا كلمة لم أستبنها.

المبحث الخامس وصف النسخة الخطية

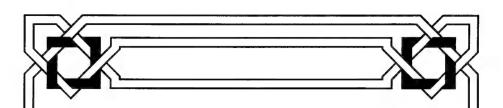
حصلت على هذه النسخة من صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ ـ وفقه الله تعالى ـ ، وهي مصورة عن مكتبة الموسوعة الفقهية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

وتتكون من خمس وأربعين لوحة ، في كل لوحة وجهان ، متوسط أسطر كل وجه عشرون سطراً ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر أربع عشرة كلمة .

وخطها جيد ، وهي مكتوبة بقلم عبد الكريم السيد عباس الشيخلي ، عام ١٣٤٤ هـ.







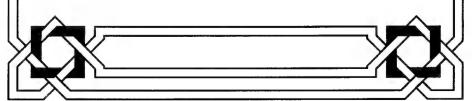
الفصل الثاني

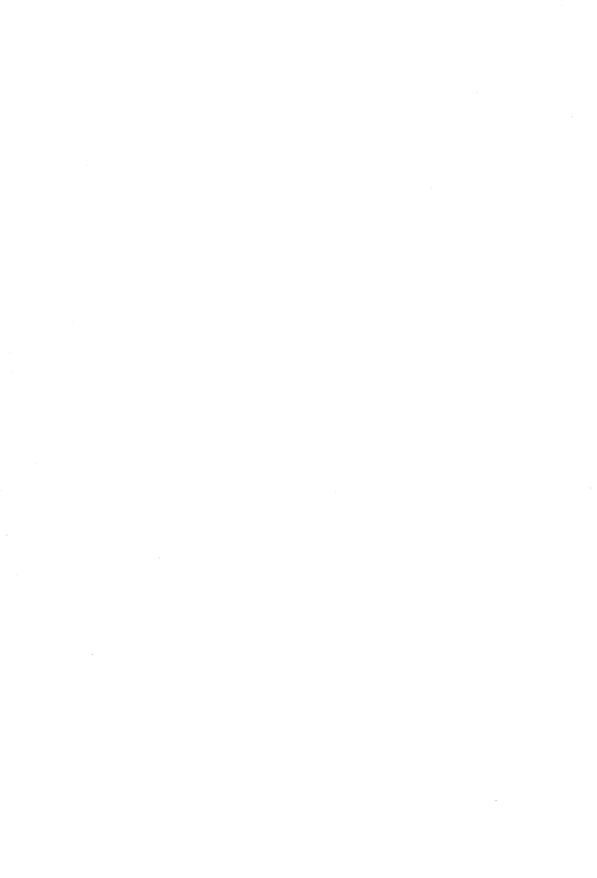
وفي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الجاهلية لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أنواع الجاهلية.

المبحث الثالث: حكم مخالفة أهل الجاهلية.





المبحث الأول تعريف الجاهلية

أُوَّلاً: التَّعريفُ اللُّغَويُّ:

الجاهِلِيَّةُ في اللَّغةِ: مصدرٌ صناعيٌّ ، مأخوذٌ من الجاهليِّ ، نسبةً إلى الجاهلِ المُشْتَقَ مِنَ الجهلِ.

والجَهْلُ خِلافُ العِلمِ ونَقِيضُهُ.

يُقال: جَهِلَ فلانٌ جَهْلاً وجَهالَةً ، وجُهِلَ عَلَيه ، وتَجاهَلَ ، واسْتَجْهَلَ.

والجمعُ منه: جُهْلٌ ، وجُهُلٌ ، وجُهَّلٌ ، وجُهَّالٌ ، وجُهَالٌ ، وجُهَلاءُ.

قالَ ـ تعالى ـ: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيآ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ (١).

ومِنه قولُهُم لِلمفازةِ الَّتي لا عَلَمَ بِها: «مَجْهَلٌ».

ويُطَلْقُ الجهلُ ويُرَادُ به الخِفَّةُ الَّتي هِي خِلافُ الطمأنينةِ ، ويُرادُ بِهِ الطَّيشُ ، ومِنه قولُ الطَّيشُ ، ومِنه قولُهُ عَمْرِو بنِ كُلْثُوم في مُعَلَّقَتِهِ:

⁽١) البقرة: (٢٧٣).

 ⁽۲) انظر: معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس: «جهل» (۱/۹۸۱) ، «تهذيب اللغة» للأزهري: «جهل» (۲/۲۰ ـ ۷۷) ، «المحكم» لابن سيده: «جهل» (۱۱۹/۶) ، «الصحاح» للجوهري: «جهل» (۶/۱۱۳۱ ـ ۱۲۲۴)، «لسان العرب» لابن منظور: «جهل» (۱۲۹/۱۱) ، «تاج العروس» للزبيدي: «جهل» (۳۱۸/۷).

ألا لا يَجْهَلَ نُ أَحَدٌ عَلَيْنَ فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلينا(١) والجهلُ ثلاثةُ أنواع:

أَحَدُها: جَهْلٌ بسيطٌ ، وهو خُلُو النَّفْسِ مِنَ العِلْم.

ثانيها: جَهْلٌ مُرَكَّبٌ ، وهو اعتِقادُ الشَّيء بِخلافِ ما هو عليه.

ثَالَثُها: فعلُ الشَّىء بخِلافِ ما حَقُّهُ أَنْ يُفْعَلَ (٢).

التَّعريفُ الاصطلاحيُّ:

اختلفتْ عِباراتُ النَّاسِ في تعريفِ الجاهِلِيَّةِ والمُرادِ مِنها ، وسأذكرُ هُنا بعضاً منها ، ثُمَّ أختمُ ذلك بالمختار .

التَّعريفُ الأوَّلُ:

قال الإمامُ النَّوَوِيُّ ـ رحمه اللهُ تعالى ـ: «المُرادُ بالجاهِلِيَّةِ ما كان في الفَترة قَبْلَ الإسلام»(٣).

ويُوخَذُ على هذا التَّعريفِ كونُهُ غيرَ جامعٍ ، وذلك أنَّ الجاهِلِيَّةَ جاءَ اطلاقُها حتَّى بَعَدَ البِعثةِ ، كما قال ابنُ عبَّاسٍ _ رضي الله تعالى عنهما _: «سَمعتُ أبي يقولُ في الجاهِلِيَّة: اسقِنا كأساً دِهاقاً» (٤) ، وابنُ عبَّاسٍ إنَّما وُلِدَ بَعَد البعثةِ (٥).

⁽۱) «ديوان عمرو بن كلثوم» (ص ۷۸) ، «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص ۳۰۰) ، «شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص ۲۸۸) ، «شرح القصائد المشهورات» لابن النحاس (۲/ ۱۲۰).

 ⁽۲) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص ١٠٢) ، «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٢٤ _ ٢٢٥).

⁽٣) «شرح صحيح مسلم» (١١٠/٢).

⁽٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» _كتاب مناقب الأنصار_ باب أيام الجاهلية (٤) (٣٣٦/٤).

⁽٥) انظر: «طبقات ابن سعد» (۲/ ٣٦٥ ـ ٣٧٢) ، «تهذيب الكمال» للمزي (٥) انظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ٣١٥ ـ ١٥٤) ، «فتخ الباري» لابن حجر (٧/ ١٨٣).

التَّعريفُ الثَّاني:

قال ابنُ الأثير _ وَتَبِعَهُ ابنُ مَنْظورٍ _: «هي _ أي الجاهِليَّةُ _ الحالُ الَّتي كانتْ عليها العربُ قَبلَ الإسلامِ ، مِنَ الجهلِ باللهِ _ سُبحانَه وتعالى _ ورسولِهِ ﷺ ، وشرائعِ الدِّينِ ، والمفاخرةِ بالأنسابِ ، والكِبرِ ، والتَّجَبُرِ ، وغيرِ ذٰلِكَ»(١).

ويُؤخَذُ على هذا التَّعريفِ:

أ- تخصيصُهُ العربَ بِذلكَ ، مَعَ أَنَّ غيرَهم مِنَ الأَمَمِ يَشْرَكُهُم فِيهِ.

ب ـ أنَّه جَعَلَ نِهايةَ هذهِ الحالِ بِظهورِ الإِسلامِ ، وقد مَرَّ قَبلَ قَليلٍ أَنَّ الجاهِليَّةَ أُطْلِقَت حَتَّى بَعدَ الإِسلام.

التَّعريفُ الثَّالثُ:

وهو للأستاذِ محمَّدِ قطب حيثُ قالَ: «هي ـ أي الجاهِليَّةُ ـ حالةٌ نفسيَّةٌ تَرفضُ الاهتداءَ بِهُدَى اللهِ ، وَوَضعٌ تنظيميُّ يرفضُ الحُكمَ بِما أنزلَ اللهُ "٢).

ويُؤخَذُ على هذا التَّعريفِ كَونُهُ غيرَ جامعٍ ؛ لأنَّه أخرجَ الحالَ الَّتي تَكونُ عليها أُمَّةٌ من الأَمَم قبلَ مَجِيْئها هُدى اللهِ.

وفيه قصر على الوضع التنظيمي الذي يرفض الحكم بما أنزل الله ، مع أن الأمر أعظم من ذلك ، فحكم الله ليس في الأمور التنظيمية فقط ، بل هو أعم من ذلك كله.

التَّعريفُ الرَّابعُ:

وهو التَّعريفُ الَّذي وضعه مَجْمَعُ اللُّغَةِ العربيَّةِ بالقاهرةِ: «الجاهِلِيَّـةُ:

⁽۱) «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٣٢) ، «لسان العرب» «جهل» (١١/ ١٣٠).

⁽٢) «جاهلية القرن العشرين» (ص ١١).

هي الحالةُ الَّتي تَكُونُ عَلَيْها الأُمَّةُ قَبْلَ أَنْ يَجِيْنَها الهُدَى وَالنَّبُوَّةُ (١٠). ويُؤخَذُ على التَّعريفِ الأوَّلِ.

التَّعريفُ الخامِسُ:

«الجاهِلِيَّةُ: هي الحالةُ التي تكونُ عليها أمَّةٌ ما قَبلَ مَجِيْتِها هُدى اللهِ ، والحَالةُ الَّتي تَمتنعُ فِيها أُمَّةٌ ما أو بعضُ أُمَّةٍ مِن الاستجابةِ لِهُدى اللهِ».

وهذا التَّعريفُ هو المُختارُ عندي ، والَّذي أراه مُناسباً لهذا المقامِ ، وذلكَ للَّاتي:

١ ـ كونُ هذا التَّعريفِ أَدْخَلَ أهلَ الفَتَراتِ ، وأَدْخَلَ مَنِ امْتَنَعَ مِنِ اتِّبَاعِ الهُدى بَعدَ إذْ جَاءه.

فَرَسولُ اللهِ ﷺ بُعِثَ فِي قَومٍ أَمِّيْنَ لا عِلمَ لهم بالكتابِ ، فهؤلاءِ يُناسِبُهُم الجُزءُ الأَوَّلُ مِن التَّعريفِ ، كما أنَّه ﷺ لِعُمومِ رِسالته بُعِثَ ـ أيضاً لِقومٍ أَهْلِ كتابٍ ، وَهُؤُلاءِ يَناسِبُهُم الجُزءُ الثَّاني ، كما أنَّ في أُمَّته ﷺ مَن يَمتنعُ مِنَ الاهتداء بِهَدْيه.

٢ ـ مُوافقةُ هَذا التَّعريفِ لِما ذَكَرَه العُلماءُ مِنْ أَقْسام الجَهْلِ.

张 柒 柒

⁽١) «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ٢٢٠).

المبحث الثاني أنواع الجاهلية

تَنَوَّعُ الجاهِلِيَّةُ أنواعاً بحسبِ اعتباراتٍ مختلفةٍ ، وإليكَ بعضَ أنواعِها: أُوَّلاً _ أنواعُها مِن حَيثُ الإِطلاقُ والتَّقييدُ:

تَنَوَّعُ الجاهِلِيَّةُ مِن حيثُ الإطلاقُ والتَّقييدُ نَوعينِ:

النَّوعُ الأُوَّلُ: جاهِلِيَّةٌ مطلَقَةٌ ، وهي الجاهِليَّةُ العامَّةُ ، وهذهِ كانت قبلَ مَبعثِ النَّبيِّ عَلِيَّةٍ ، أمَّا بَعدَ المبعثِ فلا ، وذلك لِقولِه عَلَيْةِ : «لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي قائمةٌ بأمرِ اللهِ ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهم أو خَالَفَهم حَتَّى يَأْتِيَ أمرُ اللهِ وهو ظاهرونُ على النَّاس»(١).

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةً _ رَحمه اللهُ تعالى _: «فَأَمَّا في زمانٍ مطلَقٍ ،

⁽۱) أخرجه البخاري في "صحيحه" - كتاب المناقب - باب سؤال المشركين أن يريهم النبي على آية فأراهم انشقاق القمر - (٤/ ١٨٧) ، وفي كتاب التوحيد - باب قول الله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَى وَ إِذَا آرَدَنَهُ ﴾ - (١٨٩ /٨) ، ومسلم في "صحيحه" - كتاب الإمارة - باب قوله على: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم" - (٣/ ١٥٢٤) من حديث معاوية .

وأخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة _ باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، وهم أهل العلم _ (٨/ ١٤٩)، ومسلم في «صحيحه» _ كتاب الإمارة باب _ قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى . . . » _ (٣/ ١٤٢٥) ح ١٩٢٣ من حديث المغيرة بن شعبة .

فلا جاهِلِيَّةَ بَعدَ مَبعثِ محمَّدٍ عَيَالِيُّ . . . »(١) وذَكر معنى الحديثِ السَّابقِ .

ومن هذا النَّوع قولُه _ تعالى _: ﴿ وَلَا تَبُرَّجْنِ تَبُرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَٰلَ ﴾ (٢).

وقولُ حُذيفةَ _ رضي اللهُ عنه _: «إِنَّا كُنَّا في جاهلِيَّةٍ وَشَرِّ ، فجاءَ اللهُ بِهذا الخيرِ . . . »(٣).

وعلى هذا؛ فلا يَجوزُ إطلاقُ الجاهِليَّةِ على قَرْنٍ مِنَ القُرونِ مُنْذُ بِعْثَةِ النَّبِيِّ عَلَى قَرْنٍ مِنَ القُرونِ مُنْذُ بِعْثَةِ النَّبِيِّ عَلَى الكُتَّابِ مِن هذه الإطلاقاتِ يَنبغي أَنْ يُتَفادى بِالتَّصحيح⁽³⁾.

النَّوْعُ الثَّاني: جاهِلِيَّةٌ مُقَيَّدةٌ، وهي الجاهِلِيَّةُ الَّتي تَقُومُ في بعضِ البُلدانِ، أو بِبعضِ الأشخاصِ والجَماعاتِ.

وهذا النَّوعُ يَكُونُ حَتَّى بَعدَ مَبْعَثهِ ﷺ.

ومِنْهُ قُولُه ﷺ لأبي ذَرِّ: «إِنَّكَ امرؤٌ فِيكَ جاهِلِيَّةٌ»^(٥).

ثانياً _ أنواعُها مِن حيثُ الفترةُ الزَّمَنيَّةُ:

تَتَنَوَّعُ الجاهِلِيَّةُ مِن حيثُ الفترةُ الزَّمنيةُ نوعينِ:

 [«]اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٢٧).

⁽٢) الأحزاب: (٣٣).

⁽٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" _ كتاب المناقب _ باب علامات النبوة في الإسلام (٢/٤)، ومسلم في "صحيحه" _ كتاب الإمارة _ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة _ (٣/ ١٤٧٤) ح ١٨٤٧ ضمن حديث طويل.

⁽٤) انظر: تعليق الدكتور ناصر العقل على «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٢٧).

⁽٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الإيمان _ باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ومسلم في «صحيحه» _ كتاب الإيمان _ باب إطعام المملوك مما يأكل... _ (٣/ ١٢٨٢ _ ١٢٨٣) ح ١٦٦١ .

النَّوعُ الأوَّالُ: جاهِلِيَّةٌ قبلَ مَبعثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ.

وهذا النَّوعُ يُطْلِقُ عليه بعضُهم «الجاهِلِيَّةَ الأولى».

قال قتادةُ في قوله _ تعالى _: ﴿ وَلَا تَبَرَّمْ َ لَبُرُّجَ ٱلْجَهِلِيَّةِ ٱلْأُولَٰ ۗ ﴾: ﴿ وَلَا تَبَرَّمْ َ لَبُرُّجَ ٱلْجَهِلِيَّةِ ٱلْأُولَٰ ۗ ﴾: ﴿ هِيَ مَا قِبلَ الْإِسلام﴾(١).

النُّوعُ الثَّاني: جاهِليَّةُ ما بعدَ مَبعَثِهِ عَلَيْهُ.

ويُطْلِقُ عليها بَعضُهم «الجاهِلِيَّةَ الأخرى».

والمُرادُ بها: ما شابَه فيه النَّاسُ بَعْدَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ عَلَيَّةٍ أهلَ الجاهِلِيَّةِ.

قال ابنُ جَريرٍ _ رحمهُ اللهُ تعالى _: «فإنْ قالَ قائلٌ: أَوَفي الإسلامِ عَالَى اللهِ اللهِ عَنَى بقولِهِ: ﴿ ٱلْجَلِهِ لِيَّةِ ٱلْأُولَٰكَ ﴾ الَّتي قَبْلَ الإسلامِ ؟ قِيْلَ: فِيهِ أخلاقٌ مِن أخلاقِ الجاهِ لِيَّةِ » (٢).

وقال الشَّوكانيُّ ـ رحمهُ اللهُ تعالى ـ: «ويُمكنُ أَنْ يُرادَ بالجاهِلِيَّةِ الأخرى ما يَقَعُ في الإسلامِ من التَّشَبُّهِ بأهلِ الجاهِلِيَّةِ بِقولٍ أو فِعلٍ»(٣).

ثَالِثاً _ أنواعُها مِن حيثُ مُتَعَلَّقُها:

تَتَنَوَّعُ الجاهِلِيَّةُ مِن حيثُ مَتَعَلَّقُها أنواعاً كثيرةً جِداً ، يَصعبُ حصرُها ، فمِنْها جاهِلِيَّةُ المُعْتَقَدِ ، ومنها جاهِليَّةُ الأخلاقِ ، ومنها جاهِليَّةُ الاقتصادِ ، ومنها جاهِليَّةُ المُحُكم والسِّياسةِ ، ومنها جاهِليَّةُ الفَنِّ. . . إلخ^(٤).

⁽۱) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٢٨).

⁽۲) «تفسير ابن جرير» (۲۲/ ٤ _ ٥).

⁽٣) «فتح القدير» (٤/ ٢٧٨).

⁽٤) انظر بتوسع في هذا: «جاهلية القرن العشرين» لمحمد قطب ، «مصطلحات إسلامية» لمحيى الدين القضماني (ص ٤٦ ـ ٥٢).

وبِالجُملةِ ، فكلُّ أمرٍ مِن الأمور خُولِفَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ ، فهو أمرٌ جاهلي اللهِ عَلَيْهِ ، فهو أمرٌ جاهلي اللهِ عَلَيْهِ ، فهو أمرٌ جاهلي اللهِ عَلَيْهِ ، فهو أمرٌ على الله على

رابعاً _ أنواعُها من حيثُ الحُكمُ:

تَتَنَوَّعُ الجاهِلِيَّةُ مَنْ حيثُ الحُكمُ نَوعَينِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: جاهِلِيَّةُ كُفْرٍ.

ومِن هذا النَّوع قولُه ـ تعالى ـ: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظُنَّ ٱلْجَهِلِيَّةِ ﴾ (٢)، وقولُه ـ تعالى ـ: ﴿ اَفَحُكُمَ ٱلْجَهِلِيَّةِ يَبَغُونَ ﴾ (٣).

النَّوعُ الشَّاني: جاهِلِيَّةُ مَعصيةٍ ، وهي ما تكونُ بتركِ واجبٍ أو فِعلِ مُحَرَّم دونَ الكفرِ (٤) ، وهذهِ لا يَكفرُ صاحِبُها (٥).

ومِن هذا النَّوعِ قولُه ﷺ لأِبي ذَرِّ: «إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهِلِيَّةٌ»(٢)وَكَذا الفَخْرُ بالأحسابِ ، والطَّعْنُ في الأنسابِ ، والنِّياحةُ على المَيِّتِ.

هذهِ أهم أنواع الجاهِلِيَّةِ حَسبَ عِلْمي ، والله - تعالى - أعلم.

⁽١) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص ٢٦١).

⁽٢) آل عمران: (١٥٤).

⁽٣) المائدة: (٥٠).

⁽٤) انظر: «فتح الباري» (١/ ٨٥).

⁽٥) انظر: "صحيح البخاري" - كتاب الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك.

⁽٦) سبق تخریجه (ص ٣٤).

المبحث الثالث حكم مخالفة أهل الجاهلية

لَقَد تظاهرتِ النُّصوصُ مِنَ الكتاب والسُّنَّةِ على وجوبِ مُخالَفةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ ، وتحريمِ التَّشبُّهِ بِهِمْ ، سواءً كان في عِباداتِهم أو عاداتِهم ، وأجمع أهلُ العِلْمِ على ذلك (١).

ولِكثرةِ النُّصُوصِ الواردةِ في هذا ، اجتهدتُ في حَصْرِ دِلالاتِها ، مَعَ الاستدلالِ لِكُلِّ دِلالةِ بِنَصِّ أو أكثرَ ، فكانت على النَّحو الآتي:

أولاً - الأمرُ الصَّريحُ بالمخالَفَةِ:

جاءتِ الأحاديثُ عن النَّبيِّ ﷺ صريحةً في الأمرِ بِمخالفةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ ، مِمَّا يَعني وجوبَ مَخالَفَتِهِم ، وذلكَ أَنَّ الأمرَ يَقتضي الوجوبَ ما لم يَصرفْه صارفٌ (٢) ، ولا صارفَ هُنا ، ومِن هذهِ الأحاديثِ ما يأتي:

عن ابن عمرَ ـ رضي اللهُ تعالى عنهما ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «خَالِفُوا المُشْرِكِينَ: أَحْفُوا الشَّوارِبَ ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»(٣).

⁽۱) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (۱/ ۸۲ و ٣٢٠).

⁽۲) انظر: «العدة في أصول الفقه» لأبي يعلى (۱/ ۲۲۶) ، «التمهيد» لأبي الخطاب الكلوذاني (۱/ ۱۲۵) ، «المحصول في علم الأصول» للرازي (۲/ ۲۲) ، «روضة الناظر» لابن قدامة (ص۱۹۳) ، وغيرها من كتب الأصول.

⁽٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب اللباس _ باب تقليم الأظافر _ (٧/٥٦) ، ومسلم في «صحيحه» _ كتاب الطهارة _ (١/٢٢) ح ٢٥٩ ، واللفظ له.

وعن أبي أُمامة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «خَرَجَ رَسُولُ الله عَلَيْ على مَشْيَخَةٍ مِنَ الأَنصارِ ، بِيضٍ لِحاهُم ، فقالَ: يا مَعشرَ الأَنصارِ! حَمِّرُوا ، وَحَالِفُوا أَهلَ الكتابِ ، قالَ: فَقُلْنا: يا رسول الله! إنَّ أَهلَ الكتابِ يَتَسَرُولُونَ وَلا يَأْتَزِرُونَ ، فقال رسول الله عَلَيْ : تَسَرُولُوا ، وَخَالِفُوا أَهلَ الكتابِ ، قالَ: فَقُلْنا: يا رسول الله! إنَّ أَهلَ وَاتَّزِرُوا ، وَخَالِفُوا أَهلَ الكتابِ ، قالَ: فقالَ النَّبيُ عَلَيْ : فَتَخَفَّفُوا ، وانْتَعِلُوا ، وخَالِفُوا أَهلَ الكتابِ ، قالَ: فقالَ النَّبيُ عَلَيْ : فَتَخَفَّفُوا ، وانْتَعِلُوا ، وخَالِفُوا أَهلَ الكتابِ ، قالَ: فَقُلْنا: يا رسولَ الله! إنَّ أَهلَ وانْتَعِلُوا ، وخَالِفُوا أَهلَ الكتابِ ، قالَ: فَقُلْنا: يا رسولَ الله! إنَّ أَهلَ الكتابِ يَقُصُّونَ عَثَانِيْنَهُمْ (۱) ، وَيُوفِّرُونَ سِبالَهُمْ (۱) ، فقالَ النَّبِيُ عَلَيْ : قُصُّوا الكتابِ يَقُصُّونَ عَثَانِيْنَهُمْ (۱) ، وَيُوفِّرُونَ سِبالَهُمْ (۱) ، فقالَ النَّبِيُ عَلَيْ : قُصُّوا سِبالَكُمْ ، وَوَقُرُوا عثانينكم ، وخالفوا أهل الكتاب» (۱) .

وقالَ ﷺ: «خَالِفوا اليهودَ، فإنَّهم لا يُصَلُّونَ في نِعالِهِم، ولا خِفَافِهِم»(٤).

⁽۱) العثانين: جمع عثنون ، وهو اللحية.انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٨٣).

⁽٢) السبال: جمع سبلة بالتحريك ، وهي الشارب. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٣٩).

⁽٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٤) ، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٢) ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٣١): «رجال أحمد رجال الصحيح ، خلا القاسم ، وهو ثقة ، وفيه كلام لا يضر» ، وحَسَّنَ إسنادَ أحمدَ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١/ ٣٦٧) ، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٤٩).

⁽³⁾ أخرجه أبو داود في «سننه» _ كتاب الصلاة _ باب الصلاة في النعل _ (1/٢٧)
ح ٢٥٢ ، وابن حبان كما في «الإحسان» _ كتاب الصلاة _ باب فرض متابعة الإمام
(٣٠٦/٣) ح ٢١٨٣ ، والحاكم في «مستدركه» _ كتاب الصلاة _ (1/٢٠٢) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» _ كتاب الصلاة _ باب سنة الصلاة في النعلين
(٢/ ٤٣٣) ، والبغوي في «شرح السنة» _ كتاب الصلاة _ باب الصلاة في النعال
(٢/ ٤٣٣) - ٤٣٥ .

ثانياً - النَّهِيُ عن مشابهةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ في أهوائهِم بِصِيغتِهِ:

كَما جاءَتِ الأدلَّةُ صَريحةً في الأمرِ بِمخالفةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ ، فقد جاءتُ _ _ أيضاً _ صريحةً في النَّهي عن مشابهتِهِم في أهوائِهِم بِصيغةِ النَّهي الحقيقيةِ «لا تَفْعلْ» ، ومِن هذهِ الأدلَّةِ:

قولُه _ تعالى _: ﴿ وَلَا تَنَّبِعُ أَهُوآ اَهُمْ عَمَّا جَآ اَكُ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (١).

وقولُه _ تعالىٰ _: ﴿ وَلَا تَتَبِعُ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُولَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ (٢) .

وقولهُ _ تعالى _: ﴿ فَلِذَالِكَ فَأَدَّ عُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرَتُ وَلَا نَنْيَعُ أَهْوَاءَهُمْ ﴿ (٣) .

وقولُه _ تعالى _: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَبِعَهَا وَلَا نَتَّبِعُ أَهُوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

ففي هذهِ الآياتِ نهيٌ من اللهِ _ تعالى _ لِنبيِّهِ ﷺ أَنْ يَتَّبِعَ أَهُواءَ الذينَ لا يَعلمونَ كُلُّ مَن خَالفَ شريعتَه. لا يَعلمونَ كُلُّ مَن خَالفَ شريعتَه.

وأهواؤهم هو ما يَهوونَه، وما عَلَيه المُشرِكونَ مِنْ هَدِيهِم الظَّاهِرِ، الذي هو من مُوْجِباتِ دِينِهِم الباطِلِ وتوابعِ ذلكَ ، فَهُمْ يهوونه ، ومُوافقتُهم فيه اتِّباعٌ لما يَهْوَونَهُ (٥٠).

وقولُه _ تعالى _: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَعِنَ وَقُولُواْ اَنظُرْنَا وَالسَّمَعُواُ ﴾ (٦).

⁽١) المائدة: (٨١).

⁽٢) المائدة: (٤٩).

⁽٣) الشورى: (١٥).

⁽٤) الجاثية: (١٨).

⁽٥) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٨٥).

⁽٦) البقرة: (١٠٤).

قال ابنُ كثيرٍ ـ رحمه اللهُ تعالى ـ: «نَهَى اللهُ ـ تعالى ـ عِبادَه المُؤمِنينَ أَنْ يَتَشَبَّهوا بالكافِرينَ في مقالِهم وفِعالِهم »(١).

فهذه بعضُ الأدلَّةِ عَلَى النَّهي عن مشابهةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ بصيغته.

ثالثاً _ بيان سوء عاقبة من اتَّبع أهل الجاهلية:

لَقد جاءتِ الأدلَّة صريحةً في بيانِ العاقبةِ المُخْزِيَةِ التي أَعَدَّها اللهُ - تعالى ـ لِمَنْ خَالَفَ أَمرَهُ ، وتَشَبَّهَ بأعدائِهِ ، مِمَّا يدلُّ على شَناعةِ الفعلِ وقُبْحِهِ ، ومِن هذهِ الأدلَّةِ:

قَولُهُ _ تعالى _: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَرَىٰ حَتَىٰ تَنَّبِعَ مِلَتَهُمَّ قُلْ إِنَ هُدَى اللَّهِ هُوَ ٱلْهُدُنَّ وَلَمِنِ ٱللَّهِ مِن وَلِي وَلَا اللَّهِ هُوَ ٱلْهُدُنَّ وَلَمِنِ اللَّهِ مِن وَلِي وَلَا اللَّهِ مِن اللَّهِ مِن وَلِي وَلَا نَسِيرٍ ﴾ (٢).

وقولُه ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَهِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنَ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْفِلْمِينَ ﴾ (٣) .

ففي هاتَينِ الآيتينِ تهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ للأمَّةِ عن اتَّباعٍ طَرائقِ اليهودِ والنَّصارى بَعْدَ ما عَلموا مِنَ القرآنِ والسُّنَّةِ ، والخِطابُ مَعَ الرَّسولِ ﷺ ، والمرادُ أُمَّتُهُ (٤) ، ووصف ـ تعالى ـ التابعين بأنَّهم ظالِمونَ ، ﴿ وَٱلظَّلِمِينَ أَعَدَّ لَمُمْ عَذَابًا أَلِيًا ﴾ (٥).

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ _ رحمهُ اللهُ تعالى _: «ومُتابعتُهم فيما

⁽۱) «تفسير ابن كثير» (۱/۸۱).

⁽٢) البقرة: (١٢٠).

⁽٣) البقرة: (١٤٥).

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٦٣/١).

⁽٥) الإنسان: (٣١).

يَختصُّون بِهِ مِن دِينهِم وتوابِعِ دِينهِم ، اتَّباعٌ لأهوائِهِم ، بلْ يَحصُلُ اتِّباعُ أهوائِهِم بِما هو دُونَ ذٰلكَ»(١).

وقولُه - تعالى -: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوّا أَشَدَ مِنكُمْ قُوَّةُ وَأَكْفَرَ أَمْوَلًا وَأَوْلَدُا فَأَسْتَمْتَعُوا بِحَلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُمْ بِحَلَقِكُمْ كَانُوّا أَشَدَمْتَعُ النَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِحَلَقِهِمْ وَخُصْتُمْ كَالَّذِي حَاضُوٓا أُوْلَتِهِكَ حَبِطَتَ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنيَا وَالْالْخِدرَةُ وَأُولَتِهِكَ حَبِطَتَ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنيَا وَالْاَخِدرَةُ وَأُولَتِهِكَ هُمُ الْخَديمُونَ ﴾ (٢).

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ـ رَحمهُ اللهُ تَعالى ـ : (أُمَّ قُولُهُ: فَاسْتَمْتَعْتُمْ وَخُضْتُمْ ، خَبُرٌ عن وُقوعِ ذلكَ في الماضي ، وهو ذَمُّ لمنْ يَفعلُهُ إلى يومِ القيامةِ ، كسائرِ ما أخبر اللهُ بِهِ عنِ الكُفَّارِ والمنافقين عندَ مبعثِ محمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّه ذَمُّ لمنْ حالُهُ كحالِهِم إلى يوم القيامةِ (٣).

رابعاً ـ نعتُ المتشبِّهينَ بِما يُفيدُ شَناعةً فِعلِهِم:

كما في قوله ﷺ: «أبغضُ النَّاس إلىٰ اللهِ ثلاثةٌ: مُلحِدٌ في الحَرَمِ ، ومُثَّلِبٌ دَمَ امرىءِ مُسلِمٍ بغيرِ حقًّ لِيُهْرِيقَهُ» (٤٠).

وقوله ﷺ: «لَـتَـتَّبِعُنَّ سنَنَ مَنْ كانَ قَبلَكم شِبراً شِبراً ، وذراعاً ذراعاً ،

⁽۱) «اقتضاء الصراط المستقيم» (۱/ ٨٥ _ ٨٦).

⁽٢) التوبة: (٦٩).

⁽٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١٠٤ ـ ١٠٥).

⁽٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الديات _ باب من طلب دم امرىء بغير حق (٨/ ٣٩).

حتَّى لو دَخَلوا جُحْرَ ضَبِّ تَبِعْتَمُوهم ، قلنا: يا رسول اللهِ! اليهودَ والنصاريٰ؟ قال: فَمَنْ »(١).

قال ابنُ عبدِ البَرِّ ـ رحمه اللهُ تَعالى ـ: «وكانَ ﷺ يُحِبُّ مُخالفةَ أهلِ الكتابِ وسائِرِ الكُفَّارِ ، وكانَ يَخاف على أُمَّتِهِ اتِّباعَهم ، ألا تَرى إلى قولِهِ الكتابِ وسائِرِ الكُفَّارِ ، وكانَ يَخاف على أُمَّتِهِ اتِّباعَهم ، ألا تَرى إلى قولِهِ على جِهَةِ التَّعييرِ والتَّوبيخِ: «لَتَتَبِعُنَّ سَنَنَ الَّذين كانوا قَبْلَكم. . . »(٢).

وقالَ المُناويُّ: «وهو كنايةٌ عن شدَّةِ الموافقةِ لهم في المخالَفاتِ والمعاصي والكفرِ ، ثمَّ إنَّ هذا لفظُ خَبَرٍ معناه النَّهيُ عن اتِّباعِهِم ، ومَنْعُهم من الالتفاتِ لِغيرِ دِينِ الإسلام»(٣).

فهذهِ بعضُ الأدلَّةِ الدَّالَّةِ على وجوبِ مخالفةِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ وحرمةِ التَّشَبُّهِ بِهِم ، وبقي كثيرٌ تركتُها اختصاراً (٤٠)، واللهُ ـ تعالى ـ أعلمُ.

⁽۱) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الأنبياء _ باب ما ذكر عن النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» _ (٨/ ١٥١) ، ومسلم في «صحيحه» _ كتاب العلم _ باب اتباع سنن اليهود والنصاري _ (٤/ ٢٠٥٤) ح ٢٦٦٩.

⁽٢) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٥/٥).

⁽٣) «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» (٥/ ٢٦١).

⁽٤) راجعها في مقدمة شرح المحقق لمسائل الجاهلية.

صورة الغلاف

البغذ دو كانزالة تفاله مواحدة على واظام موالخدر لمه المنا تدوقف على المقصفة في الجي كيتوالغوان شفوع المخدولة مسئلة منزالمسائوا اتي خالف فيداركول الأصولالة فعالم علية وباهوا لخاهلية منزال بين والكتابيين . وهي إدوار تسايح والما اذرا الأسند سلخات ص (اهلاستان اما بعن فيتولوالعبد المفتقرال عوليل وعواله بحد مركن الآلوس انجد مقادان مدانيالار موالبين . واتا درا الواط المستقيم لزيج البيكين والصدة والسامطي مدالبين . واتا دلان والقدنات بديالواء من جهلا لجاهلين . وعلائه وإنكابه الوالميامين . الذين جاهية الله ولاالمشاب لمار مقتصاً فيه علاوض الإفاوغي وبيبنا لمأدودة بيوان دريس مس الا الانتفاع بذك كمستلين ويهدي بهبيز نشائه زعاءه ياده ، عشروحة ولامطحسك جمة ان مزينظها لظران فالمرملكان تديمات فيه المسائل المغير لصواد الإليان • ولا شتجا لها عليك! كمسنالأنجه م يكسنة المسنة . وهيدة المندوية المنبوية أمين عطره . وطافط ول من المع استف وتكدة الخلف . ويريك مهرين عمرالاهال المندين لمناج الله المنافر جيئة تواسكنة مبيونة ، بيدادا مساح تلك المسالة انتاجة المهاز لإكار تعدين فببوالهلفائر فدعرهما كمينوا جبارة مجركه واليغيها بدائع ليست Wais pulling the Millings الماخذ يستمن في والمبايع والفيام المعام المعام المعام المقدون المناه المعام المعام المعام المعام المعام المعام معام ويوري معام والمستويد المعام صبيال اعلقطيرا لرجانفعل يجلل ديكنق بعضلا بنزغيرك المخطئ in I dilla واعتصموا جبوالة جميعا والزفوا واذارلا فعدالا عليكه النهاعك فالدبينة تدائ الثابة والله شفون ويون السيع والطاعة ولايا وراالة فالرجوالة بالإجفاط ع عذالمفرن متادع ذكوم الإالانين استوانق اللاصفيقاي ولاتم سن الادائع سإر مالت باعران عليوانية وماداعمانا رون المساة عدارين والمعانون المله بجارين بذاع نيه بخلف والحارقال ولايعاريه وينهزون وزالة سالانة جاولايتهم وتقرف خدون مولارت أواعندلا وهذا بعظه سكة ظالم ويذاركوالاه خليك Sylderica exclusives William inglicity or mention of the land of the Marie مناقعظم السالم بزالف بري والك ومرسه وزالضا ملاك يستطاني مناقب الملاجة وكالمراعد وكالمراعد والمارات المرامية والمارات المرامية المرامية والمارات المرامية الم المالا ين الكال والدين الحندوا منادونا اولياء ملعبدهم الالمقرون الإلكارتون علية وع زاد المضافي الدائل تجسد والمتلاها هاية والمعان ويحدان الوالعاد المسكة الارك . انهم تصيد رنا بأر العدالي ن نها والله فأ الويون الله الاستاء واهماف والتميه منطأ عدارها والعلب عاجاء بالرواعدالة خال بالاتعالىكا قالوم ذكو والذين أمنواط بطا وكزوا ياق اولك عراقا مرون هذه مستاخ خالن نبلاكردامك حيامك تناوعيد ومع ماعليه اهاراني هاجامك بين il Marine Proposition والاميان مالاغنامك إعند عزقها والضديظ كمسنة الظنو دجنهاا تتام خكون سببا لازاب والغواديه العرض والكساب واللعن منزالم للملكأبء وماتونيق 1/360 - 263 (12 2/12/12/12 با خات بالإخلاص واخرهم إنه دين الماء الذر لا تعدومن احترموا واند ميرخا . 4. 1. 2/1/201/04 .

صورة الصحيفة الأولى

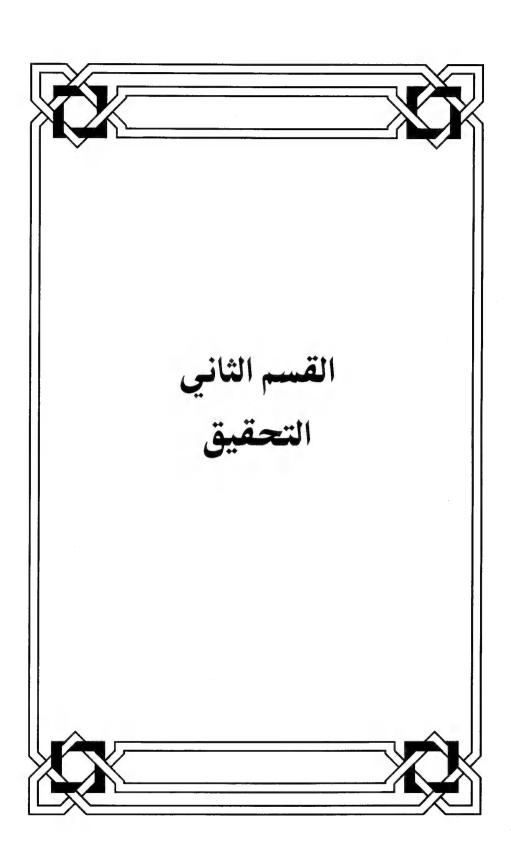
وهذا والمستقيم الما المستقيم المستقيم وغادساً الهلا المستقيم وما المستقيم ومن المستقيم ومن المستقيم ومن المداعة العراط المستقيم ومن الادالتقصير فالبرجع اليه وللجهد لله ولي الانعام والعلوة والسائل المائل ا

الاده

وقل فرغت من كتاب صباح الجمعة فاليق السابع والعشرن من كار شعبان سنة ادبع وا ربعان وللنهائة والف من هجرة حرالانا معليه الصلوة والهام في بغياد وارالسام في جا محالحيدر خا فا والما الفقير اليه عزشانه عبراتري بن الهيمين الشيخ بي غوالك الهما ولجريم المسلمان

صورة الصحيفة الأخيرة







بِنْ اللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيْتِ مِنْ الرَّحِيْتِ مِنْ الرَّحِيْتِ الرَّحِيْتِ فِي

الحمدُ للهِ الَّذي هدانا للِدِّين المُبينِ ، وأنارَ لَنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ بأوضحِ البَراهينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ ، الذي أنقَذُ بشريعتِهِ الغراءِ مِنْ جهلِ الجاهِلينَ ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الغُرِّ المَيامينِ ، الذينَ جاهَدوا في اللهِ حتَّى أتاهُمُ اليَقينُ .

أمَّا بَعْدُ:

فيقولُ العبدُ المُفتَقِرُ إلى عفوِ اللهِ وغُفرانِهِ: محمود شُكري الألوسيُ البغداديُ _ كان اللهُ تعالى له وأحْسَنَ عَمَلَهُ ، وَأَنالَهُ مِنَ الخيرِ أَمَلَهُ () _ : إنِّي وَقَفْتُ على رسالةٍ صغيرةِ الحَجْمِ ، كثيرة الفوائِدِ ، تشتملُ على نحوِ مائةِ مسألةٍ مِنَ المسائِلِ الَّتي خالَفَ فيها رسولُ اللهِ عَلَيْهُ أهلَ الجاهِلِيَّةِ مِنَ الأُمِّيِّنَ وهي أُمورُ ابتدَعوها ما أَنْزَلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ ، ولا أُخِذَتْ عن نبِيٌ من النَّبيِّينَ ، ألَّفها الإمامُ العالِمُ العلَّمةُ ، والقُدوةُ الفهّامةُ (٢) ، مُحيى السُّنَةِ السَّنِيَةِ (٣) ، ومُجَدِدُ الشَّريعةِ النَّبُويَّةِ ، مُحَدِّثُ عَصرِهِ ، وحافِظُ دهرِهِ ، تذكرةُ السَّلفِ ، وعُمْدةُ الخَلفِ (٤) ، أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ وحافِظُ دهرِهِ ، تذكرةُ السَّلفِ ، وعُمْدةُ الخَلفِ (٤) ، أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ

⁽١) «وأناله من الخير أمله» ليست في المطبوع.

⁽٢) «العالم. . . الفهامة» ليست في المطبوع.

⁽٣) «السنية» ليست في المطبوع.

⁽٤) «محدث. . . الخلف» ليست في المطبوع.

عبدِ الوهَّابِ النَّجديُّ الحنبليُّ ـ تَغَمَّدَهُ اللهُ تعالى بِرحمتِهِ ، وأَسْكَنَهُ فَسيحَ جَـنَّتِهِ (١).

بَيْدَ أَنَّ مسائلَ تلكَ الرِّسالةِ (٢) في غايةِ الإيجازِ ، بَلْ كادتْ تُعَدُّ مِن قَبيلِ الألغازِ ، قد عَبَرَ عن كثيرِ منها بعبارةٍ مُجْمَلةٍ ، وَأَتَىٰ فيها بدلائلَ ليست مشروحةً وَلا مُفَصَّلةً ، حتىٰ إنَّ مَنْ يَنْظُرُها يظنُّ أنها فهرسُ كتابٍ ، قد عُدَّت فيه المسائل من غيرِ فُصولٍ ولا أبوابٍ ، ولاشتمالها على تلكَ المسائلِ المُهمَّةِ ، الآخِذَة بِيدِ المُتَمَسِّكِ بِها إلىٰ منازِلِ الرَّحْمَةِ ، أحببتُ أنْ أعلَّق عليها شرحاً يُفصِّلُ مُجْمَلها ، ويكشفُ مُعْضَلها ، مِنْ غيرِ إيجازٍ أعلَّق عليها شرحاً يُفصِّلُ ، مُفتصِراً فيه على أوضحِ الأقاويلِ (٣) ، ومُبيِّناً مُخِلِّ ، ولا إطنابٍ مُمِلٍّ ، مُفتصِراً فيه على أوضحِ الأقاويلِ (٣) ، ومُبيِّناً ما أورَدَهُ مِنْ بُرهانٍ ودليلٍ ، عَسى اللهُ أنْ يَنْفَعَ بِذلكَ المُسْلِمينَ ، ويَهْدِيَ بِهِ ما أورَدَهُ مِنْ بُرهانٍ ودليلٍ ، عَسى اللهُ أَنْ يَنْفَعَ بِذلكَ المُسْلِمينَ ، ويَهْدِي بِهِ مَنْ يُسَاءُ مِن عِبادِهِ المُتَقينَ ، فيكونَ سَبَا للثَّوابِ ، والفوزِ يومَ العرضِ مَنْ يُشاءُ مِن عِبادِهِ المُتَقينَ ، فيكونَ سَبَا للثَّوابِ ، والفوزِ يومَ العرضِ والحسابِ ، والأمنِ مِن أليم العَذابِ ، وما تَوفيقي إلاَّ باللهِ ، عَليه تَوكَلْتُ وإليه أُنِيثِ.

⁽١) «وأسكنه فسيح جنته» ليست في المطبوع.

⁽٢) في المطبوع «فرأيتها».

⁽٣) في المطبوع «الأقوال».

قَالَ المُصَنِّفُ _ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى (١) _

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ (٢)

هذهِ مَسائِلُ خالفَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ مَا عَلَيهِ أَهلُ الجاهِلِيَّةِ الكِتابِيِّيْنَ وَالأَمِّيِّيْنَ ، مِمَّا لا غِناء لمُسْلِم عَن مَعْرِفَتِها.

والضِّدُّ (٣) يُظْهِرُ حُسْنَهُ النَّظِيُّ وَبِضِيِّهِ اتَّتَبَيَّنُ الأشْياءُ (١)

ضدان لما استجمعا حسنا

وقد اختلف في قائلها ، فقد نسبت إلى أكثر من أربعين شاعراً ، فقيل: إنها لشاعر جاهلي ، ولم يذكر من هو ، وقيل: إنها لذي الرُّمَّةِ ، وقيل: لدوقلة المنبجي، وقيل: لأبي الشيص الخزاعي، وقيل: لعلي بن جبلة.

انظر: «التبيان في شرح الديوان» للعكبري (٢٢/١) ، «شرح الديوان» للواحدي (١/ ١٩٧).

وأقرب هؤلاء للصحة اثنان هما: أبو الشيص الخزاعي ، وهو في ديوانه الذي جمعه عبد الله الجبوري (ص ١١٧) وللجبوري بحث قيم في إثبات نسبة القصيدة لأبى الشيص.

والثاني هو علي بن جبلة ، وهو في ديوانه الذي جمعه زكي ذاكر (٩٦ ـ ١٠٢) ، وفي ديوانه الذي جمعه د. حسين عطوان (١١٥ ـ ١١٩) ، وفي ديوانه الذي جمعه ضيف الجنابي (١٠٨ ـ ١١٤).

⁽١) في المطبوع «رحمة الله _ تعالى _ عليه».

⁽٢) في المطبوع قدمت البسملة على قوله: «قال المصنف. . . ».

⁽٣) في المطبوع «فالضد».

⁽٤) هذا البيت مركب من شطرين ، فالشطر الأول منه عجز بيت في قصيدة طويلة ، وصدره:

وَأَهَمُّ مَا فَيها وَأَشَدُّهُ خَطَراً ، عَدَم إيمانِ القَلْبِ بِما جاءَ به الرَّسولُ عَلَيْهُ ، فَإِنِ انْضافَ إلى ذلكَ اسْتِحْسانُ دِينِ الجاهِليَّةِ والإيمانُ بِهِ ، تَمَّتِ الخَسارةُ والعياذُ باللهِ _ تعالى _ كما قال _ عَزَّ ذكرُه _: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَطِلِ وَالعياذُ باللهِ _ تعالى _ كما قال _ عَزَّ ذكرُه _: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَطِلِ وَكَالَةِ مَا الْخَسِرُونَ ﴾ (١) .

张 柒 柒

ولعل القصيدة له؛ لأنه كندي ، وقدجاء في القصيدة الافتخار بكندة حيث قال:
 الجدد كندة والبنون هُمم في في البنون وأنجب الجد وأما الشطر الثاني ، فهو للمتنبي في قصيدة له ، والبيت هو:
 ونذيمهم وبه عرفنا فضلهم وبضدها تتبين الأشياء «ديوان المتنبي» (ص ١٢٧).

⁽١) العنكبوت: (٥٢).

المسألة الأولى

أَنَّهُم يَتَعَبَّدُونَ بِإِشْرِاكِ الصَّالِحِينَ في عَبادةِ اللهِ (١) _ تَعَالَى _ وَيَرَوْنَ ذلكَ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّالِحِينَ الذي يُحِبُّهُ اللهُ ، ويُريدُونَ _ أيضاً (٢) _ بِذلكَ شَفاعتَهُم (٣) ؛ لِظَنِّهِم أَنَّهُم يُحِبُّونَ ذلكَ :

كَما قالَ ـ تعالى ـ في أوائلِ «الزُّمَرِ»: ﴿ إِنَّا أَنَرُلْنَا ۚ إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ إِلَى اللَّهِ الدِّينُ ٱلْخَالِصُّ وَالَّذِينَ ٱخْفُواْ مِن دُونِدِ أَوْلِيكَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَيْ إِنَّ ٱللَّهَ يَعَكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ﴿ ؟ ﴾ (٤).

وقالَ _ تَعالى _: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَوَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَعْبُدُونَ وَيَقُولُونَ هَتَوُلَا مِنفَعَمُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

وهذِه أعظمُ مسألةٍ خالَفَهم فيها رَسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأتى بالإخلاصِ ، وأخْبَرَهم أنَّه دِينُ اللهِ الذي لا يُـقْبَـلُ مِنْ أَحَدٍ سِواهُ ،

⁽١) في المطبوع «في دعاء الله _ تعالى _ وعبادته»، وهو موافق لبعض النسخ الخطية لمتن المسائل، وما أثبته موافق _ أيضاً _ لنسخ أخرى.

⁽٢) «أيضاً» ساقطة من المطبوع.

⁽٣) في المطبوع «شفاعتهم عند الله».

⁽٤) الزمر: (٢، ٣).

⁽٥) يونس: (١٨).

وأنَّ (١) مَنْ فَعَلَ ما اسْتَحْسَنوا(٢) ، حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ ومأواهُ النَّارُ.

وهذه المسألةُ هي الدِّيْنُ كُلُّهُ ، وَلأَجْلِها تَفَرَّقَ النَّاسُ بينَ مسلمٍ وكافِرٍ ، وعندَها وَقَعَتِ العَداوةُ ، ولأجلِها شُرعَ الجِهادُ؛ كما قال _ تَعالى _ في «البَقَرَةِ»: ﴿ وَقَنْلِلُوهُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (٣).

⁽١) في المطبوع: «وأخبر أن».

⁽٢) في المطبوع «ما يستحسنونه فقد».

⁽٣) البقرة: (١٩٣)، وفي المخطوط ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتَـٰنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُمُ لِللَّهِ ﴾، وهذه آية «الأنفال» وليست آية البقرة.

الثانية

أَنَّهِم مُتَفَرِّقُونَ ، وَيَرَوْنَ السَّمْعَ والطَّاعةَ مَهانَةً ورَذالةً ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ اللهُ بالاجتِماع ، ونَهَاهُم عَن التَّفْرِقة:

فقالَ _ عَزَّ ذكرُه _: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُوثُنَّ إِلَا وَأَسَمُ مُسَلِمُونَ فَقَالِهِ وَلَا تَعَرَّفُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَفَرَقُواْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ مُسَلِمُونَ ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعَدَاء فَاللَّهُ مَن اللَّه عَلَيْ شَفَا حُفْرَةٍ مِن النَّارِ فَانقَذَكُم اعْدَاء فَاللَّهُ مَن النَّارِ فَانقَذَكُم مِن اللَّه لَكُمْ وَاللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلُهُ لَلَهُ لَكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُولُ اللَّهُ لَلْكُولُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ لَلْنَا اللَّهُ لَا اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلُولُ اللَّهُ لِلْمُ اللَّهُ لَلِهُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْلُولُ لَهُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُمْ اللَّهُ لَلُهُ اللَّهُ لَلَكُمْ وَالْمُولُولُ اللَّهُ لِلْكُولُ لَا لَا لَهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْمُ لَلْكُمْ اللَّهُ لَلْكُمْ اللَّهُ لَلْكُولُولُ اللَّهُ لَلْكُولُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْلُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلَا لَهُ لَا لَا لَلْمُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُولُ الللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لِلْكُولُولُ اللَّهُ لِلْلَهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْلُولُولُ الللَّهُ لَلْلُولُ اللَّهُ لَلْلُهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْلُهُ لَلْلُهُ لَلْكُولُ اللَّهُ لَلْلُولُولُ اللَّهُ لَلْلِلْلُولُ اللَّهُ لَلْلُولُ اللَّهُ لَلْلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ الللَّهُ لَلْلُولُ اللَّهُ لَلْلُلُلُولُ اللَّهُ لَلْلِلْلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللللللْمُ اللَّهُ لَلْلُلْلَالِلْمُ لَلِلْلِلْمُ الللللَّهُ ال

يُقالُ: أرادَ _ سُبحانه _ بما ذُكرَ ما كانَ بين الأوسِ^(۲) والخَزْرَجِ^(۳) مِنَ الحُروبِ التي تَطَاوَلَت مِائةً وعِشرينَ سَنَةً ، إلى أَنْ أَلَّفَ _ سُبحانَه _ بينهم بالإسلام ، فَزالتِ الأحقادُ. قاله ابنُ إسحاقَ⁽³⁾.

⁽۱) آل عمران: (۱۰۲، ۱۰۳).

⁽٢) هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا ، إحدى قبائل الأنصار ، وكان لهم _ مع الخزرج _ ملك يثرب ، فلما جاء الإسلام ، كانوا لرسول الله عليه أنصاراً.

انظر: «النسب» لأبي عبيد (ص ٢٧٠ ـ ٢٧٧) ، «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص ٢٣٢ ـ ٣٤٦) ، «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» (ص ٩٥).

⁽٣) هم بنو الخزرج أخي الأوس بن حارثة ، وكانوا في يثرب كالأوس قبل الإسلام وبعده.

انظر: «النسب» (ص ۲۷۷ ـ ۲۸۷) ، «جمهرة أنساب العرب» (ص ٣٤٦ ـ ٣٦٦) ، «نهاية الأرب» (ص ٦٤٦ ـ ٣٦٦) .

⁽٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٣٣).

وكان يومُ بُعاث (١) آخِرَ الحُروبِ التي جَرَت بينهم. وقد فُصِّلَ ذلكَ في «الكامِل»(٢).

ومِن النَّاسِ مَن يقولُ: أراد ما كان بَيْنَ مُشركي العَرَبِ مِنَ التَّنازُعِ الطَّويلِ والقتالِ العريضِ ، ومنه حربُ البَسوسِ (٣) ، كما نُقِلَ عن الحَسَنِ (٤) _ رضي الله تعالى عنه _.

وقالَ _ تعالى _: ﴿ فَأَنَّقُوا اللَّهَ مَا السَّطَعْتُمْ وَالسَّمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ (٥) . . .

إلى غير ذلكَ من الآياتِ النَّاصَّةِ على النَّهيِ عنِ الاستبدادِ والتَّفَرُّقِ وعَدَمِ الانقيادِ والطَّاعة مِمَّا كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ.

 ⁽١) يوم بعاث من الأيام التي جرت بين الأوس والخزرج ، وكان في أوله للخزرج ، ثم ظفرت بهم الأوس ، فكادوا يبيدون خضراءهم.

انظر: «أيام العرب في الجاهلية» (ص ٧٧ - ٨٤).

⁽٢) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٣١٢) وما بعدها.

 ⁽٣) حرب البسوس من الحروب التي جرت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وهي أطول
 حروب العرب ، حيث مكثت أربعين سنة ، وسببها بغي كليب بن ربيعة .

انظر في شأنها: «أيام العرب قبل الإسلام» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ص ١٦٥ ـ ١٧٠) ، «الكامل في التاريخ» (٢١٢/١) ، «شرح المفضليات» لابن الأنباري (ص ٤٤١) ، «العقد الفريد» (٣١٣/٥) ، «مجمع الأمثال» للميداني (٢٧٧/١) ، «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/١/١) ، «أيام العرب في الجاهلية» (ص ١٤٣ ـ ١٦٨).

⁽٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٤٣٣).

⁽٥) التغابن: (١٦).

الثالثة

أَنَّ مُخَالَفَةَ وليِّ الأَمْرِ ، وعَدمَ الانقيادِ له ـ عندهم ـ فضيلةٌ ، وبعضُهم يجعلُه دِيْناً ، فخالفهم النَّبيُ ﷺ في ذلك ، وأمَرَهم بالصَّبْرِ على جَوْدِ الوُلاةِ والسَّمع والطَّاعةِ والنَّصيحةِ لَهُمْ ، وغَلَّظ في ذلك ، وأبدى وأعادَ.

وهذه الثلاثُ هي التي وَرَدَ فيها ما في الصَّحيح عنه ﷺ: «يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تُشْرِكوا به شَيئاً ، وأنْ تَعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً ، وأن تُناصِحوا مَنْ وَلاَّهُ أَمْرَكُم »(١).

وروى البُخاريُّ عنِ ابنِ عبَّاس عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن كَرِهَ مِنْ أُميرِه شَيئاً ، فلْيَصْبِرْ ، فإنه مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطانِ شِبْراً ، ماتَ مِيْتَةً جاهليَّةً»^(٢).

وَرَوى _ أيضاً _ عن جُنادةَ بنِ أبي أُميَّة ، قال: دَخلنا على عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ وهو مريضٌ ، فَقُلنا: أَصْلَحَكَ الله ، حَدِّثْ بِحَديثٍ يَنْفَعُكَ الله بِهِ سَمِعْتَهُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ.

⁽۱) أخرجه مسلم في «صحيحه» _ كتاب الأقضية _ باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . . . (۳/ ۱۳۲۰) ح ۱۷۱۰ .

⁽٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" - كتاب الفتن - باب قول النبي على: "سترون بعدي أموراً تنكرونها" (٨٧/٨) ، ومسلم في "صحيحه" - كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين بعد ظهور الفتن وفي كل حال ، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - (٣/ ١٤٧٧) ح ١٨٤٩.

قالَ: «دَعانا النَّبِيُّ عَلَيْهُ فَبايَعَنا ، فكان (١) فيما أَخَذَ عَلَينا: أَنْ بايَعَنا على السَّمْعِ والطَّاعَةِ في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وَعُسْرِنا وَيُسْرِنا وأَثَرَةٍ علينا ، وأَنْ لا نُنازَعَ الأَمرَ أَهلَهُ ؛ إلا أَن تَرُوا كُفْراً بَواحاً عندكم من الله فيه برهانٌ (٢٠).

والأحاديثُ الصَّحيحةُ في هذا البابِ كثيرةٌ ، ولم يقعْ خَلَلٌ في دِينِ النَّاسِ أو دُنْياهُم إلاَّ من الإخلالِ بهذهِ الوَصيَّةِ.

⁽١) في المخطوط «فقال».

⁽٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الفتن _ باب قول النبي ﷺ: «إنكم سترون بعدي أموراً تنكرونها» _ (٨٧/٨) ، ومسلم في «صحيحه» كتاب الإمارة _ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية _ (٣/ ١٤٧٠) ح ٩٠٠١.

الرابعة

أنَّ دِيْنَهِم مَبْنيٌّ على أُصولٍ: أَعْظَمُها التَّقليدُ ، فهوَ القاعدةُ الكُبرى لِجَميع الكُفَّارِ مِنَ الأوَّلين والآخِرين:

كَمَا قال _ تعالى _: ﴿ وَكَذَالِكَ مَا آرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُنْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدَنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِم مُقْتَدُونَ ﴿ اللَّهِ عَلَى أَوَلَوْ جِمْدُكُمُ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدَتُمُ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُواْ إِنَّا بِمَا آرُسِلْتُم بِهِ عَكَفِرُونَ ﴾ (١).

فَأَمَرَهُمُ اللهُ _ تعالى _ بقوله: ﴿ اَتَّبِعُواْ مَاۤ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُو وَلَا تَنَّبِعُواْ مِن دُونِهِ ۗ أَوْلِيَا أَهُ وَلِيَا لَهُ مُا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

وقالَ _ تعالى _: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَاۤ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلَ نَتَبِعُ مَاۤ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ۖ ، قال: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآءَنَا ۖ ﴾ (٣) .

إلى غير ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَهلَ الجاهِلِيَّةِ كَانُوا في رِبْقَةِ التَّقليدِ ، لا يُحَكِّمُونَ لِهُم رَأْياً ، ولا يُشْغِلُونَ فِكُراً؛ فَلِذَٰلِكَ تاهوا في أُودِيَةِ الجَهالَةِ . وهكذا كُلُّ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُم في أيِّ عصرِ كانَ .

⁽١) الزخرف: (٢٣ ـ ٢٤).

⁽٢) الأعراف: (٣).

⁽٣) البقرة: (١٧٠).

الخامسة

الاقتِداءُ بِفَسَقَةِ أهلِ العِلْم وجُهَّالِهِم وعُبَّادِهِم:

فَحَذَّرَهُم اللهُ - تَعالى - مِنْ ذلكَ بقولِهِ: ﴿ ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ اَمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْأَخْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَنطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١).

وقالَ ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغَلُّواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَغَلُّواْ أَفَوَاتُهُ قَوْمِ قَدْ ضَكُواْ مِن قَبْلُ وَأَضَكُواْ كَثِيرًا وَضَكُواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّكِيلِ ﴾ (٢) .

إلى آيات أُخَرَ تُنادِي بِبُطْلانِ الاقْتِدَاءِ بالفُسَّاقِ وَأَهْلِ الضَّلالَةِ والغَيِّ، وذلكَ مِنْ سَنَنِ الجاهِلِيَّةِ وطرائِقِهِمُ المِعْوَجَّة.

⁽١) التوبة: (٣٤).

⁽٢) المائدة: (٧٧).

السادسة

الاحتِجاجُ بِما كانَ عليه أهلُ القرونِ السَّالِفَةِ ، مِنْ غَيرِ تَحكيمِ العَقْلِ ، والأَخْذِ بِالدَّليلِ الصَّحيح.

وقى الَ تعالى في «القَصَصِ»: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُوسَى بِعَايَكِنَا بَيِّنَتِ قَالُواْ مَا هَلَذَاۤ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَجِعْنَا بِهَكَذَا فِى ءَابَآيِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَن جَآءً بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَلَقِبَهُ ٱلدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّلِلِمُونَ﴾ (٢).

وَقَالَ _ عَزَّ ذكرُه في سورة «المؤمنينَ»: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمُ مِّنْ إِلَهٍ عَنْرُهُ أَلَلا نَنْقُونَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ الْمَلَوُا الّذِينَ كَفُرُوا مِن قَوْمِهِ مَا يَعَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمُ مُرِيدُ أَن يَنْفَضَّلَ عَلَيْكُمُ مَ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَأَنزَلَ مَلَيْكَةً مَّا سَمِعْنَا بَهُذَا فِي عَالَمُ اللّهُ لَأُولِينَ ﴿ وَاللّهُ مَلْ اللّهُ لَا رَجُلُ لِهِ عِنَا لَهُ فَتَرَبّصُوا بِهِ حَقَى حِينٍ ﴾ (٣) .

⁽١) طه: (٤٩ ـ ٤٥).

⁽٢) القصص: (٣٦ ـ ٣٧).

⁽T) المؤمنون: (TY - ٢٥).

وقَالَ _ تَعالَى _ في «صَّ»: ﴿ وَأَنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَأَصْبِرُواْ عَلَىٓ ءَالِهَتِكُو ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُكُرُو وَأَصْبِرُواْ عَلَىٓ ءَالِهَتِكُو ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُكُرُدُ إِنَّ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنَّ هَذَاۤ إِلَّا ٱخْتِلَكُ ﴾ (١).

فَجَعَلُوا مَدارَ احْتِجاجِهِم على عَدم قَبُولِ ما جاءَت بِهِ الرُّسُلُ: أَنَّه لَم يَكُنْ عليهِ أَسْلافُهُم ، وَلا عَرَفُوه مِنْهم ، فَانْظُرْ إلى سُوءِ مَدارِكِهِم ، وَجُمودِ قرائِحِهِم ، وَلَوْ كانَت لَهُم أَعينٌ يُبْصِرونَ بِها ، وآذانٌ يَسمَعون بها ، لَعَرَفُوا الحَقَّ بدليلِهِ ، وانْقادوا لليَقينِ مِن غيرِ تَعْليلِهِ ، وهَكَذَا أَخلافُهُم وَوُرَّاتُهُم ، قَدْ تَشَابَهت قُلُوبُهُم .

⁽۱) صَ: (۲ ـ ۷).

السابعة

الاعْتِمادُ عَلَى الكَثْرَةِ ، والاحْتِجاجُ بالسَّوادِ الأَعْظَمِ ، والاحْتِجاجُ عَلَى بُطْلان الشَّيءِ بِقِلَّةِ أَهلِهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ - تَعالى - ضِدَّ ذلكَ وما يُبْطِلُهُ ، فَقال في «الأَنْعام»: ﴿ وَإِن تُطِعُ أَحَثُرُ مَن فِ ٱلأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهُ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا اللَّانَ وَإِنْ هُمُ إِلَّا يَخُوصُونَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُ عَن سَبِيلِهِ وَهُو أَعْلَمُ إِلَّا يَخُوصُونَ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ مَن يَضِلُ عَن سَبِيلِهِ وَهُو أَعْلَمُ إِلَّهُ مُ تَذِينِ ﴾ (١).

فالكثرةُ على خِلاف الحَقِّ لا تَسْتَوْجِبُ العُدولَ عَنْ اتِّبَاعِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُ بَصِيرةٌ وَقَلَبٌ ، فالحقُّ أَحَقُّ بالاتِّباعِ ، وإن قَلَّ أَنْصارُهُ ؛ كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ مِسُوَّالِ نَعْجَئِكَ إِلَى نِعَاجِدٍ ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلُطَآءِ لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ إِلَا ٱلَّذِينَ اللهُ عَنْ أَهْلِ الصَّقِّ أَنَّهِم قليلٌ ، المَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّلِ حَتِ وَقَلِيلُ مَّاهُم ﴿ (٢) ، فأَخْبَرَ اللهُ عن أهلِ الحَقِّ أَنَّهم قليلٌ ، غيرَ أَنَّ القِلَّةَ لا تَضرُّ هُمْ:

تُعَيِّرُنا أَنَّا قِلِيلٌ عَدِيدُنا فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الْكِرامَ قَلِيلُ (٣)

⁽۱) الأنعام: (۱۱۲_۱۱۷).

⁽٢) ص : (٢٤).

 ⁽٣) البيت للشاعر اليهودي السموءل بن غريض بن عادياء الأزدي ، كما في ديوانه
 (ص ١٣) ، وذكرها القالي في «أماليه» (٢٦٩/١) ، والعباسي في «معاهد التنصيص» (٣٨٣/١).

فالمقصودُ أنَّ مَن لَهُ بَصيرةٌ ينظرُ إلى الدَّليلِ ، ويأخذُ ما يَسْتَنْتِجُهُ البُرهانُ ، وإنْ قَلَّ العارِفُونَ بِهِ ، المنْقادونَ لهُ.

ومن أَخَذَ ما عَليه الأكثرُ وما ألِفَتْهُ العامَّةُ من غيرِ نظرِ الدليلِ فهو مخطىءٌ ، سالكٌ سبيلَ الجاهليَّةِ ، مقدوحٌ عند أهلِ البصائرِ.

الثامنة

الاستدلالُ على بطلان الشيء بكونه غريباً ، فردَّ اللهُ _ تعالى _ ذلك بقوله في «هود»: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمُ أُولُواْ بَقِيَةٍ يَنْهَوْكَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِ الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنَ أَنْجَيْنَا مِنْهُمُ وَاتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتَرِفُواْ فِيهِ وَكَانُوا مُحْرِمِينَ ﴾ (١).

ومعنى الآية: ﴿ فَكُولًا كَانَ ﴾ تحضيضٌ فيه معنى التفجع ، أي: فهلا كان ﴿ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ ، أي: الأقوام المقتربة في زمان واحد ﴿ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَةٍ ﴾ ، أي: ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل ، أو ذَوو فضل ، على أن يكون البقية اسما للفضل ، والهاء للنقل ، ومِن هنا يقال: فلانٌ من بقية القوم ، أي: من خيارهم ، ومنه قولُهم: «في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا» ، ﴿ يَنْهُونَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قصصهم ، وفُسر الفسادُ بالكفر وما اقترنَ به من المعاصي ، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنَ أَنْجَيناهُمْ ؛ لِكُونِهِم كانوا ينهون (٢).

张 柒 柒

⁽١) هود: (١١٦).

⁽۲) انظر: (روح المعانى) (۱۲/۱۲ ـ ۱٦۲).

التاسعة

الاسْتِدلالُ على المطلوبِ ، والاحتجاجُ بِقومٍ أُعْطوا مِن القُوَّةِ في الفَهْمِ والإدراكِ ، وفي القُدْرَةِ والمُلكِ؛ ظَنَّا أنَّ ذلكَ يَمْنَعُهُم من الضَّلالِ.

فَرَدَّ اللهُ - تَعَالَى - ذلك عليهم بقوله - سبحانه - في «الأحقافِ»: ﴿ فَلَمَّا رَاقُهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِينِهِمْ قَالُواْ هَنَدَا عَارِضُ مُعَطِرُنَا بَلَ هُوَ مَا اَسْتَعْجَلْتُم بِهِ أَرِيحُ فِيهَا عَذَاكُ أَلِيمٌ ﴿ فَاللَّهُ مَسْكِنُهُمْ كَذَاكِ خَرِي عَدَاكُ أَلِيمٌ ﴿ فَاللَّهُ مَسْكِنُهُمْ كَذَاكِ جَرِي عَذَاكُ أَلِيمٌ ﴿ فَي اللَّهُ مَسْكِنُهُمْ كَذَاكِ جَرِي اللَّهُ مَسْكِنُهُمْ كَذَاكُ مَ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَلُ اللَّهُ وَلَا أَفْتِدَ مُهُم فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَلُوهُمْ وَلَا أَفْتِدَتُهُم فِي هَوَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَلُوهُمْ وَلَا أَفْتِدَتُهُم فِي هَا كَانُوا بِهِ عَلَى اللَّهُ وَكَا أَفْتِدَتُهُم مِن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجَحَدُونَ وَأَقْتِدَ اللّهُ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ عَسَمْرُهُمْ وَلَا أَفْتِدَتُهُم مِن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا بِهِ عَلَى اللّهِ وَاللّهُ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ عَلَى اللّهُ وَلَا أَنْ اللّهُ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ عَلَى اللّهُ وَلَا أَنْ اللّهُ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ عَلَيْهِ وَلَا أَنْ وَلَا أَلْالَالُوا اللّهُ وَاللّهُ وَحَاقَ مِهِم مَّا كَانُوا بِهِ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الل

وَمَعْنِي الآيةِ: ﴿ وَلَقَدْمَكَّنَّاهُمْ ﴾ أي: قَوَّيْنا (٢) عاداً وأقْدَرْناهُمْ.

و «ما» في قوله - تعالى -: ﴿ فِيمَا إِن مُكَنَّكُمْ فِيهِ ﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ ، و «إنْ » نافيةٌ ، أيْ : في الَّذي ، أو في شيءٍ ما مَكَنّاكم فيه من السَّعةِ والبَسْطةِ وطُولِ الأعمارِ وسائرِ مَبادِي التَّصَرُّفاتِ ؛ كما في قولهِ - تعالى - : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كُمْ (٣) أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِم مِن قَرْنِ مَكَنّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِن لَكُمْ ﴾ (١) ، ولم يكن النَّفيُ بلفظِ «ما » كراهةً لِتكريرِ اللَّفظِ ، وإنِ اخْتَلَفَ المَعْنى ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ صَمّا وَأَبْصَدُرًا وَأَفْتِدَةً ﴾ لِيَسْتَعْمِلوها فِيما خُلِقَتْ لَهُ ، وَيَعْرِفوا ﴿ وَيَعْرِفوا

⁽١) الأحقاف: (٢٤ ٢٦).

⁽٢) في المخطوطة «قرونا».

⁽٣) في المخطوطة «وكم» وهو خطأ.

⁽٤) الأنعام: (٦).

بِكُلِّ (١) مِنْها ما نِيْطَت بِهِ مَعْرِفَتُهُ مِن فُنونِ النِّعَمِ ، وَيُسْتَدَلُّ بِها على شُؤُونِ مُنْعِمِها ـ عَزَّ وجَلَّ - ، وَيداوموا على شُكْرِهِ ـ جَلَّ ثَناؤُه ـ .

﴿ فَمَا آغَنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ﴾ حَيْثُ لَم يَسْتَعْمِلُوه في اسْتِماعِ الوحي ومواعظِ الرُّسلِ ، ﴿ وَلَا أَبْصَدُهُمْ ﴾ حَيثُ لَم يَجْتَلُوا بِهَا الآياتِ الكونِيَّةَ المَرسُومةَ في صحائفِ الأعمالِ ، ﴿ وَلَا أَفْعِدَتُهُم ﴾ حَيثُ لَم يَسْتَعْمِلُوها في معرفةِ اللهِ عالى _ ﴿ وَلَا أَفْعِدَتُهُم ﴾ حَيثُ لَم يَسْتَعْمِلُوها في معرفةِ اللهِ _ تَعالى _ ﴿ وَنِ شَيْءٍ ﴾ أَيْ: شيئاً من الأشياء (٢) ، و «مِن » مَزيدَةٌ للتَّوكيدِ ، وقولُه: ﴿ إِذَ كَانُواْ يَجْمَدُونَ بَعَايَلَ اللَّهِ ﴾ تَعليلٌ للنَّفي .

﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ عِسْتَهْزِءُونَ ﴾ مِن العذابِ الذي كانوا يَسْتَعجِلونَهُ بطريقِ الاستهزاءِ ، ويَقُولونَ: ﴿ فَأَلِنَا بِمَا تَعِدُنَاۤ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴾ .

فَهذِهِ الآيةُ تُبْطِلُ الاحْتِجاجَ بقومٍ أُعْطُوا مِن القُوَّةِ في الفهمِ والإدراكِ وفي القدرةِ والملكِ؛ ظَنَّا أَنَّ ذلكَ يَمْنَعُهُم مِنَ الضَّلالِ.

ألا تَرى أَنَّ قومَ عادٍ لما أَخْبَرَ عنهم التَّنزيلُ - كانوا مِنَ القُوَّةِ والبَسْطَةِ في الأموالِ والأبدانِ والإدراكِ وسَعةِ الأذْهَانِ وغيرِ ذلك ما لم يَكن مِثْلُهُ لِلعربِ الذينَ أدركوا الإسلامَ ، وَمَعَ ذلكَ ضَلُّوا عن سواءِ السَّبيلِ ، وَكَذَّبوا الرُّسُلَ بالأباطيلِ ، فالتَّوفيقُ للإيمانِ باللهِ ورسلِه ، والإذعانِ لِلْحَقّ ، وسُلوكِ سُبُلِهِ ، بالأباطيلِ ، فالتَّوفيقُ للإيمانِ باللهِ ورسلِه ، والإذعانِ لِلْحَقّ ، وسُلوكِ سُبُلِهِ ، إنَّما هو فَضْلٌ مِنَ اللهِ - تَعالى - لا لكثرةِ مالٍ ولا لِحُسْنِ حالٍ ، وَمَنْ يَرُدَّ الحَقَّ ويَسْتَدِلَّ بِكونِ مَن هو أحسنُ حالًا مِنْهُ لم يقبلُهُ ، ولم يُحَكِّم عقلَه ، وَيَتَبعُ ما يوصِلُ إليه الدليلُ ، فقد سَلَكَ سبيلَ الجاهِلِيَّةِ ، وحادَ عن الحُجَّةِ المَرْضِيَّةِ . ما يوصِلُ إليه الدليلُ ، فقد سَلَكَ سبيلَ الجاهِلِيَّةِ ، وحادَ عن الحُجَّةِ المَرْضِيَّةِ .

ومِثلُ هذه الآيةِ: قولُه _ تعالى _: ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِذَّهِ فَلَعْنَهُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾ (٣) .

⁽١) في المطبوع «لكل».

⁽Y) في المخطوطة «الأعباء».

⁽٣) البقرة: (٨٩).

كانَ اليَهودُ يَعْلَمونَ مِنْ كُتُبِهِم رسالةَ محمَّدٍ ﷺ ، وأنَّ اللهَ سَيُرْسِلُ نبِيّاً كَرِيماً من العَرَبِ ، وكانوا مِن قبلُ يَسْتَفْتِحونَ على المُشرِكينَ ببعثتهِ ، وَيَقُولُونَ : يا ربَّنا أَرْسِلِ النَّبِيَّ الموعودَ إرسالُه ؛ حتَّى نَنتصرَ على الأعداءِ ، فَلَمَّا جاءَهُم ما عَرَفُوا ، وهو محمَّدٌ ﷺ ، كَفَروا بِهِ ؛ حَسَداً منهم أَنْ تكونَ النَّبُوَّةُ في العربِ ، وهم _ بزعمِهِم _ أحسنُ أثاثاً ورِئْياً ، ولم يَعْلموا أَنَّ النَّبُوَّةَ والإيمانَ بها فضلٌ من الله يُؤتيهِ من يَشاءُ.

ومِثلُها - أيضاً - قولُه - تعالى -: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِئَنَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ الْنَآءَهُمُ الْكِئَنَبَ مَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ الْنَآءَهُمُ الْكَئَنَهُمُ الْكَفُونَ الْحَقَّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِينَ ﴾ (١) .

الضَّميرُ في قولهِ: ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ (٢) عائدٌ على العِلمِ في قولهِ: ﴿ وَلَهِنِ الضَّميرُ في قولهِ: ﴿ وَلَهِن اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِن الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَيِنَ الظَّلِمِينَ ﴾ ، فِكِتمانُهُ الحَقَّ ، وَعَدَمُ جَرْبِهم على مُقْتَضى عِلْمِهِم لِما فيهِم مِن الجاهِليَّةِ ، والاعتقادِ أنَّ فضلَ اللهِ مقصورٌ عليهم لا يَتَعَدَّاهم إلى غيرهم.

وآية «الأنعام» موافقة لهذه الآية لفظاً ومعنى ، وهي قولُه _ تعالى _: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبُرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدًا بَيْنِ وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِى إِلَى هَلاَ الْقُرْءَانُ لِأَنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ الْمَا الْقُرْءَانُ لِأَنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ الْمَا أَنْ أَنْ أَنْ اللَّهُ الْمَا الْقُرْءَانُ لِأَنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ الْمَا مُو الله وَالله وَالله وَالله الله وَالله الله وَالله الله وَالله الله وَالله وَلَّهُ وَالله وَله وَالله وَل

⁽١) البقرة: (١٤٦ _ ١٤٧).

⁽Y) في المخطوط «يعرفون» وهو خطأ.

⁽٣) الأنعام: (١٩ ـ ٢٠).

العاشرة

الاستدلالُ بعطاءِ الدُّنيا على مَحَبَّةِ اللهِ _ تعالى _.

قال _ سُبحانه _: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ عَكَافُرُونَ ﴿ وَقَالُواْ خَوْنُ أَصَّحُرُ أَمْوَلًا وَأَوْلَلَدًا وَمَا خَوْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿ قُلُ إِنَّا يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقَدِرُ وَلَلِكِنَّ أَكُثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَمَا أَمُوالُكُمْ وَلَا أَوْلَلُكُمْ بِالنِّي الرَّقِ لَمَا أَمُولُكُمْ وَلَا أَوْلَلُكُمْ بِالنِّي اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ وَمَا أَنفَقَتُم اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَمَا أَنفَقَتُم اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا الرَّالِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا أَنفَقَتُم اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللِللَّهُ اللَّهُ ا

وقال في سورة «القصص»: ﴿ وَمَا كُنتَ بِعَانِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن زَيْكِ لِتُنذِر فَوْمَا مَّا أَتَنهُم مِّن نَديرٍ مِّن قَبْلِك لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَوَلَا مِّن زَيْكِ لِتُناوَلِكَ الْعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَوَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَوْلاَ فَنَيْعَ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

⁽۱) سبأ: (۳۶ ـ ۳۹).

⁽٢) القصص: (٢٦ _ ٥٠).

وفي آياتٍ أُخْرى في سورةِ «القَصَصِ» يَقُولُ اللهُ - سُبحانَه -: ﴿ ﴿ إِنَّ قَالُونَ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنَنُوَّأُ فَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمٌ وَءَانَيْنَهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنَنُوَّأُ لِالْفَصِّبَةِ أُولِي ٱلْقُوْرِ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنَنُواً إِلَّا تُعْمَى عَلَيْهِمٌ وَءَانَيْنَهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنَنُواً عَلَى عَلَيْهِمُ اللَّهُ ال

فقدْ كفانا اللهُ ـ تعالى ـ إبطالَ هذهِ الخَصْلةِ الجاهِلِيَّةِ بِقولِه في الآيةِ الأولى: ﴿ قُلُ إِنَّ رَبِّ يَبْشُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ ، وفي الآية الأخرى بقولِه: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَكَ ٱللهَ ﴿ . . . إلخ ، فَعَلِمْنا مِن ذلك أَنَّ محبَّةَ اللهِ ورضى اللهِ إنَّما يَكُون بطاعتِهِ والانقيادِ لرسلِه ، والإذعانِ للحقِّ باتِّباع البُرهانِ .

وأمَّا كثرةُ المالِ ، وسَعَةُ الرِّزْقِ ، وعيشُ الرَّخاءِ ، فلا دليلَ فيه على نجاةِ المُنْعَمِ عليه بِمثلِ ذلك ، ولو كانتِ الدُّنيا وما فيها تُعادِلُ عند اللهِ جَناحَ بَعوضةٍ ما سَقى مَنْ عصاهُ شربةَ ماءٍ.

قالَ _ سُبحانَه _: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكُفُرُ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكُفُرُ اللَّهِ الرَّحْنَنِ لِلنُيُوتِهِمْ سُقُفَا مِّن فِضَهِ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (٢).

وعلى ذلك قول القائل(٣):

كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَغْيَتْ مَذَاهِبُهُ وجاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقًا

⁽١) القصص: (٧٦ ٧٦).

⁽٢) الزخرف: (٣٣).

 ⁽٣) هو ابن الراوندي الملحد ، كما في «معاهد التنصيص» (١٤٧/١) رقم الشاهد
 (٢٦) ، وذكره ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (٢/٧٠٦).

ومما يُنْسَبُ لبَعضِ الأكابر(١):

رَضينا قِسْمَة الجَبَّارِ فينا فَإِنَّ المالَ يَفْنى عَنْ قريبٍ والشَّواهدُ كثيرةٌ.

لَنا عِلْمٌ وَللأعْداءِ مالُ وَإِنَّ العِلْمِ مِالُ وَإِنَّ العِلْمِ مِن اللَّهُ العِلْمَ مِن اللَّ

والمقصودُ أنَّ ما كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ مِنْ كونِ زَخارِفِ الدُّنيا مِن الأُديَّةِ على قُربِ مَن حازَها مِن اللهِ وقَبولِهِ عندَه ، فقولٌ بعيدٌ عن الحقِّ ، ومذهبٌ باطلٌ لا ينبغي لِمَنْ له بصيرةٌ أنْ يُعَوِّلَ عَلَيْهِ.

⁽۱) هذان البيتان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما في «ديوانه» (ص ۸۰)، وذكر ابن قتيبة البيت الأول منهما في «عيون الأخبار» (۱/ ٣٥٣) ونسبه إلى ابن مناذر بلفظ:

رضينا قسمة الرحمن فينا لنا علم وللثقفي مال وانظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٨٧١)، «بهجة المجالس» (١/ ١٩٩).

الحادية عشرة

الاسْتِدلالُ على بُطْلانِ الشَّيء بأخذِ الضُّعَفَاءِ بِهِ ، وضَعفِ فَهْمِ مَن أَخَذَ به ، على ما يَدُلُّ عليه قولُ قوم نُوح له كما حَكاه عنهم الكِتابُ الكريمُ.

قال _ تعالى _ في سورة «الشُّعَراءِ»: ﴿ كَذَبَتْ فَوْمُ نُوجِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَمُمُّ الْحُوهُمْ نُوجُ اَلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَمُمُّ الْحُوهُمْ نُوجُ اَلَا نَنْقُونَ ﴿ إِنِي لَكُمْ رَسُولُ آمِينٌ ﴿ فَانَقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ الْعَلَمِينَ ﴾ قَالُواً أَنْوُمِنُ لَكَ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ الْجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ قَالُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ فَ قَالُوا اللّهُ وَأَطِيعُونِ ﴿ فَا اللّهُمُ إِلّا عَلَى رَبِّ لَوْ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ قَالُوا أَنْ عَلَى رَبِّ لَوْ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١).

فانْظُرْ إلى قومِ نُوحٍ كَيفَ اسْتَنْكَفُوا مِن اتّباع نَبِيّهِم لِسَبَبِ اتّباع الضُّعفاءِ له ، وَذٰلِكَ لِكونِ مَطْمَحِ أنظارهم الدُّنْيا ، وإلّا لو كانت الآخرةُ هَمَّهُمْ ، لاتّبَعوا الحَقَّ أَيْنَما وَجَدُوهُ ، ولكن لِجاهِليَّتِهِم أَعْرَضُوا عَن الحَقِّ لاتّباع شَهُواتِهِم.

وانْظُرْ إلى هِرَقْلَ لَمَّا كان من العَقْلِ والبَصيرةِ على جانبٍ عظيم ، اعتقَدَ النَّاعَ الضُّعفاءِ دليلاً على الحَقِّ ، فقال في جُملةِ ما سألَ أبا سُفْيانَ عن رسول الله ﷺ: «وَسَأَلتُكَ عن أشْرافِ النَّاسِ اتَّبَعوه أم ضُعفاؤُهُم ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعفاءَهُمُ أَتَّبَعوه ، وهم أَتْباعُ الرُّسُلِ» (٣).

⁽١) ما بين المعكوفتين ساقط من المخطوط.

⁽٢) الشعراء: (١٠٥ ـ ١١٥).

⁽٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» ضمن حديث طويل ـ كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ (١/ ٥ ـ ٧).

ومِثلُ ذلكَ قولُه - تَعالَى - في سُورة «هُود»: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَلَيْ كُمْ نَذِيرٌ مُّيِينُ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِلَى اللَّهُ أَإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِي مِ ﴿ وَلَقَدَ أَلَيْكُمْ غَذَابَ يَوْمِ أَلِي مِ ﴿ وَلَقَالَ ٱلْمَلَا أُلَا لَيْنَ كُفُرُوا مِن قَوْمِهِ عَمَا نَرَيْكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَيْكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا مَقَالَ ٱلْمَلَا أُلَّذِينَ كَفُرُوا مِن قَوْمِهِ عَمَا نَرَيْكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَا مَن فَضَلِ بَلَ نَظُنّكُمْ اللّذِينَ هُمْ أَرَادِلُنَا بَادِى ٱلرَّأْمِي وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضَلِ بَلَ نَظُنّكُمْ كَلَدِينِ ﴾ (١) الآيات.

⁽۱) هود: (۲۰-۲۷).

الثانية عشرة

من خِصالِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ رميُ مَنِ اتَّبَعَ الحَقَّ بِعَدَم الإِخلاصِ ، وطَلَبِ الدُّنيا ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيهم بقولِ نَبِيِّهِم الَّذي حكَاهُ اللهُ عن نوح في الآيةِ الأولى المذكورةِ في المسألةِ الحاديةَ عشرةَ ، بقوله: ﴿ فَالُوا أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ شَيَّ قَالَ وَمَا عِلْيي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ شَيْ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ (١).

ومقصودُهُم أنَّ أَتْبَاعَكَ فقراءُ ، آمَنوا بِكَ؛ لِينالوا مقصدَهُم مِن العَيْشِ ، لا أنَّ إيمانَهم كان لِدَليلِ يَقْتَضي صِحَّةَ ما جئتَ بِهِ؛ فَلِهذا رَدَّ عَلَيهم بِما رَدَّ.

⁽١) الشعراء: (١١١ ـ ١١٣).

الثالثة عشرة

من خِصالِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ: الإعراضُ عَن الدُّخولِ في الحَقِّ الذي دَخَلَ فِيهِ الضَّعَفَاءُ؛ تَكَبُّراً وَأَنَفَةً.

فردَّ اللهُ - تعالى - عَلَيْهِم ذلك بقولِه في سُورةِ «الأنعام»: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَرْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَةً مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءِ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءِ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءِ وَمَا مِنْ حَسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءِ فَتَطُرُدهُم فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ وَكَالِكَ فَتَنَا بَعْضَهُم حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن أَلْقُلْ لِمِينَ ﴾ (١) . بِبَعْضِ لِيَقُولُوا أَهَا فَكُولَا مَن اللهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا أَلْيَسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاحِينَ ﴾ (١) .

ومِثلُ ذلكَ قوله _ تَعالى _: ﴿ عَبْسَ وَتُولَٰتُ ۚ إِنَّ أَن جَآهُ أَلاَغَمَى ﴾ (٢) .

وغير ذلكَ.

وحاصلُ الرَّدِّ: أَنَّ مَن آمَنَ مِن هؤلاءِ الضُّعفاءِ ، إِنَّما كَانَ إِيمانُهُ عَن بُرهانٍ ، لا كما زَعَمَ خُصومُهُم ، وَلَسْتَ أنتَ بمسؤولٍ عنهم ، ولا هم مسؤولونَ^(٣) عن حِسابِك ، فطردُهم عن باب الإيمانِ من الظُّلمِ بِمَكانٍ.

⁽١) الأنعام: (٢٥ _ ٥٣).

⁽Y) عبس: (Y _ Y).

⁽٣) في المطبوع «بمسئولين».

الرابعة عشرة

الاستتِدْلالُ على بُطلانِ الشَّيء بِكُونِهم أَوْلى بِهِ لَوْ كَانَ حَقًّا.

قالَ _ تعالى _ في سورةِ «الأحقاف»: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوّ كَانَ خَيْرًا مَّاسَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْ تَدُواْ بِهِ وَنَسَيَقُولُونَ هَلَآا إِفْكُ قَدِيمٌ ﴾ (١).

بعدَ قولِه: ﴿ قُلُ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدُ مِّنَ بَنِيَ إِسْرَةِ مِلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَأَامَنَ وَأَسْتَكُبَرْتُمُ إِنَ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

⁽١) الأحقاف: (١١).

⁽٢) الأحقاف: (١٠).

الخامسة عشرة

الاسْتِدلالُ بِالقياس الفاسِدِ ، وإنكارُ القِياسِ الصَّحيحِ ، وجَهْلُهُمْ بِالجامع والفارِقِ.

قال _ تعالى _ في سورة «المؤمنين»: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلُوُّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن فَوْمِهِ مَا هَلَاً إِلَّا بَشَرُّ مِثْلُكُوْ يُرِيدُ أَن يَنفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَيْهِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي اَبَاذَا فِي اَلْهُ لِأَنزَلَ مَلَيْهِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي اَبَالَا لَا اللَّهُ الللْمُوالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

ومَعنى (٢) الآيةِ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾: شُروعٌ في بيانِ إهمالِ النَّاسِ ، وتركِهِم النَّظَرَ والاعتبارَ فيما عَدَّدَ ـ سُبحانَه ـ مِن النَّعَمِ قَبْلَ هِذه الآيةِ ، وما حاقَهُمْ (٣) مِن زَوالِها ، وفي ذلك تخويفٌ لِقريشٍ .

وتقديمُ قصَّةِ نوح _عليه السَّلامُ _على سائرِ القَصَصِ مِمَّا لا يَخْفى وجهُهُ ، فَقَالَ مُتَعَطِّفاً عليهم ، ومُسْتَميلًا لهُمْ إلى الحَقِّ: ﴿ يَقَوْمِ ٱعْبُدُوا اللّهَ ﴾ ، أي: اعْبُدوهُ وحدَه.

﴿ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ﴾: استئنافٌ مَسوقٌ لِتعليلِ العبادةِ المأمورِ بِها.

﴿ أَفَلًا نَنَّقُونَ ﴾: الهَمْزَةُ لإنكارِ الواقع واستقباحِهِ ، والفاءُ للعطفِ على

⁽١) المؤمنون: (٢٤ ـ ٢٥).

⁽٢) في المطبوع: (وقبل).

 ⁽٣) في المخطوط والمطبوع «ومن خافهم» ، وما أثبته من «روح المعاني» (٢٥/١٨)
 الذي نقل عنه المؤلف تفسير هذه الآيات.

مقدَّرِ يَقْتَضيهِ المَقامُ ، أَيْ: أَتَعْرِفُونَ ذلكَ ، أَيْ: مَضْمُونَ قُولِهِ ـ تَعالى ـ: ﴿ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ، فلا تَتَقُونَ عَذابَهُ ـ تَعالى ـ الذي يَسْتَوجِبُهُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ عِبادتِهِ ـ سبحانه ـ وحْدَه ، وإشراكِكُم بِهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ في العبادةِ مَالا يَسْتَجِقُ الوجودَ لَوْلا إيجادُ اللهِ إيّاه ، فَضْلاً عنِ اسْتِحْقَاقِ العبادةِ ، فالمُنْكُرُ عدمُ الاتِقاءِ ، مَعَ تَحَقُّقِ ما يوجبُه.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَا ﴾ أي: الأشرافُ الذينَ كَفَروا مِن قومِه ، وُصِفَ الملأ بالكُفْرِ مَعَ اشْتِراكِ الكُلِّ فيه ؛ للإِيْذانِ بِكمالِ عَراقَتِهِم وشِدَّةِ شَكيمَتِهِم فيه ، وليسَ المُرادُ مِن ذلكَ إلاَّ ذَمَّهُم ، دُونَ التَّمَيُّزِ عن أشْرافِ آخرينَ آمَنوا بِهِ عليهِ السَّلامُ - أو لم يُؤمِنْ بِهِ أَحَدٌ مِن أشْرافِهِم ، كما يُفصِحُ عنه قولُه : ﴿ وَمَا نَرْلُكَ أَتَبْعَكَ إِلّا ٱلَّذِينَ هُمُ أَرَاذِلْنَا ﴾ وهذا القولُ صَدَرَ مِنْهُم لِعَوامِّهِم .

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُو ﴾ أيْ: في الجِنسِ والوصفِ ، من غيرِ فرقٍ بَيْـنَـكُم وبَـيْـنَه .

وَصَفُوهُ - عليه السَّلامُ - بِذَلِكَ مَبالَغَةً في وضْعِ رُتُبَتِهِ العاليةِ وحَطِّها عن مَنْصِبِ النَّبُوَّةِ ، وَوَصفوه (١) بقولِهِ - سبحانه وتعالى -: ﴿ يُوِيدُ أَن يَنَفَضَّلَ عَلَيْحَكُمْ ﴾: إغْضاباً لِلْمُخاطَبينَ عَلَيْهِ - عليه السلام - وإغراءً لهم على معاداته.

والـتَّـفَضُّلُ: طَلَبُ الفَصْلِ ، وهو كِنايَـةٌ عنِ السِّيادَةِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يُريدُ أَنْ يَسودَكُمْ وَيَـتَـقَدَّمَكُمْ بادِّعاءِ الرِّسالةِ ، مَعَ كَوْنِهِ مِثْلَكُمْ.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَزَلَ مَلَكَيْكَةً ﴾: بيانٌ لِعَدَمِ رسالةِ البَشَرِ عَلَى الإطلاقِ على زَعْمِهِم الفاسِدِ ، بَعْدَ تَحْقيقِ بَشَرِيَّتِهِ _ عَلَيهِ السَّلامُ _.

أَيْ: وَلَو شَاءَ اللهُ _ تَعالى _ إرسالَ الرُّسُل ، لأَرْسَلَ رُسُلًا مِنَ المَلائكةِ ،

⁽١) في المطبوع «وصفوه».

وإنَّما قيلَ: لأنْزَلَ؛ لأنَّ إرْسالَ المَلائِكَةِ لا يكونُ إلا بطريقِ الإنزالِ.

﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَاذَا فِي ءَابَآبِنَا ٱلْأُوَّلِينَ ﴾ ، هذا إشارةٌ إلى الكلام المُتَضَمِّنِ الأُمرَ بعبادةِ اللهِ _ عَزَّ وجَلَّ _ ، خاصَّةً والكلامُ على تقديرِ مُضافٍ ، أيْ: ما سَمعنا بهذا الكلامِ في آبائِنا الماضينَ قَبْلَ بعثتِه _ عليه السَّلامُ _ ، وقُدِّر المُضافُ؛ لأنَّ عدمَ السَّماع بِكلامِ (١) نوحِ المذكورِ لا يصلُحُ لِلرَّدُ؛ فإنَّ السَّماعَ بِمِثْلِهِ (٢) كافٍ (٣) في القَبولِ .

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلُ بِهِ عِنَّةً ﴾ ، أيْ: ما هو إلَّا رَجُلٌ به جُنُونٌ أو جِنٌّ يَخْبُلُونَهُ ؛ ولِذَٰلِكَ يَقُولُ ما يَقُولُ .

﴿ فَ تَرَبَّصُواْ بِهِ عَقَى جِينِ ﴾، أَيْ (٤): فاحْتَمِلُوهُ، واصْبِروا عليهِ، وانْتَظِروا لَعَلَهُ وَالْعِنادِ. لَعَلَهُ يَفْيِقُ مِمَّا هُو فيهِ مَحْمُولٌ على مَرامي أَحْوالِهِمْ في المُكابَرَةِ والعِنادِ.

وإضْرابُهُم عَمَّا وَصَفوه عليه السلام به مِن البَشَرِيَّة ، وإِرادةِ التَّفَضُّلِ ، إلى وصفه بِما تَرَى ، وَهُم يَعْرِفونَ أَنَّه عليه السلام أرجَحُ النَّاس عَقْلاً ، وأَرْزَنُهُم قَولاً ، وهو [على ما تقدم] (٥) مَحْمول على تَناقُضِ مَقالا تِهِم الفاسِدَةِ قاتلَهم اللهُ تَعالى أَنَّى يُؤفَكُون (٢) ..

والقياسُ الفاسدُ والصَّحيحُ ، والجامعُ والفارِقُ ، مُفَصَّلٌ في كتبِ الأصولِيِّينَ.

فَبَيْنَ الرُّسُلِ ـ عليهم السلام ـ وسائرِ النَّاسِ مُشَابَهَةٌ مِن جهةِ البشريَّةِ

⁽١) في المطبوع «لكلام».

⁽Y) في المطبوع «لمثله».

⁽٣) في المطبوع «كان».

⁽٤) «أي»: ساقطة من المطبوع.

⁽٥) ما بين المعكوفتين زيادة من «روح المعاني» ، حتى ينتظم بها السياق.

⁽٦) «روح المعاني» (١٨/ ٢٥ ـ ٢٦).

ولوازِمِها الضَّروريَّةِ ، فَيَصِحُّ حِينئذِ قياسُ الرُّسُلِ على غيرِهِم فيها ، وعليه قولُه ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّمَاۤ أَنَا بُشَرُّ مِّتُلُكُمْ ﴾ (١).

وبَيْنَ الرُّسُلِ والأنبياءِ عليهم السلام وغيرهِم مِنَ البَشَرِ فُروقٌ كَثيرةٌ:
مِنها: أنَّ الله على السَّاسِ بِهِم على النَّاس بِرسالاتِه (٢) وبكلامِه ووحْيه ، فَلا يُقاسُ أَحَدٌ مِن النَّاسِ بِهِم حِينئذ مِن هذه الجِهَةِ ، كَمَا لا يَصِحُّ قياسُ غيرِهم بِهِم في سائِر خَصَائِصِهم التي فُصِّلَتْ في غير هذا المَوْضِع ، فالجاهِليَّةُ لم يُميِّزوا بَيْنَ القِياسِ الصَّحيح والفاسِدِ ، ولا عَرَفوا الجامع ولا الفارِق ، كما سَمِعْتَ مِن قِياسِهِم الرُّسُلَ على غيرِهم ، وهكذا أَتْباعُهُمُ اليومَ ومَن هو على شاكِلَتِهمْ.

⁽١) الكهف: (١١٠)، وفصلت: (٦).

⁽٢) في المطبوع «برسالته».

السادسة عشرة

الغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ مِن العُلَماءِ والأولياء؛ كقولهِ - تَعالى - في سورة «التَّوبةِ»: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلْمَسِيحُ آبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَى ٱلْمَسِيحُ آبْنُ ٱللَّهُ وَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبَلُ قَلَمُلُهُ مُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفِهُ مِ بِأَفْوَهِ فِي مَنْ يُصَالِعُ وَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبَلُ قَلَمُلُهُ مُ اللَّهُ أَنَّ يُوفِي فَوْكُونَ فَي التَّهُ اللَّهُ مَا أَمْ مُوا إِلَّا لِيعَبُ دُوا إِلَهُ وَرُهُ اللَّهِ بِأَفْوَهِ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ مَا أَمُ مُوا إِلَّا لِيعَبُ دُوا إِلَهُ وَلَهُ مِنْ اللَّهُ إِلَا لِيعَبُ دُوا إِلَهُ وَلَهُ مِنْ اللَّهُ إِلَا لَهُ مُلْمَعُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَهِ مِنْ الْمُعْولُ وَلَا اللَّهُ بِأَوْلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ مِنْ الْمُعْولُ اللَّهُ وَالْمُولِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ ولَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَالْولَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

فاتّخاذُ أحبارِ النَّاسِ أَرْبَاباً يُحَلِّلُونَ وَيُحَرِّمُونَ ، وَيَتَصَرَّفُونَ في الكُونِ ، ويُتَصَرَّفُونَ في الكُونِ ، ويُنادَونَ في دَفعِ ضُرِّ أو جَلْبِ نَفْع مِن جاهِلِيَّةِ الكِتَابِيِّينَ ، ثُمَّ سَرى إلى غيرِهِم من جاهِلِيَّةِ العَرَبِ ، ولَهمُ اليومَ بقايا في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها ، تصديقاً لِقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتَبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . . .» ومَغارِبِها ، حتَّى نَرى غالبَ النَّاسِ اليومَ مُعْرِضينَ عن اللهِ ، وعن دِينهِ الحديث (٢) ، حتَّى نَرى غالبَ النَّاسِ اليومَ مُعْرِضينَ عن اللهِ ، وعن دِينهِ

⁽١) التوبة: (٣٠ ـ ٣٢).

⁽٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الأنبياء _ باب ما ذكر عن بني إسرائيل _ (٤) ١٤٤)، وفي كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» _ باب قول النبي على: «لتبعن سنن من كان قبلكم» (٨/ ١٥١)، ومسلم في «صحيحه» _ كتاب العلم _ باب اتباع سنن اليهود والنصاري _ (٤/ ٢٠٥٤) ح ٢٦٦٩.

الذي ارْتَضاه ، مُتَوَغِّلينَ في البِدَع ، تائِهينَ في أودِيَةِ الضَّلالِ ، مُعادينَ لِلْكِتابِ والسُّنَّةِ ومَن قامِ بِهِما ، فأصَبَحَ الدِّينُ مِنهم في أنينٍ ، والإسلامُ في بَلاءِ مبينٍ ، وحسبُنا اللهُ ، ونِعْمَ الوَكيلُ.

السابعة عشرة

اعْتِذَارُهم عَنِ اتِّباعِ الوَحْي بِعَدَمِ الفَهْمِ.

قال _ تعالى _ في سورة «البَقَرة»: ﴿ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئَابَ وَقَفَيْ نَا مِنْ بَعْدِهِ عِ إِلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَكُ بِرُوجِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَمَا جَآءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لَا نَهْوَى آنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا نَقْنُلُوبَ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا عُلْفُ أَبِل لَعَنَهُمُ ٱللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وفي سورة «النّساء»: ﴿ فَيِمَا نَقْضِهِم مِّيثَنَقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِثَايَتِ ٱللَّهِ وَقَلْلِهِمُ ٱلْأَنْبِيَآء بِغَيْرِحَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلَفًا بَلَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢).

الغُلْفُ: جمعُ أغْلَفَ ، كَأَحْمَرَ وحُمْرٍ ، وهو الذي لا يفقهُ ، وأصلُه ذو القَلَفَةِ: الذي لم يُخْتَنْ ، أو جَمْعُ غِلافٍ ، ويُجمعُ على غُلُفٍ بِضَمَّتَيْنِ _ أيضاً _.

أرادوا على الأوَّلِ: قُلُوبُنا مُغَشَّاةٌ بأغشيةٍ خَلْقِيَّةٍ مانِعَةٍ عن نُفُوذِ ما جئتَ بِهِ فيها.

وهذا كقولِهِم: ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَةٍ مِمَّا لَذَعُونَاۤ إِلَيْهِ ﴾ (٣) ، قَصَدوا به إقناطَ النَّبيِّ ﷺ عن الإجابةِ ، وقَطْعَ طَمَعِهِ عنهم بالكُلِّيّةِ .

⁽١) البقرة: (٨٧ ـ ٨٨).

⁽٢) النساء: (١٥٥).

⁽٣) فصلت: (٥).

ومِنْهم مَنْ قالَ: معنى غُلْف: مُغَشَّاةٌ بِعُلومٍ مِنَ التَّوراةِ تحفظُها أَنْ يَصلَ إليها ما تأتي به ، أو بِسلامةٍ مِنَ الفِطْرَةِ كذلكَ.

وعلى الثَّاني أنَّها أوعِيَةُ العِلْمِ ، فَلَو كانَ ما تَقولُهُ حَقَّاً وَصِدْقاً لَوَعَتْهُ.

قالَ ابنُ عَبَّاس^(۱) وقَتَادةُ والسُّدي^(۱): أو مملوءَة عِلماً ، فَلاَ تَسَعُ بعدُ شيئاً ، فَنحنُ مُسْتَغْنونَ بِما عِنْدَنا عَنْ غَيرهِ.

ومنهم (٣) مَنْ قالَ: أرادوا أنَّها أوعِيَة العِلْمِ؛ فَكَيْفَ يَحِلُّ لنا اتِّباعُ الأُمِّيِّ. ولا يخفى بُعْدُهُ (٤).

وقَال - تعالى - في سورةِ «هود»: ﴿ وَيَنقَوْمِ لَا يَجْرِمَنّكُمْ شِقَاقِ أَن يُصِيبَكُمُ مِثْقَاقِ أَن يُصِيبَكُمُ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوجٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنكُم يُصِيبَكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوجٍ أَوْ قَوْمَ صَلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنكُم يَسِيبَ فِي وَاسْتَغْفِرُوا رَبّكُمْ تُومُوا إِلْتَهُ إِنّ رَقِ رَحِيثُ وَدُودٌ فَيَ قَالُوا يَنشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمّا نَقُولُ وَإِنّا لَنَرَىنكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلُولًا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَكُ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا فَعَرِيزٍ ﴾ (٥).

وهذه الآيةُ بمعنى الآيةِ الأولى ، وقد كَذَّبَهُمُ اللهُ _ تعالى _ في دَعواهم هذهِ في آياتٍ كثيرةٍ ، وذَكرَ أنَّ السَّبَبَ في عَدَم الفَهْمِ إنَّما هو

⁽۱) أخرجه _ بنحوه _ ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٠٧) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٢).

⁽٢) نسب هذا التفسير إليهما الألوسي في «روح المعاني» (١/ ٣١٩) ، ولم يذكر من أخرجه.

⁽٣) وهو عطية العوفي كما في «تفسير ابن جرير» (٤٠٧/١)، وابن أبي حاتم(٢٧٢/١).

^{(3) «}روح المعاني» (١/ ٣١٩).

⁽٥) هود: (٨٩_٩١).

الطَّبْعُ على القُلوبِ بِكُفْرِهِم ، لا القُصورُ في البيانِ والتَّفهيمِ.
وما أحسنَ قولَ القائل^(۱):
والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأبصارُ صورتَه والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا لِلنَّجْمِ في الصِّغَرِ

⁽١) وهو أبو العلاء المعري كما في ديوانه «سقط الزند» (ص ٤٤).

الثامنة عشرة

من خِصالِ الجاهِلِيَّةِ أَنَّهم لا يَقْبَلُونَ مِنَ الحَقِّ إلاَّ ما تَقُولُ بِهِ طائِفَتُهُمْ.

قال - تعالى -: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكَفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمُّ قُلُ فَلِمَ تَقَّنُلُونَ أَبْلِيآ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُم مُّوْمِنِينَ ﴾ (١).

وَمَعنى ﴿ فُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾؛ أيْ: نَسْتَمِرُ عَلَى الإِيمان بالتَّوراةِ وما في حُكْمِها مِمَّا أُنزِلَ في تقريرِ حُكْمِها.

ومرادُهم بضميرِ المُتكَلِّمِ إِمَّا أنبياءُ بَني إسرائيلَ ـ وهو الظَّاهرُ فيه ـ إيماءً إلى أنَّ عدمَ إيمانِهم بالقرآنِ كانَ بغياً وحَسَداً على نَزولِهِ على مَنْ لَيْسَ مِنهم ، وإمَّا أنفُسُهُم.

ومعنى الإنزالِ عليهم: تكليفُهُم بِما في المُنزَّلِ مِن الأحكام.

وَذُمُّوا على هذهِ المقالةِ؛ لِما فيها مِن التَّعريضِ بِشأْنِ القرآنِ _ ودَسائسُ اليهودِ مشهورةٌ _ أو لأنَّهم تَأْوَّلوا الأمرَ المُطْلَقَ العامِّ ، وَنَزَّلوه على خاصِّ ، هو الإيمانُ بِما أُنزِلَ عَليهم ، كَما هو دَيْدَنُهُم في تأويل الكِتابِ بغيرِ المرَادِ منهُ.

⁽١) البقرة: (٩١).

﴿ وَيَكُفُرُونَ بِمَا وَرَآءَمُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ ، أَيْ: هُمْ مقارنونَ لِحَقِّيَّتِهِ (١) ، أَيْ: عالِمونَ بِها.

﴿ مُصَدِّقًا لِمَامَعَهُمُ ۗ لأَنَّ كُتُبَ اللهِ يُصَدِّقُ بعضُها بعضاً ، فالتَّصديقُ لازِمٌ لا يَنْ تَقِلُ ، وقد قَرَّرَتْ مَضمونَ الخَبَرِ (٢)؛ لأنَّها كالاسْتِدلالِ عليه؛ ولِهذا تَضَمَّنت رَدَّ قولِهِم: ﴿ نُوَمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ حَيثُ إنَّ مَنْ لمْ يُصَدِّقْ بِما وافَقَ التَّوراةَ ، لم يُصَدِّقْ بِها.

﴿ قُلَ فَلِمَ تَقَّنُكُونَ أَنْبِيآ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ ﴾ أَمْرٌ للنّبيِّ ﷺ أَنْ يقولَ ذلكَ تَبْكيتاً لهم ، حيثُ قَتَلوا الأنبياءَ مَعَ ادِّعاءِ الإِيمانِ بالتَّوراةِ ، وهِيَ لا تُسَوِّغُهُ (٣).

⁽١) في المطبوع «لحقيقته»، وما أثبته هو الموافق لما في «روح المعاني» الذي نقل المؤلف الكلام منه.

⁽٢) في المطبوع «الخير».

⁽٣) انظر: «روح المعاني» (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢).

التاسعة عشرة

من خِصَالِهم: الاعتياضُ عن كِتابِ اللهِ - تعالى - بكُتُبِ السِّحرِ:

كَما قالَ - تعالى - في سورةِ «البقرةِ»: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَسَدَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِئْبَ كِتَبَ اللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَسَدَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الشَّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانٌ وَمَا كَفَرَ كَانَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الشَّيطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيطِينِ كَفَرُوالْعُلِمُونَ الشَّيطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَا أَنْ المَلَكَيْنِ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيطِينِ كَفَرُوالْعُلِمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْوِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِيالِلَ هَلُوتَ وَمَنُوتَ وَمَا وُمَا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْولَ عَلَى الْمَلَكِينِ بِيالِلَ هَلُولُكُ إِنَّا اللَّهُ وَلَا يَنْفُولُا إِنَّامَ الْمُلْكِينَ الْمَرْوِقُ وَمَا عُمُولُونَ وَمَنْهُمُ مَا مَا يُفَرِقُونَ بِهِ عِنْ الْمَرْوِقُ وَرَقَعِهِ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ مِن أَحَدٍ فَيَ عَلَيْكُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِقُونَ بِهِ عَبْنَ الْمَرْوِقُ وَرَقَعِهِ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ مِن أَحَدُ اللَّهُ وَيَنْعَلَمُونَ الْمَنْ الشَّرَوالْ بِهِ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ مِن أَحَدِ اللَّهُ وَيَنْعَلَمُونَ الْمَنْ الشَّرَولُ اللَّهُ وَيَنْعَلَمُونَ الْمَالُهُ مُنْ الْمُ اللَّهُ مِنْ الْمَالِي وَلَا يَنْفُعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفُعُونَ الْمَالَةُ مُنَا اللَّهُ مِنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُولِ الْمَالِمُ وَلَا عَلَى الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُولِ الْعَلَى الْمُولِ الْمَالِمُ اللَّهُ مُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ الْمُولِ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلِقُولُ الْمَالِلَةُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْلِقُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُولِ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُولِ الْمُؤْلِ الْمُلِلَةُ الْمُنْ ال

والكلامُ على هذهِ الآيةِ في التَّفاسيرِ مشهورٌ.

وهذه الخَصلةُ الجاهِلِيَّةُ مَوجودةٌ اليومَ في كَثيرٍ مِن النَّاسِ ، لاسِيَّما مَن انتسبَ إلى الصَّالِحينَ وهو عنهم بِمراحِلَ ، فَيَتَعاطَى الأعمالَ السِّحريَّةَ مِن إمساكِ الحَيَّاتِ ، وضَرْبِ السِّلاحِ ، والدُّخولِ في النِّيرانِ ، وغيرِ ذلك إمساكِ الحَيَّاتِ ، وضَرْبِ السِّلاحِ ، والدُّخولِ في النِّيرانِ ، وغيرِ ذلك

⁽۱) في المخطوط «فيتعلمون» ، وهو خطأ.

⁽٢) البقرة: (١٠١ _ ١٠٢).

ممّا(١) وَرَدَتِ الشَّرِيعةُ بِإِبْطَالِهِ ، فَأَعْرَضُوا ، ونَبَدُوا كتابَ اللهِ وَراءَ ظُهُورِهِم ، واتَّبَعُوا مَا أَلْقَاه إليهِم شَياطينُهُم ، وادَّعُوا أَنَّ ذلكَ مِنَ الكَراماتِ ، مَعَ أَنَّ الكَرامةَ لا تصدرُ عن فاسِقٍ ، ومَنْ يَتَعاطى تلكَ الأعمالَ فِسْقُهُم ظاهِرٌ لِلْعَيانِ ، ولِذَا اتَّخَذُوا دِيْنَهُم لَعِباً ولَهُوا ، وفي مِثْلِهِم قالَ ـ تعالى ـ : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَعْسَبُونَ أَنَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٢).

⁽١) في المخطوط «من وردت».

⁽٢) الكهف: (١٠٤).

العشرون

تَناقُضُهُم في الانتسابِ ، فَيَنْتَسِبونَ إلى إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ وإلى الإسلام ، مَعَ إِظْهَارِهِمْ تَرْكَ ذلكَ ، والانتسابَ إلى غيرِه.

الحادية والعشرون

تَحْرِيفُ كلامِ اللهِ مِن بعدِ ما عَقَلُوهُ وهُمْ يَعْلَمُونَ. ولَكَمْ في هذا العَصْرِ مَنْ هو على شاكِلَتِهِمْ ، تَراه يَصْرِفُ النُّصوصَ ، وَيُؤوِّلُها إلى ما يَشْتَهِيهِ مِنَ الأَهْواءِ.

الثانية والعشرون

تَحْرِيفُ العُلماءِ لِكُتُبِ الدِّينِ.

قال الله - تَعالى -: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِيتُونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِنْبَ إِلَّا أَمَانِيَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُونَ ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِيتُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ إِلَّا يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ إِلَّا يَعْلَمُونَ هَاذَا مِنْ عِندِ ٱللّهِ لِيَشْتَرُواْ يَظُنُّونَ ﴿ فَوَيْلُ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) . يهِ وَوَيْلُ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

وَمَن نَظَرَ إلى قُضاةِ هذا الزَّمانِ وما تَلاعَبوا بِهِ مِنَ الأحكامِ ، وصَرْفِ النُّصوصِ إلى ما تَهْواهُ أَنْفُسُهُم ، وتبديلِ الحَقِّ وإبطالِهِ ، بِما يَنالونَه من النُّصوصِ إلى ما تَهْواهُ أَنْفُسُهُم ، وتبديلِ الحَقِّ وإبطالِهِ ، بِما يَنالونَه من النُّصوصِ إلى ما تَهْواهُ أَنْفُسُهُم ، تبيَّنَ لَهُ (٢) من ذلك بحرٌ لا ساحل لَهُ.

وَهَكَذا بعضُ المُبْتَدِعَةِ وغلاةُ القُبورِ ، وقد بُيِّنَ حالُهُم في غيرِ هذا الموضِع.

⁽١) البقرة: (٧٨ ـ ٧٩).

⁽٢) في المخطوط «لهم».

الثالثة والعشرون

وهي من أعجَبِ المسائلِ والخصالِ: مُعاداةُ الدِّينِ الذي انْتَسَبوا إليهِ أَشَدَّ العداوةِ ، ومُوالاتُهم لِمَذْهَبِ الكُفَّارِ الذين فارَقُوهُم أَكْمَلَ الموالاةِ.

كما فَعَلُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لمَّا أَتَاهُمْ بِدينِ مُوسَى ، واتَّبَعُوا كُتُبَ السِّحْرِ ، وَهُو مِنْ دِينِ آلِ فرعونَ.

ومِثلُ هؤلاءِ في الأُمَّةِ الإسلامِيَّةِ كثيرٌ ، هَجَروا السُّنَّةَ ، وعادَوْها ، وَنَصَروا أقوالَ الفَلاسِفَةِ وأَحْكامَهُمْ.

الرابعة والعشرون

أَنَّهُم لَمَّا افْتَرَقوا _ وَكُلُّ طَائِفَةٍ لا تَقْبَلُ مِنَ الحَقِّ إلاَّ مَا قَالَتْهُ طَائفتُهُم ، وَكَفَروا بِمَا مَعَ غَيرِهِم مِنَ الحَقِّ _.

قالَ _ تَعالَى _ في سورة «البَقَرَةِ»: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَرَىٰ لَالْسَنَتِ ٱلنَّصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءِ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِئَنَبُ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحَكُمُ بَيْنَهُمْ [يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ] (١) فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ﴾ (٢).

ولا شَكَّ أَنَّ هذا (٣) مِنَ الخِصالِ الجاهِلِيَّةِ ، وَعَلَيه اليومَ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ ، لا يَعْتَقِدُ الحَقَّ إلاَّ مَعَهُ ، لا سِيَّما أربابُ المذاهِبِ ، يَرى كُلُّ أَهلِ مَذْهَبٍ أَنَّ الدِّينَ مَعَه لا يَعْدوهُ إلى غيرِه ، وكُلُّ حِزْبِ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحونَ . وَكُلُّ مِنْ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

والحَزْمُ أَنْ يَنْظُرَ إلى الدَّليلِ ، فما قام عليه الدَّليلُ ، فهو الحَقُّ الحَريُّ أَن يُتَلقَّى بالقَبولِ ، وما لَيْسَ عَلَيْهِ بُرْهانٌ ولا حُجَّةٌ يُنْبَذُ وَراءَ الظُّهورِ. وكلُّ أَحَدٍ يُؤخذ من قَولِهِ ويُرَدُّ إلاَّ مَن اصْطفاهُ اللهُ لِرِسَالَتِهِ.

⁽١) ما بين المعكوفتين ساقط من المخطوط.

⁽٢) البقرة: (١١٣).

⁽٣) في المطبوع: «هذه».

⁽٤) نسبه شيخ الإسلام إلى مجنون بني عامر ، انظر: «مجموع الفتاوي» (٤/ ٧١).

الخامسة والعشرون

أَنَّهُم لَمَّا سَمِعُوا قُولَه ﷺ في حَديثِ الأَفْتِراقِ: "وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إلى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّها في النَّار إلاَّ واحِدَةً»؛ ادَّعَى كُلُّ فَرْقَةٍ أَنَّها هِي النَّاجِيَةُ.

كما حَكى اللهُ عَن اليهودِ والنَّصارى في قولِهِ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (١).

مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ في آخِرِ الحَديثِ المُرادَ مِنَ الفرْقَةِ النَّاجِيَةِ ، فقالَ: «وَهُمْ مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيه وأصْحابِي»(٢) أو كما قالَ.

⁽١) البقرة: (١١٣).

⁽Y) أخرجه بلفظ: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" الترمذي في "جامعه"

- كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ـ (٢٦/٥) ح ٢٦٤١ ، وقال:

"هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه" ، وابن وضاح في

"البدع والنهي عنها" (ص ٥٣ م ٥٠) ، والآجري في "الشريعة" (ص ١٦) ، وفي كتاب

"الأربعين" (ص ٥٣ ـ ٥٥) ، والعقيلي في "الضعفاء الكبير" (٢٦٢/٢) ، وابن

نصر المروزي في "السنة" (ص ٣٣) ح ٥٩ ، والحاكم في "المستدرك" ـ كتاب

العلم ـ (١/١٨١ ـ ١٢٩) وسكت عنه ، وسكت عنه الذهبي من حديث

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وأخرجه الطهراني في "المعجم الكبي" (١٧٨/٨) ، وفي "المعجم الصغير"

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٨/٨)، وفي «المعجم الصغير» (٢٦٢/١)، والعقيلي في «تاريخ واسط» (٢٦٢/٢)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص ١٩٦) عن أنس، وفي إسناده عبد الله بن سفيان، وهو ضعيف.

وَرَدَّ اللهُ - تَعالَى - عليهم بقولِه: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَرَئُ تِلْكَ آمَانِيَّهُمْ مُّ قُلْ هَاتُواْ بُرَهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴿ بَالَ مَن أَسْلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ وَأَمُوهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾ (١).

والمَقصودُ أنَّهم لَيْسَ لَهم بُرهانٌ على هذهِ الدَّعْوى ، بَلِ الدَّليلُ على خِلافِ ذٰلِكَ.

وَأبو العَبَّاسِ تَقِيُّ الدِّينِ تَكَلَّمَ على حَديثِ الفِرَقِ في كِتابِهِ «مِنهاجِ السُّنَّةِ» بِما لا مَزيدَ عَلَيه ، حَيثُ اسْتَدَلَّ بِهِ الرَّافِضِيُّ على حَقيقَةِ مَذهبِهِ وبُطلانِ مَذهب أهل السُّنَّةِ ، فراجِعْهُ إِنْ أَرَدْتَهُ (٢).

※ ※ ※

وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ١٧٨) عن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبي أمامة
 قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «وفيه كثير بن مروان ، وهو ضعيف جداً».

⁽١) البقرة: (١١١ ـ ١١٢).

⁽Y) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٤٤٣ _ ٥٠٦).

السادسة والعشرون

أنَّهم أنْكَروا ما أقَرُّوا أنَّه مِن دِينِهِم ، كَما فَعَلوا في حَجِّ البَيتِ ، فَتَعَبَّدوا بِإِنْكارِهِ والبراءَةِ مِنه مَعَ ذلكَ الإقرار.

إلى أَنْ قَالَ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةٍ إِبْرَهِ عَم إِلّا مَن سَفِهَ نَفْسَةً وَلَقَدِ أَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَأَ وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِن ٱلصَّلِحِينَ ﴿ إِنْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْلِمٌ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْمَالَمِينَ ﴿ اللّهَ اَصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ الْمَالَمِينَ ﴿ اللّهَ اَصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ اللّهَ اَصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (٢)

يُقَالُ: إِنَّ سَبَبَ نُزُولِ قُولِهِ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ . . . ﴾ إلخ ما رُويَ أَنَّ عبدَ الله بنَ سَلاَمَ دَعا ابْنَي أخيهِ: سَلَمَةَ ومهاجِراً (٣) إلى الإسلامِ ، فقالَ:

قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ اللهُ _ تَعالى _ قالَ في التَّوراةِ: إنِّي باعِثٌ مِن ولدِ إسماعيلَ

⁽١) البقرة: (١٢٥).

⁽٢) البقرة: (١٣٠ ـ ١٣٢).

⁽٣) في المخطوط والمطبوع «مهاجر».

نَبِيّاً اسْمُهُ أحمدُ ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ ، فَقَد اهْتَدَى وَرَشَدَ ، وَمَنْ لَم يُؤْمِنْ بِهِ ، فَقَد اهْتَدَى وَرَشَدَ ، وَمَنْ لَم يُؤْمِنْ بِهِ ، فهو مَلْعونٌ . فَأَسْلَمَ سَلَمَةُ ، وأَبَى (١) مُهاجِرٌ ، فَنَزَلَتْ (٢) . انتهى .

⁽١) في المطبوع «أبو».

⁽٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٤٧) ونسبه لمقاتل.

السابعة والعشرون

التَّعَبُّدُ (١) بِكَشْفِ العَوراتِ.

قال _ تعالى _ في سورة «الأعرافِ»: ﴿ وَإِذَا فَعَكُواْ فَنْحِشَةَ قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءُ أَنَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَيْ قُلْ اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَيْ قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَآقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ وَآدْعُوهُ مُغْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَا كُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢).

قالَ بَعضُ المُفَسِّرِينَ: الفاحِشةُ هُنا: الفَعْلَةُ القَبِيحةُ المُتناهِيَةُ في القُبحِ ، والتاءُ إمَّا لأنَّها مُجراةٌ على المَوصوفِ المؤنَّثِ؛ أيْ: فَعلةٌ فاحِشةٌ ، وإمَّا للنَّقْلِ مِنَ الوَصفيَّةِ إلى الاسْمِيَّةِ ، والمُرادُ بها هُنا: عِبادةُ الأصنامِ ، وكشفُ العورةِ في الطَّوافِ ، ونَحْوُ ذٰلكَ .

وعَنِ الفَرَّاءِ تخْصِيصُها بِكشفِ العَورةِ.

وفي الآيةِ حَذفٌ ، أيْ: وإذا فَعَلُوا فاحِشَةً ، فَنُهوا عَنها قالوا: وَجَدْنا على على الله على على الله على الله أَمَرَنا بِها ، مُحْتَجِّيْنَ بِأَمْرَيْنِ: بِتَقليدِ الآباءِ ، والافتراءِ على الله (٣).

⁽١) في المطبوع «المجاهرة».

⁽٢) الأعراف: (٢٨ ـ ٢٩).

⁽٣) نقل المؤلف هذا التفسير من «روح المعانى» (١٠٦/٨) بشيء من التصرف.

وكان مِن سُنَّةِ الحُمس^(۱) أنَّهم لا يَخْرُجونَ أيَّامَ المَواسِم إلى عَرَفاتٍ ، إنَّما يَقِفُونَ بِالمُزْدَلِفَةِ ، وكانوا لا يَسلؤون ، وَلاَ يَأْقطونَ ، ولا يَرْتَبطونَ عَنْزاً ولا بَقَرَةً ، ولا يَعْزُلُونَ صوفاً ولا وَبَراً ، ولا يَدْخُلُونَ بَيْتاً مِنَ الشَّعْرِ والمَدَرِ ، وإنَّما يَكْتَنُونَ بالقِبابِ الحُمْرِ في الأَشْهُرِ الحُرُمِ ، ثُمَّ فَرَضُوا على العَرَبِ قاطِبةً أَنْ يَطَرِحوا أَزْوادَ الحِلِّ إذا دَخَلُوا الحَرَمَ ، وأَنْ يَتُركوا ثِيابَ الحِلِّ ، ويَسْتَبُدِلُوها بِثيابِ الحَرَمِ : إمَّا اشْتِراءً وإمَّا عارِيَّةً وإمَّا هِبَةً ، فإنْ الحِلِ ، ويَسْتَبُدِلُوها بِثيابِ الحَرَمِ : إمَّا اشْتِراءً وإمَّا عارِيَّةً وإمَّا هِبَةً ، فإنْ وَجَدُوا ذلكَ فيها وإلَّا طافوا بالبيتِ عَرايا.

وَفَرَضوا على نِساءِ العربِ مثلَ ذلكَ ، غيرَ أنَّ المرأةَ كانت تَطوفُ في درج مُفَرَّجِ القَوائمِ والمَواخيرِ.

قالتِ امرأةٌ (٢) وهي تطوف بالبيتِ:

اليَـوْمَ يَبْـدُو بَعْضُـهُ أَوْ كُلُّـه ومَـا بَــذا مِنْـهُ فَــلاَ أُحِلُـهُ أَحِلُـهُ أَحْلَـهُ أَحْلَـهُ أَخْتَـمَ مثـلَ القِعْـبِ بَـادٍ ظِلُّـهُ كَــأَنَّ حُمَّــى خَيْبَــرٍ تَمُلُّــهُ أَخْتَـمَ مثـلَ القِعْـبِ بَـادٍ ظِلُـهُ كــأَنَّ حُمَّـــى خَيْبَــرٍ تَمُلُــهُ

وكلَّفُوا العربَ أن يُفِيضُوا مِن مُزْدَلِفَةَ ، وقد كانوا يُفيضُون مِن عَرَفَةَ ، إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأمورِ الَّتي ابْتَدَعُوهَا وَشَرَعُوها ^(٣) ، مِمَّا لم يأذنْ بِهِ اللهُ.

⁽۱) الحمس: قريش وما ولدت ، ومن كان يأخذ مأخذها من القبائل كالأوس والخزرج وخزاعة وثقيف وغزوان وبني عامر وبني صعصعة وجديلة قيس وبني كنانة إلا بني بكر ، سموا بذلك لأنهم تحمسوا _ أي: تشددوا _ في دينهم ، فكانوا يرون التزهد ، وقيل: بل سموا بالكعبة ؛ لأنها حمساء: حجرها أبيض يميل إلى السواد ، والأول أشهر .

انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٢/ ٥٨) ، «الروض الأنف» (١/ ٢٢٩) ، «فتح الباري» (٣/ ٦٠٣).

⁽٢) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة ، كما في «الروض الأنف» (١/ ١٣٤).

⁽٣) في المطبوع «وتشرعوها».

وَمَعَ ذَلكَ كانوا يَدَّعُونَ أَنَّهُم على شَريعةِ أبيهم إبراهيمَ ـ عليه السَّلامُ ـ وما ذلكَ إلَّا لِجاهِلِيَّتِهم.

وغالبُ مَنْ يَنْتَمِي إلى الإسلامِ اليومَ ابْتَدَعُوا في الدِّينِ ما لم يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ، فَمِنْهُم مَنِ اتَّخَذَ ضَرْبَ المعازِفِ وآلاتِ اللهوِ عِبادةً يَتَعَبَّدُون بِها في بُيوتِ الله ومَسَاجِدِه.

ومِنهم مَن اتَّخَذَ الطَّوافَ على القُبورِ والسَّفَرَ^(١) إليها والنُّذورَ أَخْلَصَ عِبادَتِهِ وَأَفْضَلَ قُرُباتِهِ.

ومِنهم مَنِ ابْتَدَعَ الرَّهْبانِيَّةَ والحِيَلَ الشَّيْطانِيَّةَ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَلَكَ سَبيلَ التُّهَادِ وطريقَ العُبَّادِ ، ومَقْصِدُه الأعلى نَيْلُ شَهَواتِهِ الحَيْوانِيَّةِ والفَوْزُ بهذهِ الدُّنيا الدَّنيَّةِ ، إلى غيرِ ذلك مِمَّا يَطولُ ، ولا يعلمُ ماذا يقولُ.

إلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضي وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمعُ الخُصُومُ (٢)

⁽١) في المخطوط «والقصد» ، وقد أثبت ما في المخطوط؛ لأنه أليق ، إذ ليس كل قصد للقبور منهيّاً عنه ، بخلاف السفر.

⁽٢) هذا البيت لأبي العتاهية كما في «ديوانه» (ص ٣٠٩).

الثامنة والعشرون

التَّعَبُّدُ بِتَحْريمِ الحَلالِ.

فَرَدَّ اللهُ - تعالى - ذٰلكَ عَليهم بقولِهِ في سورةِ «الأعراف» : ﴿ ﴿ يَبَنِي ءَادَمَ خُدُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُواْ وَاشْرَبُواْ وَلا تُسْرِفُواْ أِينَّهُ لا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ﴿ قُلْ مَن حَرَمَ زِينَةَ اللهِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوةِ الدَّنيَا حَرَمَ زِينَةَ اللهِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوةِ الدَّنيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِينَمَةِ كُذَلِكَ نُفُصِلُ الْآيَكِتِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِي الْفُونَحِسُ مَا طَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِنْمَ وَالْبَغْيَ بِعَنْيِ الْحَقِ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَدَيْنَزِلَ بِهِ عَلَى اللهَ عَلَى اللهِ مَا لا نَعْلَمُونَ ﴾ (١٠) .

ومَعْنى الآياتِ: ﴿ ﴿ يَبَنِى ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُرٌ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ، أَيْ: ثِيابَكُمْ لِمواراةِ عَوْراتِكُم عِندَ طوافٍ أَوْ صَلاةٍ.

وَسَبَبُ النُّزُولِ: أَنَّه كَانَ أُنَاسٌ مِن الأعرابِ يَطُوفُونَ بِالبيتِ عُراةً ، حَتَّى إِنْ كَانتِ المَرْأَةُ لَتَطُوفُ بِالبيتِ وهِيَ عُريانةٌ ، فَتُعَلِّق على سُفْلِها سُيوراً مِثْلَ هذهِ السُّيورِ التي تَكُونُ على وجْهِ الحُمْرِ من الذُّبابِ ، وهي تَقُولُ:

اليَوْمَ يَبْدُوْ بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمِا بَدا مِنْهُ فَلا أُحِلُهُ فَاللهُ وَلَيْهُ فَاللهُ أُحِلُهُ فَا فَانزَلَ اللهُ _ تَعالى _ هذهِ الآية : ﴿ وَكُلُواْ وَالشِّرَبُواْ ﴾ مِمَّا طابَ لَكُمْ (٢).

قال الكَلْبِيُّ: كان أهلُ الجاهِلِيَّةِ لا يَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعامِ إلَّا قوتاً ، ولا يأكلونَ دَسَماً في أيَّامِ حَجِّهِم ، يُعَظِّمون بِذلكَ حَجَّهم ، فَقَالَ

⁽١) الأعراف: (٣١ ـ ٣٣).

⁽٢) «مما طاب لكم» ساقط من المطبوع.

المُسلِمونَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلْكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ الآية (١٠). وَفِيْهِ يَظْهَرُ وَجِهُ ذِكْرِ الأكْل والشُّرْبِ(٢) هُنا.

﴿ وَلَا تُسْرِفُواً ﴾ بِتَحْريم الحَلالِ ، كَما هو المُناسِبُ لِسَبَبِ النُّزولِ.

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ بَلْ يُبْغِضُهُمْ ، وَلاَ يَرْضَىٰ أَفْعَالَهُمْ .

﴿ قُلَ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيَ ٱخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ مِنَ الشِّيَابِ وكُلِّ ما يُتَجَمَّلُ بِهِ ، وَخَلَقَها لِنَفْعِهِمْ مِنَ الثِّيَابِ كالقُطْنِ والكتَّانِ والحَيوانِ كالحَريرِ والصُّوفِ.

﴿ وَٱلطَّيِبَتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ أَيْ: المُسْتَلَذَّاتِ ، وقيلَ: المُحَلَّلاتِ مِنَ المَآكِلِ والمَشارِبِ كَلَحْم الشَّاةِ وَشَحْمِها وَلَبَنِها.

﴿ قُلْ هِمَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ، أيْ: هي لَهُمْ بالأَصَالَةِ ؛ لِمَزيدِ كَرَمِهِمْ على اللهِ _ تعالى _ والكَفَرَةُ ، وإنْ شاركوهُمْ فيها ، فَبِالتَّبَعِ ، فَلا إشْكالَ في الاختِصاص.

﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ ﴾ ، أي: لا يُشارِكُهم فيها غَيْرُهُم.

﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيِكِ لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾ ، أيْ: مِثْل تَفْصيلِنا هذا الحُكْمَ ، نُفَصِّلُ سائِرَ الأحكام لِمَنْ يَعْلَمُ ما في تَضامِينِها مِنَ المَعاني الرَّائِقَةِ.

﴿ قُلَ إِنَّمَا حَرَّمَ رَقِيَ ٱلْفَوَحِشَ ﴾ ، أيْ: ما تَزايَدَ قُبْحُهُ مِنَ المَعاصي ، ومِنْهُ ما يَتَعَلَّقُ بِالفُروجِ.

﴿ مَاظَهَرَمِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: بَدَلٌ مِنَ الفَواحِشِ ، أَيْ: جَهْرَها وَسِرَّها. وعَنِ البَعْضِ: ﴿ مَا ظَهَرَ﴾ الزِّني عَلانِيَةً ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزِّني سِرّاً (٣) ،

⁽۱) ذكره البغوي في «تفسيره» (۲/١٥٧).

⁽٢) في المطبوع «الشراب».

 ⁽٣) وهذا أحد أقوال ابن عباس في الآية ، وبه قال سعيد بن جبير ، كما في «زاد المسير» (٣٤/٣).

وكَانُوا يَكْرَهُونَ الأُوَّلَ ، ويَفْعَلُونَ الثَّانِيَ ، فَنُهُوا عَن ذٰلِكَ مُطْلَقاً.

وعن مُجاهِدٍ: ﴿ مَاظَهَرَ ﴾ التَّعَرِّي في الطَّوافِ ، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ الزِّني (١).

والبَعْضُ يَقُولُ: الأوَّلُ: طَوافُ الرِّجالِ بالنَّهارِ ، والثَّاني: طوافُ النِّساءِ بالليلِ عارِياتٍ^(٢).

﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ ، أيْ: ما يُوجِبُ الإِثْمَ ، وأَصْلُه الذَّمُّ ، ثُمَّ أُطْلِقَ على ما يُوجِبُهُ مِنَ مُطْلَقِ الذَّنْبِ ، وَذُكِرَ لِلتَّعْميمِ بَعْدَ التَّخْصيصِ بِناءً على ما تَقَدَّمَ مِن مَعْنى الفواحِشِ .

ومِنهم مَن قالَ: إنَّ الإِثمَ هو الخَمْرُ ، وَعَلَيْه أهلُ اللغَةِ (٣) ، وأَنْشَدوا لَه قَولَ الشَّاعِر:

نَهِانَا رسولُ اللهِ أَنْ نَقْرَبَ الدِزِّني

وَأَنْ نَشْرَبَ الإِثْمَ الدِّي يوجِبُ الوِزْرا(٤)

وقُولَ الآخَرِ:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كذاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالعُقُولِ(٥)

.

⁽۱) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٤/٣٤).

⁽٢) وهذا اختيار البغوي في «تفسيره» (٢/١٥٧).

 ⁽٣) أنكر بعض أهل اللغة أن يكون الإثم من أسماء الخمر ، انظر: «اللسان»: «أثم» ،
 «تاج العروس»: «أثم».

⁽٤) أنشد هذا البيت أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٢٩٢) ولم يذكر قائله.

⁽٥) ذكر هذا البيت الأزهري في «تهذيب اللغة»: «أثم» ، وابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (١/ ٦١) ، وابن سيده في «المحكم» (١/ ١٨٧) ، والجوهري في «الصحاح»: «أثم» ، وأبو هلال العسكري في «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» (٢/ ٢٠٥) ، وابن منظور في «اللسان»: «أثم» ، والزبيدي في «التاج»: «أثم» ، وأنشده ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٧٨٤) والقرطبي في «تفسيره».

التاسعة والعشرون

الإِلْحادُ في أَسْمائِهِ وصِفَاتِهِ.

قالَ _ سُبحانَه _ في سورة «الأعراف»: ﴿ وَيِلَّهِ ٱلْأَسْمَآهُ ٱلْحُسْنَى فَٱدْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آسَمَنَ إِنَّ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

تَفْسيرُ هذهِ الآيةِ: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى ﴾: تَنْبيهُ للمُؤمِنينَ على كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِ - تَعالى - ، وَكَيْفِيَّةِ المُعامَلَةِ مَعَ المُخِلِّينَ بِذلك الغافِلينَ عَنه - سُبحانَه - ، وَعَمَّا يَليقُ بِشأْنِهِ ، إِثْرَ بَيانِ غَفْلَتِهِمُ التَّامَّةِ وَضَلالَتِهِمُ الطَّامَّةِ.

﴿ فَأَدْعُوهُ بِهَا ﴾: إِمَّا مِنَ الدَّعْوَةِ بِمعْنى التَّسْمِيَةِ ، كَقُولِهِم: دَعَوْتُهُ زَيداً ، أَوْ بِزَيدٍ (٢) ، أَيْ: سَمَّيْتُهُ ، أو الدُّعاءِ بِمعْنىٰ النِّداءِ ، كَقُولِهِمْ: دَعَوْتُ زيداً ، أَيْ: نادَيْتُهُ.

﴿ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَسُمَنَ إِدَّ ﴾. أَيْ: يَميلُونَ وَيَنْحَرِفُونَ فيها عَنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ ، يُقال: أَلْحَدَ ، إذا مالَ عَنِ القَصْدِ والاسْتِقامَةِ ، ومِنه: لَحْدُ القَبْرِ ؛ لِكَوْنِهِ في جانِبِهِ بِخلافِ الضَّريح ، فإنَّهُ في وَسَطِهِ.

والإلحادُ في أسمائِهِ _ سبحانَه _ أَنْ يُسَمَّىٰ بِلا تَوْقيفٍ فيه ، أَوْ بِمَا يُوهِمُ معنىً فاسداً ، كما في قولِ أهلِ البَدْوِ: يا أبا المَكارِمِ ، يا أبيضَ الوجْهِ ،

⁽١) الأعراف: (١٨٠).

⁽٢) في المطبوع «يزيد».

يا سَخِيُّ ، ونحو ذلك ، فالمُرادُ بِتَرُكِ المأمورِ بِهِ: الاجتنابُ عن ذلك ، وبأسمائِهِ ما أَطْلَقُوهُ عَلَيه - تَعالى - وَسَمَّوْهُ به على زَعْمِهِم ، لا أسماؤُه - تعالى - حَقيقَةً ، وعلى ذلك يُحمَلُ تَرْكُ الإضمارِ ، بأنْ يُقَالَ: يُلجِدون بِها(١).

وقالَ _ تَعالى _: ﴿ كَنَاكِ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةِ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَّمُ لِتَتَلُواْ عَلَيْهِمُ اللَّيْ أَلَا عَلَيْهِمُ اللَّهِ أَوْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَوْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلَتُ اللَّهُ وَكَيْبُ أَلْ هُو رَبِي لَآ إِلَهَ إِلَا هُو عَلَيْهِ تَوَكَّلَتُ وَلَيْهِمَ اللَّهُ مَا إِلَيْهُ مَا إِلَهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا إِلَيْهُ مِنْ أَلِي اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ مَا إِلَيْهُ مَا إِلَيْهُ مِنْ أَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وهذهِ الآيةُ في سورةِ «الرَّعْدِ».

عَن قَتَادَةَ وابنِ جُرَيْجٍ ومُقاتِلٍ أَنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في مُشْرِكي مَكَّةَ لَمَّا رَأُوا كِتَابَ الصُّلْحِ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ وقد كَتَبَ فيه عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عنه -: "بِسْمِ اللهِ كِتَابَ الصَّلْحِ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ وقد كَتَبَ فيه عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عنه -: "بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ اللهُ عَمْرِو: ما نَعْرِفُ الرَّحمنَ إلاَّ مُسَيْلِمَةً (٣). الرَّحمنِ الرَّحمنِ إلاَّ مُسَيْلِمَةً (٣).

ومَنهم مَن قال: سَمِعَ أبو جَهْلٍ قولَ رسولِ اللهِ ﷺ: «يا أللهُ يا رحمٰنُ»، فقال: إنَّ محمَّداً يَنهانا عَن عبادةِ الآلهةِ وهو يَدعوا إلهْينِ ، فَنَزَلَتْ (٤٠).

وعَن بعضِهِم أَنَّه لَمَّا قِيلَ لِكُفَّارِ قُريشٍ : ﴿ ٱسْجُدُواْ لِلرَّمْمَانِ ﴾ ، قالوا : ﴿ وَمَا الرَّحْمَانُ ﴾ ؟ فَنَزَلَتْ (٥٠) .

⁽۱) «روح المعاني» (۹/ ۱۲۱).

⁽٢) الرعد: (٣٠).

 ⁽٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٢٧٣)، وابن الجوزي في «زاد المسر»
 (٣٢٩/٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥١٥).

⁽٤) ذكر هذا الأثر البغوي في «تفسيره» (١٩/٣) ، وابن الجوزي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٩).

⁽٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٩) ، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٢٧٣) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٢٩) ، ونسبوه لابن عباس.

وقيلَ غَيْرُ ذُلِكَ مِمَّا يَطُولُ.

وَقَالَ _ تَعَالَى _: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدَّتُمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَاكِن ظَننتُم أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنْكُمُ الَّذِي ظَننتُم بِرَيِّكُمْ أَرَدَى الْمَاسَحْتُم مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (١).

وهذه الآيةُ إخبارٌ أنَّ أهلَ الجاهِلِيَّةِ كانوا يُلْحِدونَ في صِفاتِهِ ، كما كانوا يُلْحِدونَ في صِفاتِهِ ، كما كانوا يُلحِدونَ في أسمائِهِ - تَعالى -.

أَخْرَجَ أَحمدُ (٢) والبُخاريُّ (٣) ومُسلِمٌ (٤) والتِّرمذيُ (٥) والنَّسائِيُّ (٢) وجماعةٌ عن ابن مسعود ، قالَ: «كُنتُ مُسْتَتِراً (٧) بِأستارِ الكعبةِ ، فجاءَ ثلاثةُ نَفَرٍ: قُرَشيُّ وَثَقَفَيَّانِ ، أَو ثَقَفِيُّ وقُرَشيانِ ، كثيرٌ لحمُ بُطونِهِم ، قَليلٌ فِقْهُ (٨) قُلوبِهِم ، فَتَكَلَّموا بكلام لمْ أَسْمَعُهُ ، فقال أَحَدُهُم: أَتَرُونَ الله يَسمعُ كلامَنا هذا؟ فقال الآخرُ: إذا رَفَعْنا أَصْواتَنا يَسْمَعُهُ ، وإذا لم نَرْفَعْ لم

⁽۱) فصلت: (۲۱ ـ ۲۳).

⁽۲) في «مسنده» (۱/ ۱۸۳ ، ۲۰۸ ، ۲۲۶ ، ۲۶۲ ، ۳۸۶).

 ⁽٣) في "صحيحه" - كتاب التفسير - باب ﴿ وَلَكِكِن ظُنَنتُ مِّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُ مِ تَسَيَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيَكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِكِن ظُنَنتُ مِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٠٧/٨).

⁽٤) في «صحيحه» _ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم _ (٤/ ٥٠) ح ٢٧٧٥ .

⁽٥) في «جامعه» _ كتاب التفسير _ باب ومن سورة حمّ السجدة _ (٥/ ٣٧٥) ح ٣٢٤٨ ،

⁽٦) في «السنن الكبرى» ـ كتاب التفسير ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَيْرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْفَكُمْ ﴾ (٦/ ٤٥١) ح ١١٤٦٨.

⁽٧) في المطبوع «مستنداً».

⁽٨) في المطبوع «عفة».

يَسْمَعْ ، فقال الآخَر: إِنْ سَمِعَ منه شَيئاً سَمِعَهُ كُلَّهُ. قال: فَذَكَرْتُ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَأُنْزَلَ اللهُ ـ تَعالى ـ: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسَتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُو لَلنَّبِيِّ عَلَيْهِ ، فَأُنْزَلَ اللهُ ـ تَعالى ـ: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسَتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُو وَلَا بَلْهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَا تَعْمَلُونَ . . . ﴾ إلى قوله: ﴿ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ﴾ .

فهذا هو الإلحادُ في الصِّفاتِ.

وأنتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا عَلَيه أَكثُرُ المُتَكَلِّمِينَ المُسلمِينَ مِنَ الإلحادِ في الأسماءِ والصِّفاتِ فَوْقَ مَا كَانَ عَلَيه أَهلُ الجاهِليَّةِ ، فَسَمَّوا الله بأسماء ما أنزلَ الله بها مِن سُلطانٍ ، ومِنهم مَن قالَ: لَيسَ للهِ صِفاتٌ قامتْ بِهِ ، فم أنزلَ الله بها مِن سُلطانٍ ، ومِنهم مَن قالَ: إنَّ ومِنهم مَن قالَ: إنَّ ومِنهم مَن قالَ: إنَّ صفاتِهِ غيرهُ ، ومِنهم مَن قالَ: إنَّ الله لم يَتَكَلَّمْ بالكُتُبِ التي أَنْزَلَها ، وأَبْبَتوا لَهُ الكَلامَ النَّفسيَ ، وأنَّه لم يُكلِّم أحداً مِن رُسُلِهِ ، إلى غير ذلك من الإلحادِ الذي حَشُوا به كُتُبَهُمْ ، وملؤوها مِن الهَذَيانِ ، وَظَنُّوا أَنَّ اللهَ مُحْتَصَّةٌ بِأَهلِ الجاهِليَّةِ ، ومَا دَرُوا أَنَّهُمُ الفَرْدُ الكامِلُ لعُمومِها.

ومَنْ بَصَّرَه اللهُ ـ تعالى ـ وَنَوَّرَ قَلْبَه ، أَعْرَضَ عَن أَخْذِ عَقَائِدِهِ مِن كُتُبِ هَـوُلاءِ الطّوائفِ ، وتَلَقَّىٰ مَعْرِفَةَ إِلْهِـهِ مِن كُتُبِ السَّلَفِ المُشْتَمِلَةِ على نُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ.

الثلاثون

نِسْبَةُ النَّقائصِ إليه _ سُبحانه _ كالولَدِ والحاجَةِ ، فإنَّ النَّصارى قالوا: ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (١) ، وطائفةٌ مِن العَرَبِ قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ ، وقومٌ مِن الفَلاسِفَةِ قالوا بِتَوليدِ العُقولِ ، وقومٌ مِنَ اليَهودِ قالوا: العُزَيْرُ ابنُ اللهِ ، إلى غير ذلك .

وقد نَزَّهَ اللهُ نَفْسَه عن كُلِّ ذلك ونَفاه :

بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ كِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يُولَدُ ۞ وَلَمْ يَولَدُ ۞ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُنُ لَهُ كُنُا ﴾ (٢).

وبقوله: ﴿ أَلَا إِنَّهُم مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٣).

وقولِهِ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُم ۗ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمُ سُبْحَنَنَهُ وَتَعَلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ بَدِيعُ ٱلسَّمَنوَتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَدَّ تَكُن لَّهُ صَنِحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْمٌ وَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

وهذا يَعُمُّ جميعَ الأنواعِ التي تُذْكَرُ في هذا البابِ عن بعضِ الأَمَمِ ، كما أَنَّ ما نفاه من اتِّخاذِ الوَلَدِ يَعُمُّ - أِيضاً - جميع أنواعِ الاتِّخاذاتِ ، لا اصطفاؤُه.

⁽١) التوبة: (٣٠).

⁽٢) الإخلاص: (١ ـ ٤).

⁽٣) الصافات: (١٥١ ـ ١٥٢).

⁽٤) الأنعام: (١٠٠ ـ ١٠١).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَكَرَىٰ غَنُ ٱبْنَكُوُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّتُوُمُ قُلَ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلَ ٱنتُم بَشَرُّ مِّمَّنْ خَلَقَّ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآهُ وَيِلَهِ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَ أَوْ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١).

قَالَ السُّدِّيُّ: قَالُوا: إِنَّ اللهَ _ تَعَالَى _ أَوْحَى إِلَى إِسْرَائِيلَ: إِنَّ وَلَدَكَ بِكُرِي مِنَ الْوَلَدِ ، فَأَدْخِلُهُمُ النَّارَ ، فَيكونونَ فيها أربعينَ يوماً حَتَّى تُطَهِّرَهم وتأكلَ خطاياهم ، ثم ينادي منادٍ: أُخْرِجوا كَلَّ مَخْتونٍ مِن بني إسرائيلَ (٢).

وقدْ قالَ اللهُ _ تَعالى _: ﴿ مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَيْهِ ﴾ (٣) .

وقالَ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمَّدُ لِلَهِ ٱلَّذِي لَمْ يَنَّخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكُ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلِيُّ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ (١٤).

وقالَ _ تَعَالَى _: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ عَلِيَكُونَ لِلْعَنكَمِينَ نَذِيرًا ﴿ اللَّهُ مُلَّكُ ٱللَّهُ مُلَّكُ ٱللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَنْخُولُ وَلَمْ يَكُن لَهُ مُرْبِكُ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كَالَمُ مُنْعُ فِي فَقَدَّرَهُ لَقَدِيرًا ﴾ (٥) .

﴿ وَقَالُواْ اَتَّخَذَ الرَّمْنَ وَلَكَا اللهِ عَلَا عَبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿ وَقَالُواْ اَتَّخَذَ الرَّمْنَ وَلَكَا اللهِ عَبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ فَا لَيْ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَاخَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ فَا لِمَنِ اَرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿ فَهُ وَمَن يَقُلُ مِنْهُمْ إِنِّتِ إِلَّهُ مِن دُونِهِ عَلَيْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

⁽١) المائدة: (١٨).

⁽٢) أخرجه ابن جرير بنحوه في «تفسيره» (٦/ ٦٤) ، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٣٥) وزاد نسبته لابن أبي حاتم ، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣١٨/٢).

⁽٣) المؤمنون: (٩١).

⁽³⁾ Ilymula: (111).

⁽٥) الفرقان: (١ _ ٢).

⁽٦) في المخطوط «يعلمون» وهو خطأ.

فَذَالِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمْ كَذَالِكَ نَجْزِى ٱلظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وقالَ _ سُبحانه و تَعالى _: ﴿ ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا نَتَخِذُوٓا إِلَىٰهَ بِنِ ٱثَنَيْنَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَخِدُ وَالْمَ اللَّهِ عَلَىٰ وَاللَّهُ اللَّهِ عَلَىٰ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَىٰ وَاصِبًا ﴾ (٣) إلى قولِهِ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ اللَّهِ الْبَنَتِ سُبْحَنَدُ وَلَهُ مَ وَيَجْعَلُونَ اللَّهِ الْبَنَتِ سُبْحَنَدُ وَلَهُم مَ وَيَجْعَلُونَ اللَّهِ الْبَنَتِ سُبْحَنَدُ وَلَهُم مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢) .

وقالَ: ﴿ أَفَرَءَ يَتُمُ ٱلَّاكِتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَوْهَ ٱلثَّالِئَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۞ ٱلكُّمُ ٱلذَّكُرُ وَلَهُ

⁽١) الأنبياء: (٢٦ ٢٩).

⁽٢) الواو ساقطة من المخطوط ، وهو خطأ.

⁽٣) النحل: (٥١ - ٥١).

⁽٤) في المطبوع «وتجعلون» وهو خطأ.

⁽٥) النحل: (٥٦).

⁽٦) النحل: (٧٥).

⁽٧) الإسراء: (٣٩ - ٤٣).

⁽٨) الصافات: (١٤٩ ـ ١٦٣).

ٱلْأُنْنَىٰ ﴿ يَلْكَ إِذَا قِسْمَةُ ضِيزَىٰ ﴿ إِنْ هِى إِلَّا أَسَّمَا ۗ مُعَيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآ وَكُو مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَنْ إِن يَتَبِعُونَ إِلَّا الظَّنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّجِهِمُ الْمُدَىٰ ﴿ (١) . إِنْ النّبِي لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَتُّونَ الْلَهُ كُذَة سَيْمِيَة ٱلْأَنْنَى ﴾ (١) . إلى قوله : ﴿ إِنَّ الّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَتُّونَ الْلَهُ كُذَة سَيْمِيَة ٱلْأَنْنَى ﴾ (١) .

وقالَ _ تَعالى _: ﴿ وَجَعَلُواْ لَمُ مِنْ عِبَادِهِ عَجُزَّءً ﴾ (٣) .

قال بعضُ المفسِّرينَ: ﴿ جُزِّءًا ﴾ ، أيْ: نصيباً وبعضاً (١٠).

وقال بعضُهم: جعلوا للهِ نصيباً من الولدِ(٥).

وعن قَتادةً (٦) ومقاتل: عِدْلًا.

وكلا القولَين صحيحٌ ، فإنَّهم يَجْعَلون له وَلَداً ، والولَّدُ يُشْبِهُ أَباهُ.

ولهذا قالَ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجُهُمُ مُ مُسَودًا ﴾ (٧) أي: البَنات.

كما قالَ في الآيةِ الأخرى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَى ﴾ (^).

فَقَدَ جَعَلُوهَا لِلرَّحَمْنِ مَثَلًا ، وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً ، فَإِنَّ الولدَ جُزْءٌ مِنَ الوالِدِ ، قالَ ﷺ: «إِنَّمَا فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّى»(٩).

⁽١) النجم: (١٩ _ ٢٣).

⁽Y) النجم: (YV).

⁽٣) الزخرف: (١٥).

⁽٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٢١٩) ، و «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٥).

⁽٥) انظر: «زاد المسير» (٧/ ٣٠٥).

 ⁽٦) أخرجه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) ، وابن جرير في «تفسيره» ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

⁽٧) الزخرف: (١٧).

⁽٨) النحل: (٥٨) ، وقد ذكر في المطبوع تمام الآية.

⁽٩) جاء هذا اللفظ في عدة أحاديث ، منها ما أخرجه مسلم في «صحيحه» _ كتاب فضائل الصحابة _ باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ _(١٩٠٣/٤) ح ٢٤٤٩.

وقولُهُ في «الأنْعامِ»: ﴿ وَجَعَلُواْ بِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمٌ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتِمِ بِغَيْرِعِلْمِ ﴾ (١).

قَالَ الكَلْبِيُّ: «نَزَلَت في الزَّنادِقَةِ ، قَالُوا: إِنَّ اللهَ وَإِبْلِيسَ شَرِيكَانِ ، فَاللهُ خَالَقُ الظُّلْمَةِ وَالسِّبَاعِ خَالَقُ الظُّلْمَةِ وَالسِّبَاعِ وَالْخَيَّاتِ وَالْغَقَارِبِ»(٣).

وَأَمَّا قُولُهُ: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًّا ﴾:

فَقيلَ: هو قولُهُم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وسُمِّيَ الملائكةُ جِنّاً؛ لاخْتِفائِهِم عَن الأبصارِ، وهو قولُ مُجاهِدٍ وقَتادةَ (١٤).

وقيلَ: قالوا لِحَيِّ مِن الملائكةِ يُقالُ لَهُمُ: الجِنُّ ، ومنهم إبليسُ: هم^(٥) بناتُ اللهِ^(٦).

وَقَالَ الكَلْبِيُّ: قالوا ـ لَعَنَهُم اللهُ ـ بَلْ بُذُورٌ يَخْرُجُ مِنها الملائكةُ.

وقولهُ: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتِ بِغَيْرِ عِلْمِ ﴾:

قالَ بعضُ المفسِّرينَ: هُم كُفَّارُ العَرَبِ ، قالوا: الملائكةُ والأصنامُ بَناتُ اللهِ ، واليَهودُ قالوا: عُزيرٌ ابنُ اللهِ (٧).

والذين كانوا يَقولونَ مِن العَرَبِ: إنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ ، وَمَا نُقِلَ عَنهم

⁽١) الأنعام: (١٠٠).

⁽٢) «والأنعام» ساقطة من المطبوع.

 ⁽٣) ذكر هذا الأثر البغوي في «تفسيره» (١١٩/٢) ، والواحدي في «أسباب النزول»
 (ص ٢٢١) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٩٦/٣).

⁽٤) ذكره البغوى في «تفسيره» (٤/٤).

⁽٥) في المخطوط «وهم».

⁽٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٤) ونسبه لابن عباس.

⁽٧) وهذا قول السدي كما في «الدر المنثور» (7 / 7) وعزاه لابن أبي حاتم.

مِن أنَّه صاهَرَ الجِنَّ ، فَوَلَدَتْ له الملائكةَ ، فَقَد نَفاه عنه بامْتِناعِ الصَّاحِبَةِ ، وبامتناع أنْ يكونَ منه جُزْءٌ ، فإنَّه صَمَدٌ.

وقولهُ: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَحْجَةٌ ﴾ ، وَهذا لأنَّ الوِلادةَ لا تكونُ إلاَّ مِن أَصْلَيْنِ ، سَواءٌ في ذلكَ تولُّدُ الأعيانِ _ وَتُسَمَّى الجواهِرَ _ وَتَولُّدُ الأعراضِ والصِّفاتِ ، بَلْ وَلا يَكونُ تولُّدُ الأعيانِ إلاَّ بانفصالِ جُزْءِ مِن الوالِدِ(') ، فإذا امتنَعَ أَنْ تكونَ لَه وَلدٌ ، وقد عَلِموا كُلُّهُم أَنْ امتنَعَ أَنْ يَكونَ لَه وَلدٌ ، وقد عَلِموا كُلُّهُم أَنْ لا صاحِبَةً له ، لا مِن الملائكةِ ، ولا مِن الجِنِّ ، ولا مِن الإنْسِ ، فلم يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُم: إِنَّ له صاحِبَةً ؛ فَلِهذا احْتَجَّ بِذلكَ عَليهم ، وما حُكِي عَن بعضِ أَحَدٌ مِنْهُم: إِنَّ له صاحِبَةً ؛ فَلِهذا احْتَجَّ بِذلكَ عَليهم ، وما حُكِي عَن بعضِ كُفَّارِ العَرَبِ أَنَّهُ صاهَرَ الجِنَّ ، فهذا فيه نَظَرٌ ، وذلكَ إِنْ كَانَ قَدْ قيلَ ، فهوَ مُمَّا يُعْلَمُ انْتِفاؤهُ مِن وُجوهٍ كثيرةٍ ، وكذلك ما قالَتْهُ النَّصاري مِن أَنَّ المَسيحَ مِنَّا اللهِ ، وما قالَه طائفةٌ مِن اليهودِ أَنَّ العُزَيْرَ ابنُ اللهِ ، فإنَّه قد نَفاه ابنُ اللهِ ، وما قالَه طائفةٌ مِن اليهودِ أَنَّ العُزَيْرَ ابنُ اللهِ ، فإنَّ قد نَفاه وسُبحانه _ بِهذا وَهذا وَهذا وَهذا أَنَّ المُنَوْدُ أَنَّ المُنَافِقُ وَهذا وَهذا أَلَهُ النَّعَانِ اللهِ ، فإذا وَهذا أَنَّ المُورِدُ أَنَّ العُرَيْرَ ابنُ اللهِ ، فإذَا وهذا وَهذا أَنْ العُرْانُ اللهُ عَلْمُ اللهِ وما قالَه طائفةٌ مِن اليهودِ أَنَّ العُزَيْرَ ابنُ اللهِ ، فإذا وهذا وهذا أَنْ العُرَادُ العُرَادُ وهذا وهذا وهذا وهذا أَنْ العُرَادُ العُرَادِ العَرْادُ وهذا وهذا وهذا وهذا المُنْ اللهِ والمُنْ اللهُ السُورِ المَالِهُ المُذَا الْهُ المُنْ اللهُ المَّالِهُ المُنَا المُنْ اللهُ المُنْ اللهُ المُحَانِ والمِنْ اللهُ المُهُمُ المُنْ اللهُ المُؤَلِّ المُنْ اللهُ المُنْ اللهُ المُنْ المُنْ اللهُ المُلْ المُنْ اللهُ المُنْ ال

وتَمامُ الكَلامِ في هذا المَقامِ في كتابِ «الجَوابِ الصَّحيح لِمَنْ بَدَّلَ دِيْنَ المَسيحِ»(٣) ، و «تَفْسير سورةِ الإِخلاص»(٤) وَغَيرِهِما مِن كُتُبِ شيخِ الإِسلامِ تقيِّ الدِّينِ _ قدس الله روحه _.

⁽۱) في المطبوع «الولد» ، وما ذكرته موافق لما ذكره شيخ الإسلام في «تفسير سورة الإخلاص» (۲۷۲/۱۷).

⁽٢) في المطبوع «بهذا».

^{(4) (4/11-111).}

⁽٤) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٦).

الحادية والثلاثون

تنزيهُ المَخْلُوقِ عمًّا نَسَبُوه لِلخَالِقِ ، مِثْلُ: تَنزيهِ أَحبارِهِم عَن الوَلَدِ والحاجَةِ؛ لأنهم يَقُولُونَ: إنَّ الرَّاغِبِينَ في استِحصالِ الكَّمالاتِ كالرُّهبانِ وأَضْرابِهِم يَتَرَفَّعُون عَن أَن يَتَدَنَّسُوا بِدَناءَة التَّمتُّع بِالنِّساءِ ، اقتداءً بِالمَسيح _ عليه السلامُ _.

فَانْظُرْ إِلَى سَخَافَةِ العُقُولِ ومَا قَادَهُم إِلَيْهِ ضَلالُهُمْ حَتَّى اعْتَرَضُوا عَلَى سَيِّدِنا ومولانا مُحمَّدٍ ﷺ في زُواجِهِ.

وما أحْسَنَ ما قَالَه الفاروقيُّ ردّاً على بعض أحبار النَّصارَى:

مِمَّن حَماهُ اللهُ عَنْ نُقْصانِ في زَعْم كُلِّ مُثَلِّبٍ نَصْراني (٢)

قُل لِلفِرِسْنَل قُدْوَةِ الرُّهبانِ الجاثليقِ(١) البِتْرِكِ الرَّبَّاني أنتَ الذي زَعَمَ الزَّواجَ نَقيصَةً وَنَسِتَ تَـزُويـجَ الإلهِ بِمَـرْيَـم

- الجاثليق _ بفتح الثاء المثلثة _: رئاسة دينية للنصارى في بلاد المسلمين. (1) انظر: «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» مصطفى الخطيب (ص١١٧).
- ذكر هذه الأبيات نعمان الألوسي في «الجواب الفسيح لما لفَّقه عبد المسيح» (١/ ١٢) ونسبها للفاروقي.

والفرسنل الذي ذكره الفاروقي كان من مشهوري مدرسي النصاري ، ورد بغداد عام ١٢٦٩ هـ ، وأورد على محمد الألوسي والد نعمان أسئلة كان من ضمنها سؤاله عن زواج النبي ﷺ ، وزعمه أن ذلك ينافي الكمال ، فأجابه الألوسي بأجوبة مسكتة.

انظر: «الجواب الفسيح» (١/ ٥١١ - ٥١٢).

وَمَن جَعَلَ مِنَ الْعَرَبِ الْمَلَائَكَةَ بِنَاتِ اللهِ ، كَانَ يَأْنَفُ مِنْهُنَّ ، وَسَنَّ وَأَدَهُنَّ وَقَتْلَهُنَّ ، وَنَسَبُوا للهِ مَا يَكُرهُونَ .

والمقصودُ أنَّ هذهِ المَقَالاتِ وأشباهَها مَنْشَؤها الجهلُ بِما جاءَت بهِ التُسُلُ ، وعَدَمُ تَحْكيمِ العَقْلِ ، وإلاَّ فأهلُ البصائرِ لا يَتَطَرَّقُ إليهم هذا الخَلَلُ ، واللهُ الموَفِّقُ.

الثانية والثلاثون

القولُ بِالتَّعطيلِ ، كما كانَ يقولُه آلُ فِرْعَونَ.

والتَّعطيلُ: إنكارُ أَنْ يكونَ لِلعالَم صانِعٌ (١) ، كما قال فرعونُ لِقومِهِ: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ (٢) ، ونحو ذلكَ.

ولم يَخْلُ العالَمُ عن مثل هذهِ الجَهالاتِ في كُلِّ عَصْرٍ مِنَ العُصورِ.

وأبناءُ هذا الزَّمانِ _ إلَّا النَّادِرَ _ على هذهِ العَقيدةِ الباطِلَةِ. ولو نَظَروا بعينِ الإِنصافِ والتَّدَبُّرِ ، لَعَلِموا أَنَّ كُلَّ مَوجودٍ في العالَمِ يَدُلُّ على خالِقِهِ وبارِئِهِ: وَفَ يَكُلُّ على خَالِقِهِ وبارِئِهِ: وَفَ يَكُلُّ على أَنَّ لَهُ وَاحِدُ (٣) وَفَ يَ كُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ وَاحِدُ (٣)

ومِنْ أَينَ لِلطَّبِيعَةِ إِيجَادُ مِثْلِ هذهِ الدَّقائقِ التي نَجِدُها في الآفاقِ والأَنْفُسِ ، وهي عَديمَةُ الشُّعُورِ لا عِلْمَ لَها وَلا فَهْمَ ؟! تعالى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلوَّاً كَبِيراً.



⁽١) انظر في التعطيل وأنواعه: «الجواب الكافي» لابن القيم (ص ١٥٣).

⁽٢) القصص: (٣٨).

⁽٣) هذا البيت لأبي العتاهية كما في ديوانه (ص ٦٢).

الثالثة والثلاثون

الشِّرْكَةُ في المُلْكِ ، كما تَقولُهُ المَجوسُ.

والمجوسُ أُمَّةٌ تُعَظِّمُ الأنوارَ والنِّيرانَ والماءَ والأرضَ ، ويُقِرُّونَ بِنُـبُوَّةِ زِرادِشْتَ ، وَلَهُمْ شَرائِعُ يَصيرونَ إليها.

وهم فِرَقٌ شتَّى:

مِنهم المَزْدَكِيَّةُ أصحابُ مَزْدَكَ المُوْبَدُ^(۱). والمُوْبَدُ ـ عندهم ـ: العالِمُ القُدوةُ. وهؤلاءِ يَرونَ الاشتِراكَ في النِّساءِ والمَكاسِبِ كما يُشْتَرَكُ في الفَّدوةُ والطُّرُقِ وغيرِها.

ومِنهم الخُرَّميَّةُ: أصحابُ بابِكَ الخُرَّمِيِّ (٢) ، وهُم شَرُّ طوائِفِهم ،

⁽۱) وهو رجل إباحي ، ظهر زمن قباذ ، وادعى النبوة ، ثم دعا الناس إلى الاشتراكية في كل شيء ، وإلى الإباحية؛ لأنه زعم أن أكثر ما يقع بين الناس من البغضاء والمخالفة إنما سببه النساء والأموال؛ لذا أحلهما ، وجعل الناس فيها شركاء ، فأجابه قباذ ، ثم قتله أنوشروان.

انظر: «تاريخ اليعقوبي» (١/ ١٦٤) ، «تاريخ ابن جرير» (٢/ ٩٣ ـ ٩٣) ، «الفهرست» للنديم (ص ٤٠٦) ، «الفصل» (٢/ ٢٧٤) ، «الملل والنحل» (١/ ٤٤٢) ، «البدء والتاريخ» (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨) ، «تلبيس إبليس» (٨٨) ، «الكامل في التاريخ» (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ٨٩) ، «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٥١) ، «تاريخ ابن خلدون» (٢/ ١٧١) ، «أخبار الدول وآثار الأول» للقرماني (٣/ ١٥٢).

⁽٢) بابك الخرمي: من مجوس فارس ، ادعى الإسلام ، وتسمى بالحسن أو الحسين ، =

لا يُقِرُّونَ بِصانِعِ ولا مَعادِ ولا نُبُوَّةٍ ولا حَلالٍ ولا حَرامٍ.

وعلى مذهبِهِم طوائِفُ القَرامِطَةِ(١) والإسماعيليَّة (٢) والنُّصَيْرِيَّة (٣)

- = وخرج في بعض الجبال بناحية أذربيجان أيام المعتصم العباسي ، وتآمر معه أحد أبناء ملته وهو الإفشين قائد جند المعتصم ، وخافه الناس ، واشتدت وطأته على المسلمين ، وطالت أيامه ، حتى تمكن المعتصم من أسره ، ثم صلبه .
- (۱) القرامطة: إحدى الطوائف الباطنية ، وتنسب إلى رجل اسمه «حمدان قرمط» ، وقيل: بل تنسب إلى رئيس لهم يلقَّب «قرمطويه» ، لهم بدع كثيرة منها: القول بنبوة عبد الله بن الحارث الكندي وعبادته ، والقول بتناسخ الأرواح ، كان لهم دولة في الأحساء.
- انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١٠٠/١)، «التنبيه والرد» للملطي (ص ٢٠)، «فرق الشيعة» للنوبختي (ص ٧٢)، «التبصير في الدين» للإسفراييني (ص ١٤١)، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ٧٩)، «البرهان» للسكسكي (ص ٨٠)، «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ١٨).
- (٢) الإسماعيلية: إحدى فرق الباطنية ، تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، الذي مات في حياة والده ، لهم بدع كثيرة ، منها تأليه أئمتهم ، والقول بالتناسخ ، والحلول ، وهي من الفرق الباطنية التي لا تزال موجودة .
- انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٠٠)، «التنبيه والرد» (ص ١٤١)، «فرق الشيعة» (ص ٦٨).
- «الفرق بين الفرق» (١/ ١٩٢) ، «الاعتقادات» (ص ٥٤) ، «البرهان» (ص ٨١) ، «مذاهب الفرق» لليافعي.
- (٣) النصيرية: إحدى فرق الباطنية ، تنسب إلى نصير مولى علي بن أبي طالب ، وقيل: إلى ابن نصير ، وقيل: إلى أبي شعيب محمد بن نصير مولى الحسن العسكري ، لهم بدع كثيرة منها: القول بالباطن ، والقول بحلول الإله في علي وبنيه ، وهي من الطوائف التي لا تزال موجودة.
- انظر في شأنها: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٥٠)، «الملل والنحل» (١٨/١)، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ٢١)، «البرهان» (ص ٢٧)، «مذاهب الفرق الثنتين والسبعين فرقة »(ص ٢٢٢)، «مختصر التحفة الاثنى عشرية» (ص ١٥).

والكَيْسَانِيَّةِ (١) والزُّرَارِيَّةِ (٢) والحاكِمِيَّةِ (٣) وسائِرِ العُبَيْدِيَّةِ الذين يُسَمُّونَ أَنفُسَهم «الفاطِمِيَّةَ» ، فكُلُّ هؤلاءِ يَجمعُهُم هذا المَذْهَبُ ، ويتَفاوَتونَ في التَّفصيل.

فالمجوسُ شُيوخُ هؤلاءِ كلِّهِم وأَثمتُهم وقُدوتُهم ، وإن كانَ المَجوسُ قد يَتَقَيَّدونَ بِدينٍ مِنْ دياناتِ قد يَتَقَيَّدونَ بِدينٍ مِنْ دياناتِ العالَمِ ولا بِشَرِيعَةٍ مِن شرائِعِهِ.

* * *

(۱) الكيسانية: إحدى طوائف الرافضة الضالة ، تنسب إلى كيسان ، وقد اختلف في كيسان من يكون؟ فقيل: إنه مولى لأمير المؤمنين علي ، وقيل: هو لقب للمختار بن أبي عبيد الثقفي ، وقيل: لقب لمحمد بن الحنفية ، لهم بدع كثيرة ، منها الغلو في محمد بن الحنفية ، وتأليهه ، ومنها القول بالتناسخ ، والحلول ، والرجعة - قبل القيامة - بعد الموت ، وتأويل الشريعة .

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٩١) ، «الفرق بين الفرق» (ص ٣٨) ، «التبصير في الدين» (ص ٣٠)، «الملل والنحل» (١/ ١٤٧)، «البرهان» (ص ٧٠) ، «مذاهب الفرق» (ص ١١٩) ، «خبيئة الأكوان» لصديق حسن خان (ص ٣٠).

(٢) الزرارية: إحدى طوائف الروافض ، ويدعون «التيمية» ، وهم أتباع زرارة بن أعين ، لهم بدع كثيرة ، منها: الغلو في الأئمة وتأليههم ، والقول بحدوث صفات الله ، وأنها كصفات الأجسام.

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١٠٢/١) ، «الفرق بين الفرق» (ص٧٠) ، «التبصير في الدين» (ص ٤٠) ، «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ١٧).

(٣) في المطبوعة «الحكمية».

والحاكمية: هي طائفة الدروز ، وهي من الطوائف الباطنية ، وتنسب إلى الحاكم العبيدي المتسمي «الحاكم بأمر الله»، لهم بدع كثيرة، منها: القول بتأليه الحاكم ، وأن للشريعة باطناً وظاهراً، والأخذ بدين المجوس. وهي من الطوائف التي لا تزال موجودة. انظر في شأنها: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٤/ ١٦١ - ١٦٢) ، «تاريخ المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (١/٧٠) ، «أضواء على العقيدة الدرزية» لأحمد الفوزان ، «عقيدة الدروز» د. محمد الخطيب.

الرابعة والثلاثون

إنكارُ النَّبُوَّاتِ ، وَكانوا يَقولون: ما حَكَى اللهُ عنهم بقولهِ: ﴿ أُولَيَكَ اللهُ عنهم بقولهِ: ﴿ أُولَيَكَ اللهُ هَدَى اللهُ فَهَ لَهُ فَيَهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ اللهَ هَدَى اللهُ فَيَ اللهُ فَيَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ فَيَ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

تَفْسيرُ هذه الآيةِ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اَللَّهَ ﴾ شروعٌ في تَقْريرِ أَمْرِ النُّبُوَّةِ ، بَعْدَ ما حَكى اللهُ _ سبحانه _ عن إبراهيمَ _ عليه السَّلامُ _ أَنَّه ذَكَرَ دَليلَ التَّوحيدِ وإبطالِ الشِّرْكِ ، وَقَرَّرَ _ سبحانه _ ذلكَ بأوضحِ الدَّليلِ (٣) وبِأَوْضَحِ وَجهِ .

﴿ حَقَّ قَدْرِهِ يَهُ ، أَيْ: حَقَّ مَعْرِفَتِهِ (١٠).

وعن بعضِهِم: ما عَظَّموا اللهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ (٥) ، إذْ قالوا منْكِرينَ لبعثةِ

⁽١) قوله _ تعالى _: ﴿يَجعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبدُونَهَا وَيُخفُونَ﴾ كذا في المخطوط، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

انظر: «المبسوط في القراءات العشر » لابن مهران (ص ١٧٢).

⁽٢) الأنعام: (٩٠ ـ ٩١).

⁽٣) في المطبوع «بأفصح الدليل».

⁽٤) وهذا قول أبي عبيدة معمر بن المثنى كما في: «مجاز القرآن» (١/ ٢٠٠)، وانظر: «النكت والعيون» (١/ ١٤١)، و«زاد المسير» (٣/ ٨٣).

⁽٥) وهذا قول ابن عباس كما في «زاد المسير» (٨٣/٣) ، وأبي مالك أخرجه عنه =

الرُّسُلِ وإِنزالِ الكُتُبِ ، كافِرِيْنَ بِنعمةِ اللهِ الجَليلةِ فِيهما: ﴿ مَاۤ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَى بَشَرِ مِّن شَيْرُ﴾ ، أي: شَيئاً مِن الأشياءِ.

واختُلِفَ في قائِلي ذلكَ القَولِ الشَّنيعِ: فَعَن مُجاهِدٍ أَنَّهم مُشرِكو قُريشٍ (١) ، والجمهورُ على أنَّهمُ اليَهودُ (٢) ، ومُرادُهُم مِن ذلِكَ الطَّعْنُ في رِسالتِهِ ﷺ على سَبِيلِ المُبالغَةِ.

فَقيلَ لَهِم على سَبيلِ الإلزام: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ ﴾ ، فإنَّ المُرادَ أَنَّه _ تَعالى _ قَد أَنْزَلَ التَّوراةَ على موسى _ عَلَيه السَّلامُ _ وَلا سَبيلَ لَكُم إلى إنكارِ ذلِكَ ، فَلِمَ لا تُجَوِّزونَ إنزال القُرآنِ على مُحمَّدٍ ﷺ؟

والكلامُ في إثباتِ النُّبُوَّةِ مُفَصَّلٌ في غيرِ هذا الموضعِ.

والمقصودُ أنَّ إِنكارَها مِن سَنَن الجاهِليَّةِ ومَعارِفِهِم (٣). وفي النَّاسِ اليومَ (٤) كَثيرٌ مِمَّن هو على شاكِلَتِهِم ومُعْوَجً طَريقَتِهِم (٥).

أبو حاتم في «تفسيره» (١٣٤١/٤) رقم (٧٥٩٠) من طريق السدي ، وهو قول الحسن كما في «النكت والعيون» (١٤١/٢) ، و«زاد المسير» (٣/ ٨٣) ، والفراء «في معاني القرآن» (١/ ٣٤٣) ، والزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٢٧١).

⁽۱) أُخِرَجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤١)، وأَبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣٤/٣٤).

⁽٢) انظر: «تفسير البغوى» (١/ ١١٥).

⁽٣) «ومعارفهم» ساقط من المطبوع.

⁽٤) «اليوم» ساقط من المخطوط.

⁽⁰⁾ في المطبوع «طريقهم».

الخامسة والثلاثون

جحودُ^(۱) القَدَرِ ، والاحْتِجاجُ بِهِ على اللهِ ـ تَعالى ـ وَمُعارَضَةُ شَرْعِ اللهِ بِقَدَرِ اللهِ.

وهذهِ المَسألَةُ مِن غَوامضِ مَسائلِ الدِّينِ ، والوُقوفُ على سِرِّها عَسِرٌ إلاَّ على من وَقَّقَه اللهُ ـ تَعالى ـ.

ولابنِ القَيِّمِ كِتابٌ جَلِيلٌ في هذا البابِ سَمَّاه «شِفاءَ العَليل في القَضاءِ والقَدر والحِكْمَةِ والتَّعْليلِ».

وقد أَبْطَلَ اللهُ _ سُبحانَه _ هٰذِهِ العَقيدةَ الجاهِلِيَّةَ بِقولِهِ _ تَعالى _: ﴿ سَيَقُولُ اللَّهِ اللَّهُ مَا أَشْرَكُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴿ سَيَقُولُ اللَّذِينَ أَشْرَكُمْ اللَّهُ مَا أَشْرَكُمْ وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ حَكَن ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّن عِلْمِ حَكَىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّن عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَنْبِعُونَ إِلَّا الظّنَ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَغْرُصُونَ فِي قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَمَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ اللَّهِ اللَّهُ مَلْ فَلِلَّهِ الْحُجَمَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ اللَّهِ اللَّهُ مَلْ فَلِلَّهِ اللَّهُ مَا أَنسُمْ إِلَّا تَعْرُصُونَ فِي قُلْ فَلِلَّهِ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ مَن عَلَيْ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الل

تَفْسِيرُ هذه الآيةِ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشَرَكُوا ﴾: حِكايةٌ لفَنِّ آخَرَ مِن أَباطِيلِهِم.

⁽١) في المخطوط «حجة» ، والتصويب من النسخ الخطية لمسائل الجاهلية.

⁽٢) في المخطوط «ولو» ، وهو خطأ.

⁽٣) الأنعام: (١٤٨ ـ ١٤٩).

﴿ لَوَ شَاءَ اللّهُ مَا أَشْرَكُنَا وَلا مَرْمَنَا مِن شَيْرٌ ﴾ : لَمْ يُريدوا بِهذا الكَلامِ الاعتذار عَنِ ارْتِكَابِ القبيح ؛ إذْ لَم يَعْتَقِدوا قُبْحَ أَفعالِهم ، بل هُم لكَلامِ الاعتذار عَنِ ارْتِكَابِ القبيح ؛ إذْ لَم يَعْتَقِدوا قُبْحَ أَفعالِهم ، بل هُم لكَمْ نَطَقَتْ بِهِ الآياتُ _ يَحْسَبونَ أَنَّهم يُحْسِنونَ صُنعاً ، وأَنَّهم إنَّما يَعْبُدونَ اللهِ الأصنامَ لِيُقَرِّبوهُم إلى الله زُلْفي ، وأنَّ التَّحريمَ إنما كَانَ مِن اللهِ عَزَّ وجَلَّ _ ، فَما مرادُهُم بِذلك إلاَّ الاحتجاجُ على أنَّ ما ارْتَكَبوهُ حَقُّ ومَشروعٌ وَمَرْضِيٌّ عند اللهِ _ تَعَالى _ على أنَّ المشيئةَ والإرادةَ تُساوي الأمرَ ، وتَسْتَلْزِمُ الرِّضِي (١) ، كما زَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ (٢) ، فَيكونُ حاصِلُ كَلامِهم : أنَّ وَرَسْتَلْزِمُ الرِّضِي (١) ، كما زَعَمَتِ المُعْتَزِلَةُ (٢) ، فَيكونُ حاصِلُ كَلامِهم : أنَّ ما نَرْتَكِبُهُ مِنَ الشَّرْكِ والتَّحريمِ وغيرِهما تَعَلَّقَتْ بِهِ مَشْيئتُهُ _ سُبحانه _ ما نَرْتَكِبُهُ مِنَ الشَّرْكِ والتَّحريمِ وغيرِهما تَعَلَّقَتْ بِهِ مَشْيئتُهُ _ سُبحانه _ وإرادَتُه ، فَهو مَشروعٌ ومَرْضِيٌّ عندَ اللهِ _ تَعالى _ .

وَبَعْدَ أَنْ حَكَى _ سُبحانهُ وتَعالى _ ذلكَ عَنهم ، رَدَّ عَلَيْهِم بِقُولِهِ _ عَزَّ مِنْ قَائِلِ _ : ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبِّلِهِمْ ﴾ ، وهم أسلافُهُم المُشْرِكُونَ .

وحاصِلُهُ: أَنَّ كلامَهم يَتَضَمَّن تَكذيبَ الرُّسُلِ - عليهم السلام - .

وَقَد دَلَّتِ المُعْجِزَةُ على صِدْقِهِم.

⁽۱) انظر: «المغني في أبواب العدل والتوحيد» للقاضي عبد الجبار (٦/القسم الثاني/ص ٥١،٥٥).

⁽٢) المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني ، وسلكت منهجاً عقليّاً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية ، لهم بدع كثيرة ، منها ما ابتدعوه من أصولهم الخمسة: وهي التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وهم فرق شتى.

انظر في شأنها: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٣٥) ، «التنبيه والرد» (ص ٣٥) ، «الفرق بين الفرق» (ص ١١٤) ، «الملل والنحل» للبغدادي (ص ١٨٣) ، «الفصل» (٥/ ٥٧) ، «التبصير في الدين» (ص 7) ، «الملل والنحل» (7) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص 7) ، «البرهان» (ص 1) ، «مذاهب الفرق» (ص 1) ، «خبيئة الأكوان» (ص 10).

أو نَقُولُ: حاصِلُهُ: أَنَّ ما شاءَ اللهُ يَجِبُ، وما لَمْ يَشَأْ يَمْتَنعُ، وكُلُّ ما هذا شأنُه فلا تَكليفَ بِهِ؛ لِكونِهِ مَشروطاً بالاسْتِطاعةِ ، فَيَنتُجُ: أَنَّ ما ارْتَكَبَهُ مِن الشِّركِ وغيرِهِ، لَم يُكَلَّفْ بِتَرْكِهِ، ولمْ يُبْعَثْ لَهُ نَبِيٌّ ، فَرَدَّ اللهُ - تَعالى - عَلَيهم الشِّركِ وغيرِهِ، لَم يُكَلَّفْ بِتَرْكِهِ ، ولمْ يُبْعَثْ لَهُ نَبِيٌّ ، فَرَدَّ اللهُ - تَعالى - عليهم بأنَّ هذهِ كَلِمَةُ صِدْقٍ أُريدَ بِها باطِلٌ؛ لأنَّهم أرادوا بِها أَنَّ الرُّسُلَ - عليهم السلام - في دَعُواهُمُ البِعْثَةَ والتَّكليفَ كاذِبونَ ، وقَد ثَبَتَ صِدْقُهُم بِالدَّلائِلِ القَطْعِيَّةِ ، ولِكُونِ (١) ذَلِكَ صِدْقاً أُريدَ بِه باطِلٌ ، ذَمَّهُمُ اللهُ - تَعالى - بالتَّكذِيبِ.

وَوجوبُ وُقوعٍ مُتَعَلَّقِ المَشيئَةِ لا يُنافِي صِدقَ دَعْوى البِعثةِ والتَّكليفِ؛ لأَنَّهما لإِظهارِ المَحَجَّةِ وإبلاغ الحُجَّةِ.

﴿ حَتَىٰ ذَاقُواْ بَأْسَكُنّا ﴾ ، أيْ: نالوا عَذَابَنا الذي أَنْزَلْناهُ عَلَيهم بِتَكْذِيبهم ، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ لهم عَذاباً مُدَّخَراً عِندَ اللهِ _ تعالى _؛ لأنَّ الذَّوقَ أوَّلُ إدْراكِ الشَّىء .

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمِ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ ، أَيْ: هَلْ لَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بأنَّ (٢) الإشراكَ وسائِرَ ما أنتُم عَلَيه مَرْضِيُّ للهِ ـ فَتُظْهِروهُ لَنَا بِالبُرْهانِ؟

وهذا دَليلٌ على أنَّ المُشرِكينَ أُمَمٌ اسْتَوجَبُوا التَّوبيخَ على قولِهم ذلك؛ لأنَّهم كانوا يَهْزَؤونَ بالدِّينِ ، ويَبْغُونَ رَدَّ دَعْوةِ الأنبياءِ ـ عليهم السلامُ ـ حَيْثُ قَرَعَ مَسامِعَهم مِن شَرائع الرسُلِ ـ عليهم السلامُ ـ تَفْويضُ الأمورِ إلَيْهِ ـ سُبحانَه وتَعالى ـ ، فَحينَ طالَبوهُم بِالإسلامِ ، والتزامِ الأحكام ، احْتَجُوا عَلَيهم بِما أخذوه مِن كَلامِهم مُسْتَهْزِئينَ بِهِم ـ عليهم الصَّلاة والسَّلامُ ـ ، ولم يَكُنْ غَرَضُهُمْ ذِكْرَ ما يَنْطَوي عَلَيْه عِقْدُهُم ، كَيفَ لا والإيمانُ بِصفاتِ ولم يَكُنْ غَرَضُهُمْ ذِكْرَ ما يَنْطَوي عَلَيْه عِقْدُهُم ، كَيفَ لا والإيمانُ بِصفاتِ

⁽١) في المطبوع: «ولكونه».

⁽٢) في المخطوط: أي.

اللهِ - تَعالى - فَرْعُ الإِيمانِ بِهِ - عَزَّ شَأْنُهُ - وَهُو عَنهم مناطُ العَيُّوق(١).

﴿ إِن تَنَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَغُرُصُونَ ﴾ ، أَيْ: تَكْذِبونَ على اللهِ ـ عَالَى اللهِ ـ عَالَى .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُبَّمَةُ ٱلْبَكِلِغَةُ ﴾ ، أيْ: البَيِّنَةُ الواضِحَةُ التي بَلَغَتْ غايَةَ المَتانَةِ والقُوَّةِ على الإِثباتِ. والمُرادُ بِها في المَشهورِ: الكتابُ والرَّسولُ والبَيانُ.

﴿ فَلَوْ (٢) شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: بِالتَّوفيقِ لَها ، والحَمْلِ عَليها ، وَلَكَنْ شَاءَ هِدايَةَ البَعْضِ الصَّارِفينَ اختِيارَهُم إلى سُلوكِ طَريقِ الحَقِّ ، وَضَلالَ آخَرينَ صَرَفوه إلى خِلافِ ذلكَ.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ ذَكَرَ وَجْهاً آخَرَ في توجيهِ ما في الآيةِ ، وهو أنَّ الرَّدَّ عَليهم إِنَّما كَانَ لاعْتِقادِهِم أنَّهم مُسَلِّمُونَ اختِيارَهم وقُدْرَتَهم ، وأنَّ السراكهم إِنَّما صَدَر مِنهم على وجْهِ الاضْطرارِ ، وَزَعَموا أنَّهم يُقيمونَ الحُجَّة على اللهِ - تَعالى - ورسولِه - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - بِذلك ، فَرَدَّ اللهُ الحُجَّة على اللهِ - تَعالى - ورسولِه عَدَمَ الاختيارِ لأنفُسِهِم ، وَشَبَّهَهُمْ بِمَنِ اغْتَرَ - تَعالى - قولَهم في دَعُواهُم عَدَمَ الاختيارِ لأنفُسِهِم ، وَشَبَّهَهُمْ بِمَنِ اغْتَرَ قَبْلَهُم بِهذا الخَيالِ ، فَكَذَّبَ الرُّسُلَ ، وَأَشْرَكَ بِاللهِ - عَزَّ وجَلَّ - ، واعْتَمَدَ على أنَّه إنَّما يَفْعَلُ ذلك بِمَشِيْئَةِ اللهِ - تَعالى - وَرَامَ إِفْحامَ الرُّسُلِ بِهٰذِهِ على أنَّه إنَّما يَفْعَلُ ذلك بِمَشِيْئَةِ اللهِ - تَعالى - وَرَامَ إِفْحامَ الرُّسُلِ بِهٰذِهِ الشُّبْهَة .

ثُمَّ بَيَّنَ _ سُبحانَه _ أَنَّهم لا حُجَّةَ لَهم في ذلكَ ، وأَنَّ الحُجَّةَ البالِغَةَ لَه _ تَعالى _ لا لَهم ، ثُمَّ أوْضَحَ _ سُبحانَه _ أَنَّ كُلَّ واقع واقعٌ بِمشيئتِهِ ، وأنَّه

⁽۱) العَيُّوق: كوكب أحمر مضيء، بحيال الثريا من ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء، سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا. «لسان العرب» «عتى».

⁽٢) في المخطوط: «ولو» وهو خطأ.

لم يَشَاْ مِنهِمْ إِلاَّ ما صَدَرَ عَنهم ، وأنَّه _ تَعالى _ لو شاءَ مِنهمُ الهِدايةَ لاهْتَدَوا أَجْمَعونَ (١).

والمقصودُ أَنْ يَتَمَحَّضَ وجهُ الرَّدِّ عَليهم ، وَتَتَخَلَّصَ عَقيدةُ نُفوذِ المشيئةِ (٢) وعُموم تَعَلَّقِها (٣) بِكُلِّ كائنٍ عن الرَّدِّ ، وَيَنْصَرِفَ الرَّدُّ إلى دَعواهُم سَلْبَ الاخْتِيارِ لأنفُسِهِم ، وأَنَّ إقامتَهم الحُجَّةَ بذلك خاصَّة.

وإذا تَدَبَّرْتَ الآيةَ وَجَدْتَ صَدرَها دَافِعاً لِصُدورِ الجَبْرِيَّةِ ، وعَجُزَها مُعْجِزاً للمُعْتَزِلَةِ ، إذِ الأوَّلُ مُثْبِتٌ أَنَّ لِلْعَبْدِ اختياراً وقُدْرَةً على وجْهِ يَقْطَعُ حُجَّتَه وعُدْرَهُ في المُخالَفَةِ والعِصيانِ ، والثَّاني مُثْبِتٌ نُفوذَ مَشيئةِ اللهِ حَجَّتَه وعُدْرَهُ في المُخالَفَةِ والعِصيانِ ، والثَّاني مُثْبِتٌ نُفوذَ مَشيئةِ اللهِ ـ تَعالى ـ في العبدِ ، وأنَّ جَميعَ أفعالِهِ على وَفْقِ المَشيئةِ الإلهيَّةِ ، وبذلكَ تقومُ الحُجَّةُ البالغة (٤) لأهلِ السُّنَّةِ على المُعتزلةِ ، والحمدُ لله ربِ العالَمينَ.

ومِنهم مَن وجَّهَ الآيةَ بأنَّ مرادَهم رَدُّ دعوةِ الأنبياءِ عليهم السلام على معنى أنَّ اللهَ _ تَعالى _ شاءَ شِرْكَنا ، وَأرادَهُ مِنَّا ، وَأَنتُم تُخالِفونَ إرادَتَه ، حَيثُ تَدعونا إلى الإيمانِ ، فَوَبَّخَهُم _ سُبحانَه وَتَعالى _ بِوُجوهٍ عِدَّةٍ (٥):

منها: قولُه _ سُبحانَه _: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَلِغَةُ ﴾ ، فإنَّه بِتقديرِ الشَّرطِ ، أيْ: إذا كانَ الأمرُ كما زَعَمْتُم ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَلِغَةُ ﴾ .

⁽١) في المخطوط «أجمعون».

⁽٢) في المخطوط والمطبوع «السنة» ، والتصويب من «روح المعاني» الذي نقل المؤلف عنه تفسير هذه الآيات.

⁽٣) في المخطوط والمطبوع «تغلغلها» ، والتصويب من «روح المعاني».

⁽٤) «البالغة» ليست في المطبوع.

⁽٥) في «المخطوط «عد» ولعل الصواب ما في المطبوع.

وقولُه ـ سبحانَه ـ: ﴿ فَلُوّ (١) شَاءَ ﴾ بَدَلُ (٢) منه على سَبيلِ البَيانِ ، أَيْ: لَو شَاءَ لَدَلَّ كُلَّ منكم ومِنْ مَخالِفيكم على دينهِ ، لَو كَانَ الأَمرُ كَمَا تَزْعُمونَ ، لَكَانَ الإسلامُ ـ أَيضاً ـ بِالمشيئةِ ، فَيَجبُ أَنْ لا تَمْنَعوا (٣) المُسلِمينَ من الإسلامِ ، كما وَجَبَ بِزعمكم ألا يمنَعَكُم الأنبياءُ عن الشِّركِ ، فَيَلْزَمُكُم أَنْ لا يكونَ بَيْنَكم وَبَيْنَ المُسلِمينَ مُخالَفَةٌ ومُعاداةٌ ، بَلْ موافَقَةٌ وموالاةٌ .

وحاصِلُه: أنَّ ما خالَفَ مَذْهَبَكم مِنَ النِّحَلِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عِندكم حَقَّاً؛ لأنَّه بِمشيئةِ اللهِ ـ تَعالى ـ فَيَلْزَمُ تصحيحُ الأديانِ المُتناقِضَةِ.

وَفِي سورةِ «النَّحْلِ»: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْشَآءَ ٱللَّهُ مَاعَبَـدْنَا مِن دُونِـهِـ مِن شَىءٍ نَحْنُ وَلَا ٓءَابَـآٓٓٓٓ وُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِـ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِـمُّ فَهَلَ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَــُعُ ٱلْمُبِــينُ ﴾ (٤).

الكلامُ عَلَى هذِهِ الآيةِ كَالكَلامِ على الآية السَّابِقةِ ، وَلا تَراهُمْ يَتَشَبَّتُونَ بِالمَشْيئةِ إِلَّا عِنْدَ انْجِزالِ الحُجَّةِ ، أَلَّا تَرَى كَيفَ خَتَمَ بِنَحوِ آخِرِ مُجادَلاتِهِم في سورةِ «الزُّخُرُفِ» ، وهو في سورةِ «الزُّخُرُفِ» ، وهو قولُه _ تعالى _: ﴿ وَجَمَلُواْ الْمَلْتَهِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّمْنِ إِنَكَا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ قولُه _ تعالى _: ﴿ وَجَمَلُواْ الْمَلْتَهِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَدُ الرَّمْنِ إِنَكَا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ مَا لَهُم بِذَالِكَ مِنْ سَتُكَذَّبُ شَهِدَ ثُهُمْ مَا لَهُم بِذَالِكَ مِنْ عَلَيْ إِنَّ هُمْ إِلَّا يَعْرُفُونَ إِنَّ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ الللْهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللِهُ اللللِهُ اللللللِهُ الللللِهُ اللللللللِهُ الللللِهُ اللللْمُ اللللَ

⁽١) في المخطوط «ولو» وهو خطأ.

⁽٢) في المطبوع «بدلاً».

 ⁽٣) في المخطوط «يمنعوا» ولعل الأقرب ما أثبته ؛ وهو الموافق لما في «روح المعاني»
 الذي نقل عنه المؤلف .

⁽٤) النحل: (٣٥).

⁽٥) الزخرف: (١٩ ـ ٢٢).

وَيكْفي في الانقِلابِ ما يُشيرُ إليه قَولُه _ سُبحانه _: ﴿ قُلَ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

وَفِي تَخْصِيصِ الاشْتِراكِ والتَّحريمِ بالنَّفي؛ لأَنَّهُما أَعْظَمُ وأَشْهَرُ ما هُمْ عَلَيْهِ ، وَغَرَضُهُم مِنْ ذلِكَ تَكْذيبُ الرَّسولِ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - والطَّعْنُ فِي الرِّسالةِ رَأْساً؛ فَإِنَّ حاصِلَهُ: أَيْ ما شاءَ اللهُ يَجِبُ ، وما لمْ يَشَأْ يَمْتَنعُ ، فَلَو أَنَّهُ - سُبحانَه وتَعالى - شاءَ أَنْ نُوحِدَه ، وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيئاً ، وَنُحَلِّلَ مَا أَحَلَّهُ ، ولا نُحَرِّمَ شَيئاً مِمَّا حَرَّمْنا - كَما تقولُ الرُّسُلُ وَيَنْقُلُونَهُ مِنْ جِهَتِهِ مَا أَحَلَّهُ ، ولا نُحَرِّمَ شَيئاً مِمَّا حَرَّمْنا - كَما تقولُ الرُّسُلُ وَيَنْقُلُونَهُ مِنْ جِهَتِهِ تَعالى - لَكَانَ الأمرُ كَما شاءَ مِنَ التَّوجِيدِ ونَفْيِ الإشراكِ ، وتَحْليلِ ما أَحَلَّهُ ، وَعَدم تَحْريم شَيءٍ مِنْ ذلِكَ ، وحَيْثُ لَم يَكُنْ كذلِكَ ، ثَبَتَ أَنَّه لَم يَشَأْ مِن ذلك ، بلْ شاءَ ما نحنُ عليهِ ، وتَحَقَّقَ أَنَّ ما يَقُولُهُ الرُّسُلُ - عليهِمُ السَّلامُ - مِن تِلْقاءِ أَنْفُسِهِمْ.

فَرَدَّ اللهُ - تَعَالَى - عليهِمْ بقَوْلِهِ: ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ مِنَ الأُمَمِ ، أيْ: أشْرَكوا باللهِ - تعالَى - ، وحَرَّموا مِنْ دونِهِ ما حَرَّموا ، وجادَلُوا رُسُلَهُمْ بِالباطِلِ لِيُدْحِضوا بِهِ الحَقَّ.

﴿ فَهَلَ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ، أي: ليستْ وَظيفَتُهُم إلَّا البَلاغَ للرِّسالَةِ ، المُوَضِّحَ طَرِيقَ الحَقِّ ، والمُظْهِرَ أَحْكَامَ الوَحْي التي مِنها تَحَتَّمَ تَعَلَّقُ مَشيئَتِهِ _ تَعالى _ باهْتِداءِ مَنْ صَرَفَ قُذْرَتَهُ واخْتِيارَهُ إلى تَحْصيلِ الحَقِّ ؛ لقولِهِ _ تعالى _ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَالَنَهُ دِينَهُمُ شُبُلَنَا ﴾ (١).

وأمَّا إلْجاؤُهُمْ إلى ذٰلكَ ، وتَنْفيذُ قَوْلِهِم عليهِ شاؤوا أَوْ أَبَوْا - كما هو مُقْتَضى اسْتِدْ لالِهم - فليسَ ذلكَ مِنْ وَظيفَتِهِم ، ولا مِنْ الحِكْمَةِ التي يَتَوَقَّفُ

⁽١) العنكبوت: (٦٩).

عليْها التَّكْليفُ ، حتَّى يُسْتَدَلَّ بعدم ظُهورِ آثارِهِ على عدم حَقِّيَةِ (١) الرسلِ عليهِ مُ السَّلامُ أو على عدم تَعَلُّقِ مَشيئتِهِ _ تَعَالى _ بِذلكَ ، فإنَّ ما يَتَرَتَّبُ عليهِ الثَّوابُ والعِقابُ مِن الأَفْعالِ لا بُدَّ في تَعَلُّقِ مَشيئتِهِ _ تَعالى _ بِوقوعِهِ مِن مُباشَرَتِهِم الاُخْتِياريَّةِ ، وَصَرْفِ اخْتِيارِهِم الجُزْئِيِّ إلى تَحْصيلِهِ ، وإلَّا لَكانَ الثَّوابُ والعِقابُ اصْطِراريينِ .

والكلامُ على هذهِ الآيةِ ونحوِها مُسْتَوْفَىً في تفسير «روح المعاني»^(۲) وغيرهِ.

فَجُحُودُ الْقَدَرِ ، والاحتجاجُ بهِ على اللهِ ، ومُعارَضةُ شرعِ اللهِ بِقَدَرِهِ ، كُلُّ ذلكَ مِن ضلالاتِ الجاهِلِيَّةِ .

والمَقْصودُ أَنَّهُ لا جَبْرَ وَلا تَفْويضَ ، ولكنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، فَمَنْ زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنْ هذِهِ الجَادَّةِ كَانَ على ما كَانَ عليهِ أَهلُ الجَاهِلِيَّةِ ، وهِيَ الطَّريقَةُ التي رَدَّ عَلَيْها اللهُ ـ سُبحانَهُ ـ ورَسُولُهُ عَلَيْهِ.

⁽١) في المطبوع «حقيقة».

⁽Y) (A/10_70).

السادسة والثلاثون

مسَبَّةُ الدَّهْرِ، كقولِهم في سورةِ «الجاثية»(١): ﴿ وَمَا يُمْلِكُنَّ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ (٢).

وذلكَ أَنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ أرادَ بَيانَ أَحْكامِ ضلالِهم ، والخَتْمِ على سَمْعِهِم وقُلوبِهِم ، وجَعْلِ غِشاوةٍ على أبصارِهِم ، فَحَكَى عنهم ما صَدَرَ عَنهم بقولِه ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَالُنَا ٱلدُّنيَّا ﴾ التي نَحْنُ فيها.

﴿ نَمُوتُ وَغَيَا﴾ ، أيْ: تَموتُ طائِفةٌ ، وَتَحْيا طائِفةٌ ، ولا حَشْرَ أصلًا.

وَمِنهم مَن قالَ: إنَّ كَثيراً مِن عُبَّادِ الأصنامِ كانَ يَقولُ بِالتَّناسُخِ^(٣)، وعَلَيه؛ فالمُرادُ بِالحياةِ: إعادةُ الرُّوحِ لِبَدَنٍ آخَرَ.

﴿ وَمَا يُمْلِكُنَّا إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ ، أيْ: طولُ الزَّمانِ.

وإسنادُهُمُ الإهلاكَ إلى الدَّهْرِ إنكارٌ مِنهم لِمَلَكِ الموتِ وقَبْضِهِ الأرواحَ

⁽١) في المخطوط «الأحقاف» ، وهو خطأ.

⁽٢) الجاثية: (٢٤).

⁽٣) عرَّف الجرجاني التناسخ بقوله في «التعريفات» (ص ٧٢): «هو عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر ، من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد».

وانظر فيما ينقل عن القول بالتناسخ لدى العرب: «الملل والنحل» (٢/ ٢٧٣) ، «في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام» د. محمد الفيومي (٢٤١ ــ ٢٤٢).

بِأُمرِ اللهِ _ تَعالَى _ ، وكانوا يُسْنِدونَ الحوادِثَ مُطْلَقاً إِلَيْهِ؛ لِجَهْلِهِم أَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ مِن عندِ اللهِ _ تَعالَى _ وَأَشْعَارُهُم لِذلكَ مَمْلُوءَةٌ مِن شَكُوى الدَّهْرِ ، مثل قولهم:

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغاداة ومر العشي (١) ومثل قول الآخر:

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسي^(۲) وقول الآخر:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فوادي في غشاء من نبالي وكنت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال الشعر في ذلك قديماً وحديثاً كثير.

وهؤلاءِ مُعْتَرِفون بِوجودِ اللهِ _ تعالى _ ، فَهُمْ غَيْرُ الدُّهْرِيَّةِ ، فإنَّهم ـ مَعَ إسنادِهِمُ الحوادِثَ إلى الدَّهْرِ ـ لا يَقولونَ بِوجُودِهِ ـ سُبْحانَه وتَعالى عَمَّا يَقولونَ بِوجُودِهِ ـ سُبْحانَه وتَعالى عَمَّا يَقولونَ عُلُوّاً كَبيراً.

والكُلُّ يَقُولُ بِاسْتِقْلالِ الدَّهْرِ بِالتَّأْثيرِ.

⁽۱) هذا البيت مع أبيات أخرى ذكرها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (۱/ ٥٠٢)، وأبو تمام في «الحماسة» (۱/ ۱۱۱) مع شرح التبريزي، والمبرد في «الكامل» (۱/ ١٥٦)، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» (۱/ ۱۸۸)، والعباسي في «معاهد التنصيص» (۱/ ۷۳)، والبغدادي في «خزانة الأدب» (۱/ ١٦٠) ونسبوها إلى الصلتان العبدي. وذكرها الجاحظ في «الحيوان» (۱/ ۷۷۷) ونسبها إلى الصلتان السعدي وقال: هو غير الصلتان العبدي.

⁽٢) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/١١)، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (١٩/١)، ونسباه إلى تبع، وذكره أبو هلال العسكري في «الصناعتين» (ص ٢٢٧) ونسبه إلى بعض ملوك اليمن.

⁽٣) هذان البيتان للمتنبى وهما في «ديوانه» (ص ٢٦٥).

وَقَدْ جاءَ النَّهِيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

أَخْرَجَ مُسلِمٌ (١): «لا يَسُبُّ أَحَدُكُم الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللهَ هو الدَّهْرُ».

وفي رواية لأبي داود (٢) والحاكِم (٣): «قالَ اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: يُؤذيني ابنُ آدمَ يقولُ: يا خيبةَ الدَّهرِ ، فلا يَقُلْ أَحَدُكُم يا خيبةَ الدَّهرِ ، فإنِّي أنا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ».

وَرَوى الحاكِمُ (٤) _ أيضاً _: «يقولُ _ عَزَّ وجَلَّ _: اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فلم يُقْرِضْني ، وَشَتَمَني عبدي وهو لا يَدْرِي ، يَقُولُ: وادَهْراهُ! وَأَنَا الدَّهْرُ ».

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ (٥): «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، قال اللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: أنا الأيَّامُ والليالِي ، أُجَدِّدُها وأَبْليها ، وآتي بِمُلوكٍ بَعْدَ مُلوكٍ».

وَمَعنى ذلكَ أَنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ هو الآتي بالحوادِثِ ، فَإذا سَبَبْتُمُ الدَّهرَ على أَنَّهُ فاعِلٌ ، وَقَعَ السَّبُّ على اللهِ ـ عَزَّ وجلَّ ـ.

⁽۱) في «صحيحه» ـ كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ـ باب كراهية تسمية العنب كرماًـ (۲۲) ح ۲۲٤٧ .

⁽٢) في «سننه» _ كتاب الأدب _ باب في الرجل يسب الدهر _ (٥/ ٤٢٣) ح ٥٢٧٥ ، ولفظه عنده: «يقول الله _ عز وجل _: يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار».

⁽٣) في «مستدركه» _ كتاب التفسير _ باب تفسير سورة حم الجاثية _ (٥٤٣/٢) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا».

⁽٤) في «مستدركه» ـ كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة حم الجاثية ـ ٢/٤٥٣) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة».

⁽٥) في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٦٥) ، وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٣١٦) ح و(٤/ ٣١٦) ح ، وأحمد في مسنده (٤٩٦/٢) ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧١/٨): «رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح» ، وصحح الحافظ ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (١٠/ ٥٦٥).

﴿ وَمَا لَمُهُم بِلَالِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ، أَيْ: لَيْسَ لَهم بِما ذُكِرَ مِن قَصْرِ الحياةِ على ما في الدُّنيا وَنِسْبَةِ الإهلاكِ إلى الدَّهْرِ عِلمٌ مُسْتَنِدٌ إلى عَقْلِ أو نَقْلِ.

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَطُنُونَ ﴾ ، أيْ: ما هُمْ إلا قَوْمٌ قُصارَى أمرِهِم الظَّنُّ والتَّقْليدُ مِنْ غيرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ ما يَصِحُّ أَنْ يُتَمَسَّكَ بِهِ في الجُمْلَةِ.

وَقَدْ ذَكَرْنا في غَيرِ هذا المَوْضِع ما يَتَعَلَّقُ بالدُّهْرِيينَ.

والمقصودُ أَنَّ مَنْ يقول بِإسنادِ الحوادِثِ إلى غير اللهِ ـ تعالى ـ كالدَّهْرِ ، فَليسَ لَه مُسْتَنَدٌ عَقلي ولا نَقْلِيُّ ، بَل هو مَحْضُ جَهْلٍ ، وقائِلُهُ جاهلٌ في أيِّ عَصْرِ كانَ .

وَلأهلِ زَمانِنا حظٌّ وافِرٌ مِن هذا الاعتِقَادِ الباطلِ ، واللهُ المُسْتَعانُ.

السابعة والثلاثون

إضافةُ نِعَم اللهِ إلى غَيرِهِ.

قال اللهُ - تَعالى - في سورةِ «النَّحْلِ»: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكَثَرُهُمُ ٱلْكَفِرُونَ ﴾ (١).

فقولُه: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ أَلَلَهِ ... ﴾ إلخ ، اسْتِئنافٌ لِبيانِ أَنَّ تَوَلِّيَ المُشْرِكِينَ وإعراضَهم عن الإسلام ، لَيْسَ لِعَدَم مَعْرِفَتِهِم نِعمة الله _ سُبحانه وتَعالى _ أصلاً ، فإنَّهم يَعرِفونَ أَنَّها مِن الله يَعالى _ ، ثمَّ يُنكِرونَها بأفعالِهِم ، حيثُ لم يُفْرِدوا مُنْعِمَها بِالعِبادة ، فَكَأَنَّهم لمْ يَعْبُدُوه _ سُبْحانه وتَعالى _ أَصْلاً ، وذلك كَفْرانٌ مُنزَّلٌ مَنْزِلَةَ الإِنْكارِ .

⁽١) النحل: (٨٣).

⁽٢) النحل: (٨١ ـ ٨٣).

وأخرجَ ابنُ جريرٍ وغيرُه عنْ مُجاهِدٍ أَنَّه قالَ: «إنكارُهُم إيَّاها قولُهم: وَرثْناها مِن آبائِنا»(١).

وأخرجَ هو وغيرُهُ ـ أيضاً ـ عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ أنَّه قالَ: "إنكارُهم إيَّاها أَنْ يقولَ الرَّجُلُ: لَولا فلانٌ أصابَني كَذا وكَذا ، ولَوْلاَ فلانٌ لم أُصِبْ كَذا وكَذا» (٢).

وفي لفظ «إنكارُها: إضافتُها إلى الأسباب».

وبعضُهُم يقولُ: إنكارُهُم: قولُهم: هي بشفاعةِ آلهتِهِم عند اللهِ _ تعالى _ (٣).

وَمِنْهِم مَن قالَ: النِّعمةُ _ هنا _ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ (١٤) ، أيْ: يَعْرِفُونَ أَنَّه _ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ _ نَبِيٌ بِالمُعْجِزاتِ ، ثمَّ يُنكِرون ذلكَ ، وَيَجْحَدونَه عِناداً.

﴿ وَأَكَ ثَرُهُمُ ٱلْكَفِرُونَ ﴾ ، أيْ: المُنكِرون بِقُلوبِهِم ، غيرُ المُعْتَرِفين بِمَا ذُكِرَ ، والتَّعبيرُ بالأكثرِ إمَّا لأنَّ بعضَهم لم يَعْرِفِ الحقَّ ؛ لِنُقصانِ عقلِه ، وعدم اهتدائِهِ إليه ، أو لِعدم نَظَرِهِ في الأدلَّةِ نَظَراً يؤدِّي إلى

⁽۱) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» بنحوه (١٥٨/١٤) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٦/٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

⁽٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥٨/١٤) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢) . (١٢٧/٤).

⁽٣) هذا قول الكلبي ، كما ذكر ذلك البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٨٠) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤٧٩/٤) ، وقول الفراء كما في «معاني القرآن» (١١٢/٢) ، وابن قتيبة كما في «زاد المسير» (٤/ ٤٧٩).

⁽٤) وهذا قول الفراء كما في «معاني القرآن» له (١١٢/٢) ، وقول ابن قتيبة كما في «زاد المسير» (٤/٩/٤) ، وعزاه ابن جرير في «تفسيره» (١٥٧/١٤) إلى السدي ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٢٧/٤) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

المَطْلُوبِ ، أو لأنَّه لمْ تَقُمْ عليهِ الحُجَّةُ؛ لِكُونِهِ لم يَصِلْ إلى حَدِّ المُكَلَّفينَ لِصغرٍ ونحوِه ، وإمَّا لأنَّه يُقامُ مقامَ الكُلِّ ، فإسنادُ المعرفةِ والإنكارِ المتفرِّعِ عَلَيْها إلى ضَميرِ المشرِكينَ على الإطلاقِ مِن بابِ إسنادِ حالِ البعضِ إلى الكلِّ.

وَمِمَّا يَجْرِي هذا المَجْرِي قولُهُ - تَعالى - في سورةِ «الواقِعِةِ»: ﴿ أَفَيَهَذَا الْمَجْرِي وَلَهُ مَا تَكُمُّ أَنَّكُمُ أَنَّكُمُ تُكَدِّبُونَ ﴾ (١) ، أَيْ: تَقُولُونَ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا وكذا.

رَوَى مُسلِمٌ وغيرهُ عن ابنِ عبّاسٍ ، قالَ: «مُطِرَ النَّاسُ على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ـ عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شاكرٌ ، ومنهم كافِرٌ ، قالوا: هذه رحمةٌ وَضَعَها اللهُ ، وقالَ بعضُهم: لَقَد صَدَقَ نَوْءُ كَذَا ، فَنَزَلَتْ هٰذهِ الآيةُ: ﴿ فَ فَكَ أَقْسِمُ بِمَوَقِعِ ٱلنَّجُومِ . . . ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمُ أَنَّكُمُ أَنَّكُمُ تُكَذِّبُونَ ﴾ (٢) » .

إلى غير ذلك مِنَ الآثارِ.

وَقَد ذَكَرْنا مَذهبَ العربِ في الأنواءِ في غيرِ هذا الموضِع (٣)، وَفَصَّلْناه تَفْصيلًا ، وَذَكرْنا شِعْرَهُم الدَّالَّ على مَذهَبِهِم هذا ، واللهُ المُوَفِّقُ (٤).

⁽١) الواقعة (٨١ - ٨١).

⁽٢) الواقعة: (٧٥ - ٨٢).

⁽٣) وذلك في كتابه «بلوغ الأرب».

⁽٤) وانظر أيضاً كتاب «القول في النجوم» للخطيب البغدادي ، وكتاب «الأنواء ومواسم العرب» لابن قتيبة.

الثامنة والثلاثون

الكفرُ بآياتِ اللهِ.

والنُّصوصُ الدَّالَّةُ على ذلكَ في القرآنِ كثيرةٌ:

مِنها قولُهُ - تَعالَى - في «الكَهْفِ»: ﴿ أُولَتِكَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ بِنَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآبِهِ - فَيَطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَكُمْ يَوْمَ الْقِينَمَةِ وَزْنًا ﴿ أُولَتِكَ اللَّهِ مَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّغَذُواْ ءَايَتِي فَيَطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَكُمْ يَوْمَ الْقِينَمَةِ وَزْنًا ﴿ ذَلِكَ جَزَاۤ وَهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّغَذُواْ ءَايَتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ (١) بعْدَ قولِهِ - سُبحانَه -: ﴿ هَلْ نُنَيْتُكُمْ (٢) بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا ﴿ اللَّهِ الَّذِينَ ضَلَّ وَرُسُلِي هُزُواْ ﴾ (١) بعْدَ قولِهِ - سُبحانَه -: ﴿ هَلْ نُنَيْتُكُمْ (٢) بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلُوا إِلَيْ اللَّهِ اللَّهُ الللَّا اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

فقولُه: ﴿ أُولَتِكَ ﴾ كلامٌ مُسْتَأَنَفٌ منهُ مسوقٌ لتكْميلِ تعريفِ الأُخْسَرِينَ ، وَتَبَيْينِ خُسرانِهِم وضَلالِ سَعْيهِم وتَعْيينِهِم ، بِحيثُ يَنْطَبِقُ التَّعريفُ على المُخاطَبينَ ، أَيْ: أولئكَ المَنْعُوتُونَ (٤) بِما ذُكِرَ من ضَلالِ السَّعْي والحُسْبانِ المَنْكُور.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَتِ رَبِّهِمْ ﴾: بِدلائِلِهِ _ سُبحانَه _ الدَّاعِيَةِ إلى التَّوحِيدِ ، الشَّامِلةِ للسَّمعيَّةِ والعقلِيَّةِ .

⁽١) الكهف: (١٠٥ ـ ١٠٦).

⁽٢) في المخطوط «أنبئكم» ، وهو خطأ.

⁽٣) الكهف: (١٠٣ _ ١٠٤).

⁽٤) في المخطوط «المبعثون».

﴿ وَلِقَآبِهِ ، ﴾: هو كِنايةٌ عن البَعثِ والحَشْرِ وما يَتْبَعُ ذلك من أُمورِ الآخِرةِ ، أَيْ: لم يؤمِنوا بِذلِك على ما هو عَلَيهِ .

﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيمَةِ وَزْنَا ﴾ ، أَيْ: فَنَزْدَري بِهِم ، وَنَحْتَقَرُهُم.

ومِنَ النُّصوصِ ما يَدُلُّ على أنَّ مِنهم مَن كان يُنْكِرُ بَعضَ الآياتِ ، ومِنهم مَن كانَ مُعْرضاً عَنْها وهاجراً لها.

ولا يَخْفاك^(١) أنَّ مِنَ النَّاسِ اليومَ مَن هُوَ أَدْهى وأَمَّرُ مِمَّا كانَ عَلَيه أهلُ الجاهِلِيَّةِ في هٰذَا الباب.

⁽١) في المطبوع: «ولا يخفي عليك».

التاسعة والثلاثون

اشْتِراءُ كُتُبِ الباطِلِ ، واخْتِيارُها عليها ، أيْ: عَلَى الآياتِ.

قالَ - تَعالَى -: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا ۚ إِلَيْكَ ءَايَنتِ بَيِنَنتِ ۚ وَمَا يَكُفُرُ بِهَا إِلَا الْفَسِقُونَ ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا ۚ إِلَيْكَ ءَايَنتِ بَيِنَنتِ ۚ وَمَا يَكُفُرُ بِهَا إِلَا الْفَسِقُونَ ﴿ وَلَقَا مَعَهُمْ بَلَ أَكْرُهُمْ لَا يُوْمِنُونَ ﴾ الْفَسِقُونَ ﴿ وَلَقَا جَاءَهُمْ رَسُولُ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَنَذَ وَبِقٌ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ كِتَبَ اللّهِ وَرَآء طُهُورِهِمْ كَأَنّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وَاتّبَعُوا مَا تَنلُوا الشّيَطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَتِمَنَ . . ﴾ (١) .

إلى قولِه: ﴿ وَيَنْعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَكِمُواْ لَمَنِ اَشْتَرَىهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيِنْسَ مَا شَكَرُواْ بِهِ الْفُسَهُمُّ لَوَ كَانُواْ يَعْلَمُونَ فَي وَلَوْ الْمَثُوبَةُ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وَمَعنى قُولِهِ: ﴿ وَلَقَدْ عَكِلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَائُهُ ﴾ ، أَيْ: اسْتَبْدَلَ مَا تَتْلُوا الشَّياطينُ بِكتابِ اللهِ.

﴿ مَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَتَوْ ﴾ ، أيْ: نَصيبٍ.

﴿ وَلَبِنْسَ مَا شَكَرُواْ بِهِ ۚ أَنفُسَهُمْ ﴾ ، أيْ: واللهِ لَبِئسَ شَيئاً شَرَوا به

⁽١) البقرة: (٩٩ ـ ١٠٢).

⁽٢) البقرة: (١٠٢_١٠٣).

حُظوظَ أَنْفُسهم ، أي: باعوها أو شَرَوْها في زعْمِهم ذلكَ الشِّراءَ.

﴿ وَلَوْ آَنَهُمْ عَامَنُوا ﴾ ، أيْ: بالرَّسولِ ، أَوْ بِما أُنْزِلَ إلَيه مِنَ الآياتِ ، أو بِالتَّوْراةِ .

﴿ وَٱتَّقَوْا ﴾ ، أيْ: المَعاصيَ التي حُكِيَتْ عَنْهُمْ.

﴿ لَمَثُوبَةً مِنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، أَيْ: أَنَّ ثَوابَ اللهِ _ تَعالى _ خَيْرٌ لهُمْ.

وبِمَعْنى هذهِ الآيةِ قولُه _ تَعالى _: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِنْبَ الْكِنْبَ الْكِنْبَ الْكِنْبَ بِأَيْدِ مِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَاذَا إِلَّا أَمَانِى وَإِنْ هُمْ إِلَا يَظُنُونَ ﴿ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ يَكُنُبُونَ الْكِنْبَ بِأَيْدِ مِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَاذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ • ثَمَنَا قَلِيلًا لَهُمْ مِّمَّا كَنْبَتْ أَيْدِ يهِمْ وَوَيْلُ لَهُم مِّمَّا كَنْبَتْ أَيْدِ يهِمْ وَوَيْلُ لَهُم مِّمَّا كَنْبَتْ أَيْدِ يهِمْ وَوَيْلُ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

وَهٰذِهِ الآيةُ نَزَلَتْ في أحبارِ اليهودِ الذينَ خافُوا أَنْ تَذهبَ رِئاسَتُهُم بَإِبْقاءِ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ على حالِها ، فَغَيَّروها.

谷 米 谷

⁽١) البقرة: (٧٨ ـ ٧٩).

الأربعون

القَدْحُ في حِكْمَتِهِ _ تَعالى _.

أقولُ: مِنْ خِصالِ أهلِ الجاهِلِيَّةِ: القَدْحُ في حِكْمَتِهِ ـ تَعالى ـ ، وأَنَّهُ لَيْسَ بِحَكيمٍ في خَلْقِهِ ، بِمعنى أنَّه ـ سُبحانَهُ ـ يَخْلُقُ ما لا حِكْمَةَ لَهُ فيهِ ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهِى بِما لا حِكْمَةَ فيهِ .

وقد حَكى اللهُ _ تَعالى _ ذُلِكَ بِقُولِهِ في سُورةِ "صَّ": ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلاً ذَلِكَ ظُنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١).

وَقَالَ _ سُبِحَانَه _ في سورة «المؤمنين»: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَالَا تُرْجَعُونَ ﴿ فَاعَكُمْ اللَّهُ ٱلْمَاكِكُ ٱلْحَقَّ ﴾ (٢).

وفي سورة «الدُّخانِ»: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَنَ ﴾ (٣).

وفي سورة الأنبياء»: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِيِينَ ۞ لَوَ الرَّدْنَا آَن نَنَّخِذَ لَمُوا لَا تَعِينِنَ ۞ لَوَ الرَّدْنَا آَن نَنَّخِذَ لَمُوا لَا تَعَذَذَنَهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ (٤).

⁽١) ص : (٢٧).

⁽٢) المؤمنون: (١١٥ ـ ١١٦).

⁽٣) الدخان: (٣٨_٣٩).

⁽٤) الأنبياء: (١٦ - ١٧).

وفي سورة «الحِجْر»: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآئِيةً ۚ فَأَصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلجَمِيلَ﴾ (١).

إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ النَّاصَّةِ على أَنَّ الله َ تَعالى _ لَم يَخْلُقُ شَيئاً مِن غيرِ حِكمةٍ وَلا عِلَّةٍ ، على خِلافِ ما يَعْتَقِدُهُ أَهلُ الباطِل مِنَ الجاهِلِيِّينَ ، وَمَنْ نَحا نَحْوَهُمْ مِن هذهِ الأُمَّةِ مِمَّنْ نَفَى الحِكمةَ عَن أَفعالِهِ _ سُبحانه وتَعالى _.

وهذهِ مَسألةٌ طويلةُ الذَّيلِ ، قَدْ كَثُرَ فيها الخِصامُ بَيْنَ فِرَقِ المُسلِمينَ ، والحقُّ ما كانَ عَلَيه السَّلَفُ مِن إثباتِ الحِكمةِ والتَّعليل.

وقدْ أَطْنَبَ الكلامَ عليها الحافِظُ ابنُ القَيِّم في كِتابهِ «شِفاءِ العليلِ في مسائلِ القَضاءِ والقَدَرِ والحِكْمَةِ والتَّعْليلِ»، وَعَقَدَ باباً مُفَصَّلاً في طُرُقِ إِثْباتِ حِكمةِ الرَّبِّ - تَعالى - في خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ ، وإثباتِ الغاياتِ المَطلوبةِ والعواقِب الحَمِيدَةِ الَّتِي فَعَلَ وَأَمَرَ لأَجْلِها.

ومِنْ جُملةِ ما قالَ في هذا البابِ: "إنّه - سُبحانه وتَعالى - أَنْكَرَ (٢) على مَنْ زَعَمَ أَنّه لم يخلُقِ الخَلْقَ لِغايةٍ ولا بِحِكمة ، كُقَولِهِ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا﴾ ، وقولِهِ: ﴿ وَمَاخَلَقْنَا الْإِنْسُنُ أَن يُتَرَكَ سُدّى ﴾ ، وقولِهِ: ﴿ وَمَاخَلَقْنَا السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيّنَهُمَا لَعِينَ ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلّا بِالْحَقِّ ﴾ ، والحَقُّ: هو السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيّنَهُمَا لَعِينَ ﴾ ما خَلَقْنَاهُمَا إِلّا بِالْحَقِّ ﴾ ، والحَقُّ: هو الحِكَمُ والغاياتُ المحمودةُ ، التي لأجلِها خَلَقَ ذلكَ كُلَّهُ ، وهو أنواعٌ كثيرةٌ:

منها: أَنْ يُعْرَفَ اللهُ بِأَسمائِهِ ، وصِفَاتِهِ ، وأفعالِهِ ، وآياتِهِ. وَمِنْها: أَنْ يُحَبَّ ، وَيُعْبَدَ ، وَيُشْكَرَ ، ويُذْكَرَ ، ويُطاعَ.

⁽١) الحجر: (٨٥).

⁽٢) في «شفاء العليل»: «إنكاره _ سبحانه _».

ومِنها: أَنْ يَأْمُرَ ، وَيَنْهَى ، وَيُشَرِّعَ الشَّرائِعَ.

ومِنها: أَنْ يُدَبِّرُ الأمرَ ، ويُبْرِمَ القَضاءَ ، وَيَتَصَرَّفَ في المَمْلَكَةِ بأنواعِ التَّصَرُّفَاتِ.

ومِنها: أَنْ يُثيبَ ويُعاقِبَ ، فَيُجازِيَ المُحْسِنَ بإِحْسِانِهِ والمُسيءَ بإِسَاءَتِهِ ، فَيَكونَ (١) أَثَرُ عَدْلِهِ وَفَضْلِهِ موجوداً مُشاهَداً ، فَيُحْمَدَ على ذلك ويُشْكَرَ.

ومِنْها: أَنْ يُعْلِمَ خَلْقَهُ أَنَّه لا إِلٰهَ غَيْرُهُ ولا رَبَّ سِواهُ.

ومِنها: أَنْ يَصْدُقَ الصَّادِقُ فَيُكْرِمَهُ ، وَيَكْذِبَ الكاذِبُ فَيُهينَهُ.

ومِنْها: ظُهُورُ آثارِ أَسْمائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى تَنَوُّعِها وَكَثْرَتِها في الوُجودِ الذِّهْنِيِّ والخارجِيِّ ، فَيَعْلَمُ عِبادُهُ ذَلَكَ عِلْماً مُطابِقاً لِما في الواقع.

ومِنْها: شَهادةُ مَخْلُوقاتِهِ كُلِّها بِأَنَّهُ وَحْدَهُ رَبُّها وَفَاطِرُها وَمَلِيكُها ، وأَنَّهُ وَحْدَهُ إِلْهُها وَمَعْبُودُها.

ومِنْها: ظُهورُ آثارِ كَمالِهِ المُقَدَّسِ، فإنَّ الخَلْقَ والصُّنْعَ لازِمُ كَمالِهِ، فَإِنَّه حَيُّ قديرٌ، ومَنْ كان كَذلكَ لم يَكُنْ إلاَّ فاعِلاً مُختاراً.

ومِنها: أَنْ يُظْهِرَ أَثَرَ حَكَمَتِهِ فِي المَخْلُوقَاتِ بُوضِعِ كُلِّ مِنها فِي مَوضِعِهُ الذِي يَلِيقُ بِهِ ، ومَجِيئِهِ على الوجهِ الذي تَشْهَدُ العُقُولُ والفَطَرُ بِحُسْنِهِ ، فَتَشْهَدَ حِكْمَتَهُ الباهِرةَ.

ومِنها: أنَّه ـ سُبحانَه ـ يُحِبُّ أنْ يَجودَ ويُنْعِمَ ، وَيَعْفُوَ وَيَغْفِرَ وَيُسامحَ ، ولا بُدَّ مَن لوازم ذلكَ خَلْقاً وشَرْعاً.

ومِنها: أَنَّه يُحِبُّ أَنْ يُثْنَى عليهِ ، ويُمْدَح ويُمَجَّدَ ، وَيُستَّحَ وَيُعَظَّمَ.

⁽١) في «شفاء العليل»: «فيوجد».

ومنها: كثرةُ شواهدِ رُبوبِيَّتِهِ وَوَحْدانِيَّتِهِ وَالْهِيَّتِهِ . . إلى غير ذلك . من الحِكمِ التي تَضَمَّنَها الخَلْقُ ، فَخَلَقَ مَخْلُوقاتِهِ بِسببِ الحَقِّ ، ولأجلِ الحَقِّ ، وَخَلْقُها مُلْتَبِسٌ بالحَقِّ ، وهو في نفسهِ حَقٌّ ، فَمَصْدَرُهُ حَقٌّ ، وهو في نفسهِ حَقٌّ ، فَمَصْدَرُهُ حَقٌّ ، وغايتُه حَقٌّ ، وهو يَتَضَمَّنُ الحَقَّ .

وقَدْ أَثْنَى على عِبادِهِ المؤمِنينَ حَيْثُ نَزَّهُوهُ عَنْ إيجادِ الخَلْقِ ، لا لِشيءِ ولا لِغاية ، فقَالَ ـ تَعالَى ـ: ﴿ إِنَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَفِ ٱلنَّهِ وَلا لِغاية ، فقَالَ ـ تَعالَى ـ: ﴿ [إِنَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَفِ ٱلنَّهُ وَيَكَمّا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِم] (١) وَالنَّهَارِ لَا يَعْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ ﴿ (١) . وَيَتَفَكَّ رُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ ﴾ (١) .

وأَخْبَرَ أَنَّ هٰذَا ظُنُّ أَعْدَائِهِ ، لا ظَنُّ أُولِيائِهِ ، فقالَ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلَاً ذَلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفُرُواً ﴾ .

وكيفَ يَتَوَهَّمُ أَنَّه عَرَفَهُ مَن يقولُ: إِنَّه لم يَخْلَقُ الخَلْقَ لِحكمةٍ مطلوبةٍ لَه ، ولا أَمَرَ لِحكمةٍ ، ولا نَهَى لِحكمةٍ ، وإنَّما يَصْدُرُ الخَلْقُ والأمرُ عن مشيئةٍ وقُدْرَةٍ مَحْضَةِ ، لا لِحكمةٍ ولا لِغايةٍ مقصودةٍ؟!

وهلْ هذا إلا إنكارٌ لحقيقةِ حَمْدِهِ؟!

بَل الخَلْقُ والأمرُ إنَّما قامَ بالحِكَمِ والغاياتِ ، فَهُما مَظْهَرَانِ لِحمدِهِ^(٣) وَحِكمتِهِ.

فإنكارُ الحكمةِ إنكارٌ لِحَقيقةِ خَلْقِهِ وأمرِهِ؛ فإنَّ الذي أَثْبَتَهُ المُنْكِرُونَ مِن ذلكَ يُنَزَّهُ عنه الرَّبُّ ويتَعالى عَن نسبتِهِ إليهِ ، فإنَّهم أَثْبَتُوا خَلْقاً وَأَمْراً لا رَحْمَةَ فيهِ ولا مَصْلَحَةَ ولا حِكمةَ ، بَلْ يَجوزُ عِنْدَهُم ـ أُو يَقَعُ ـ أَنْ يَأْمُرَ

⁽١) ما بين المعكوفتين ليس في «شفاء العليل».

⁽٢) آل عمران: (١٩٠ ـ ١٩١).

⁽٣) في «شفاء العليل»: «بحمده».

بِما لا مَصلحةَ لِلْمُكَلَّفِ فيه ألبتَّةَ ، ويَنْهى عَمَّا فيه مَصلحةٌ ، والجميعُ بالنِّسبةِ إليه سواءٌ.

ويَجوزُ _عِنْدَهم _ أَنْ يَأْمُرَ بِكُلِّ مَا نَهِي عَنه ، ويَنْهَى عن جَميعِ مَا أَمَرَ بِهِ ، ولا فَرْقَ بَيْنَ هٰذَا وهٰذَا إلاَّ بِمُجَرَّدِ (١) الأَمْرِ والنَّهْي.

وَيَجُوزُ _ عِنْدَهُم _ أَنْ يُعَذِّبَ مَنْ لَم يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَينٍ ، [بِلْ أَفنى عُمُرَهُ في طاعِتِه وشُكْرِهِ] (٢) ، ويُثيبَ مَن عَصاهُ (٣) بِلْ أَفْنى عُمُرَهُ في الكُفْرِ بِهِ في طاعِتِه وشُكْرِهِ] (١٤) ، ويُثيبَ مَن عَصاهُ (٣) بِلْ أَفْنى عُمُرَهُ في الكُفْرِ بِهِ والشَّرْكِ والظُّلْمِ والفُجورِ ؛ فلا سَبيلَ إلى أَنْ يُعْرَفَ خِلافُ ذٰلِكَ منه إلاَّ بِخبَرِ الرَّسولِ ، وإلاَّ فهو جائزٌ عليهِ .

وَهٰذَا مِنْ أَقْبَحِ الظَّنِّ وأَسُوئِهِ بِالرَّبِّ _ سُبِحانَه _ ، وتَنْزِيهُهُ عَنه كَتَنزيهِهِ عن الظُّلْمِ والجَوْرِ ، بَلْ هذا هو عَيْنُ الظُّلْمِ الذي يَتَعالَى اللهُ عَنْهُ.

والعَجَبُ العُجابُ أَنَّ كثيراً مِن أربابِ هٰذا المَذْهَبِ يُنَزِّهُونَهُ عَمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه مِن صِفاتِ الكمالِ وَنُعوتِ الجَلالِ ، ويَزْعُمُونَ أَنَّ إثباتَها تَجْسيمٌ وتَشْبيهٌ، ولا يُنَزِّهُونَه عَن هذا الظُّلْمِ ، والجَوْرِ ، ويَزعُمُونَ أَنَّهُ عَدْلٌ وَحَقٌ ، وأنَّ التَّوحيدَ عِنْدَهُم لا يَتِمُ إلا بِهِ ، كما لا يَتِمُ إلا بإنكارِ اسْتِوائِهِ عَلى عُرْشِهِ، وعُلُوهِ فَوْقَ سَماواتِه ، وتَكُلّمِهِ وتَكُليمِهِ ، وصِفَاتِ كمالِه! فلا يَتِمُ التَّوميدُ عند هذهِ الطَّائِفةِ إلا بهذا النَّفي وذلكَ الإثباتِ، واللهُ وليُ التَّوفيقِ» (٤٠).

انتهى المقصودُ من نَقْلِهِ ، وتَمامُ الكلامِ في هذا البابِ مِن ذلكَ الكِتاب ، وإليه ـ سُبحانَه ـ المآبُ.

^{* * *}

⁽۱) في «شفاء العليل»: «لمجرد».

⁽٢) ما بين المعكوفتين زيادة من «شفاء العليل».

⁽٣) في «شفاء العليل»: «وينعم على من لم يعصه طرفة عين».

⁽٤) «شفاء العليل» (١٩٨ _ ١٩٩).

الحادية والأربعون

الكُفرُ بِالملائِكَةِ والرُّسُلِ والتَّفْريقُ بَيْنَهُم.

قالَ - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِنْبَ وَقَفَيْتَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَإِلرُّسُلِ وَ وَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْبَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلُما جَاءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لَا بَهْوَى الْفُسُكُمُ اَسْتَكْبَرُ ثُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَوَرِيقًا نَقْنُلُونَ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا عُلْفُلُ بَلَ لَمَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُوْمِنُونَ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِنَبُ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَلْهِ هِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُوْمِنُونَ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِنَبُ مِنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَلْمِينَ اللّهُ مِن عَلَى اللّهُ مَا عَرَفُوا حَكَفُرُوا بِيَّ فَلَعْنَهُ اللّهُ بَعْنَيا اللّهُ مَا عَرَفُوا حَكَفُرُوا بِيَّ فَلَعْنَهُ اللّهُ بَعْنَيا اللّهُ بَعْنَيا اللّهُ مَن يَشَاهُمُ أَن يُصَعَلُوا بِي اللّهُ بَعْنَيا اللّهُ بَعْنَيا اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِهِ * فَنَكُونُ اللّهُ مَا وَلِلْكَفِرِينَ أَلْ لَلْهُ مَا وَلَا يُعْلَى اللّهُ مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِهِ * فَبَاهُ و يغضَبِ عَلَى عَضَبُ وَلِلْكَفِرِينَ أَن يُتَعْلَى اللّهُ مُن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاهُ مِن عِبَادِهِ * فَبَاهُ و يغضَبِ عَلَى عَضَبُ وَلِلْكَفِرِينَ أَن يُعْرَفُونَ اللّهُ مَا وَلَا عَلَى مُن يَشَاهُ مُن عَبَادِهِ * فَبَاهُ و يغضَبِ عَلَى عَضَبُ وَلِلْكَفِرِينَ اللّهُ مَا اللّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْولَ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ مَن يَشَاهُ مَن عَلَى اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مَا مَا عَلَى اللّهُ مَا وَلَاكُونَ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الل

إلى أَنْ قَالَ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلُهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدُيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ مَن كَانَ عَدُوَّا لِللَّهِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدُيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ مَن كَانَ عَدُوَّا لِللَّهِ وَمَلَتِهِ كَانَ عَدُوَّا لِللَّهُ عَدُوَّ لِلْكَفِرِينَ ﴿ مَن كَانَ عَدُوَّا لِللَّهِ وَمَلَتِهِ كَيْدِي وَرُسُ لِهِ، وَجِبْرِيلَ وَمِيكُنلَ فَإِنَ اللَّهَ عَدُوَّ لِلْكَفِرِينَ ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا وَمَلَتِهِ كَانَ عَدُولُ لِللَّهُ عَدُولًا لِللَّهُ عَدُولًا لِللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ لِيلِي اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ عَلَيْكُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ عَلَى اللّهُ الللْهُ عَلَا الللّهُ اللللْهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّ

⁽١) البقرة: (٨٧ ـ ٩١).

⁽٢) البقرة: (٩٧ - ٩٩).

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هٰذِهِ الآياتِ أَنَّ بَعضَ الكِتابِيِّينَ كَانُوا يَكْفُرونَ بِالمَلاثِكَةِ وَالرُّسُلِ، وَيُمْوَرِ بَبْعضٍ ، أَيْ: يؤمِنونَ بِبَعضٍ وَيَكْفُرونَ بِبَعضٍ ، وهم طائفةٌ مِن جاهليَّةِ اليَهودِ ، وَلِهَذا أَمَرَنا اللهُ _ تَعالى _ بالإيمانِ بِهم وَعَدَمِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَهُم ، فَقالَ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ اللهُ وَمَكَتِهِ وَمُلُوهِ وَرُسُلِهِ عَلَا لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَكَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَطَعْنَا فَأَلَعْنَا وَالْمَعْنَا وَأَطَعْنَا وَالْمَعْنَا وَأَطَعْنَا فَعُرَانِكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيدُ ﴾ (١).

⁽١) البقرة: (٢٨٥).

الثانية والأربعون

الغُلُوُّ في الأنبياءِ والرُّسُلِ _ عليهم السلام _.

وَالغُلُوُّ في المخلوق أعظمُ سَبَبٍ لعبادةِ الأصنام والصَّالِحينَ ، كَما كانَ في قوم نوحٍ من عبادةِ نَسْرٍ وسُواعٍ وَيَغوثَ ونَحْوِهِم ، وكما كان مِنَ عبادةِ النَّصارى لِلمَّسيح ـ عليه السلام _.

ومِثلُ ذلكَ: القولُ على اللهِ بِغيرِ الحَقِّ.

⁽١) النساء: (١٧١).

الثالثة والأربعون

الجِدالُ بِغيرِ العِلمِ ، كما تَرى كثيراً مِنْ أهلِ الجَهْلِ يَجادِلُونَ أهلَ العِلْمِ عِنْدَ نَهْيِهِم عَمَّا أَلِفُوه مِنَ البِدَعِ والضَّلالاتِ ، وهي صِفَةٌ جاهِلِيَّةٌ ، نَهانا اللهُ - تَعالى - عَنِ التَّخلُّقِ بِها .

قالَ - تَعالَى - في سورةِ «آل عمرانِ»: ﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَبِ لِمَ تُحَآجُونَ ('' فِيَ إِبْرَهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَكَةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ هَمَا أَنتُمْ هَلُولَا وَ اللّهُ يَعْلَمُ وَٱللّهُ يَعْلَمُ وَٱللّهُ مَا مُكَالَتُمْ فَكُولَا وَ مِن اللّهِ لَكُم بِدِ عِلْمٌ وَٱللّهُ يَعْلَمُ وَٱللّهُ مَا مُكَالّمَ لَا مَعْمَونَ ﴾ (۲).

أَخْرَجَ ابنُ إسحاقَ وابنُ جَريرٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ تَعالى عَنْهُما - قالَ: «اجْتَمَعَتْ نَصارى نَجْرانَ وأحبارُ يهودَ عِندَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَتَنازَعوا عِنْدَهُ ، فَقَالَتِ الأحبارُ: ما كانَ إبراهيمُ إلاَّ يَهودِيّاً ، وقالتِ النَّصارى: ما كان إبراهيمُ الاَّ يَهودِيّاً ، وقالتِ النَّصارى: ما كان إبراهيمُ إلاَّ نَصْرانِيًا ، فَأَنْزَلَ اللهُ فيهم هٰذه الآيةَ (٣) المُنادِيّةَ على جَهْلِهم وعِنادهِم ، كَما لا يَخْفى على مَنْ راجَعَ التَّفْسِيرَ.

⁽١) في المخطوط «تجادلون» وهو خطأ.

⁽٢) آل عمران: (٦٥ - ٦٦).

 ⁽٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة «سيرة ابن هشام» (٢/٥٥٣)، وابن جرير في «تفسيره» (٣/٥٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ـ باب وفد نجران ـ (٥/ ٣٨٤).

الرابعة والأربعون

قالَ الشَّيخُ: الرَّابِعةُ والأربعونَ: الكَلامُ في الدِّين بِلا عِلْمٍ.

أَقُولُ: أَجْمَلَ الشَّيخُ _ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى _ الكَلامَ في هذهِ المسألةِ كُلَّ الإجمالِ ، كَما فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ في كَثيرٍ مِنَ المَسائِلِ ، وما أَحَقَّها بِالتَّفْصيلِ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَهِلَ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ العَرَبِ وغيرِهِم مِنَ الكِتَابِيِّينَ شَرَعُوا في الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ:

أمّا العَرَبُ فقد كانَ الكثيرُ مِنهُم على دينِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ _ إلىٰ أَنْ ظَهَرَ فِيهِمُ الخُزاعِيُّ (١) _ وهو عمرو بن لحي وكان الحجازيون يتخذونه رَبًّا في امتثال أمره وطاعته ، والانتهاء عما نهى _ ، فَغَيَّرَ وَبَدَّلَ ، وابْتَدَعَ بِدَعاً كَثيرةً ، وَأغْرى العَرَبَ عَلى عِبَادةِ الأصنامِ ، وَبَحَرَ البَحيرَةَ ، وَحَمى الحام ، واسْتَقْسَمَ بِالأزلامِ ، إلى غير ذٰلكَ مِمّا فَصَّلْناه في غيرِ هٰذا الموضِع.

وإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ جَهْلَ العرَبِ وما ابْتَدَعُوهُ فَاقْرأْ سُورةَ «الأنعامِ» ، فَإِنَّ فيها كَثيراً مِن ضَلالاتِهِم ومُبْتَدَعاتِهِم (٢).

⁽۱) هو عمرو بن عامر الخزاعي، ولحي نعت لعامر ، رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار. انظر: «صحيح البخاري» _ كتاب التفسير _ باب ﴿ مَا جَمَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةً وَلَا سَآبِيَةً وَلَا وَصِيلَةً وَلَا حَامِ ﴾ _ (١٩١/٥) ، «الأصنام» للكلبي (ص ٨) ، «الاشتقاق» لابن دريد (ص ٨).

⁽٢) يعني فإن فيها ذكراً لكثير من ضلالاتهم ومبتدعاتهم.

وأُمَّا الجاهِلِيُّونَ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى ، فَقَدِ اتَّخَذُوا أَحبارَهم ورُهبانَهم الْبَتَدَعوا أَرباباً مِن دُونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مَريَمَ ، وذلكَ أَنَّ أَحبارَهم ورُهبانَهمُ البُتَدَعوا لَهُمْ في الدِّينِ بِدَعاً ، وَحَلَّلوا وَحَرَّموا ما اشْتَهَتْهُ أَنْفُسُهُم ، فَقَبِلوا ذلكَ مِنهم وأطاعوهُم عليه ، مع أَنَّ الدِّينَ إِنَّما يكونُ بِتَشْرِيعِ اللهِ ووحْيهِ إلى أَنْبِيائِهِ ورُسُلِهِ ، ولا يكونُ بآراءِ الرِّجالِ وبِحَسَبِ أَهْوائِهِمْ ، فَكُلُّ ما لا دَليلَ عَلَيه مِنْ كِتابِ ولا سُنَّةٍ مَرْدودٌ على صاحِبِهِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ - تعالى - اليَهودَ عَلى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَقال - عَزَّ اسْمُهُ - في سورةِ «آل عِمرانَ»: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونَ ٱلسِنَتَهُم بِٱلْكِئَبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ هُو مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ وَمَا هُو مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

فَمَنْ أَوَّلَ نُصوصَ الكِتابِ والسُّنَّةِ على حَسَبَ شَهَواتِهِ وبِمُقْتَضى هَواهُ فَهو - أيضاً - مِنْ قَبيلِ الذينَ يَلُوونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتابِ.

وَأَنتَ تَعْلَمُ مَا اشْتَمَلَتْ (٢) عَلَيْهِ للهِ اليومَ للهِ الشَّريعَةِ مِنَ الآراءِ التي لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدُ مِنْ دَلائِلِ الشَّريعَةِ ، فإلى اللهِ المُشْتَكى مِنْ صَوْلَةِ الباطِلِ وخُمولِ الحَقِّ.



⁽١) آل عمران: (٧٨).

⁽٢) في المطبوع: «ما اشتمل».

الخامسة والأربعون

الكُفرُ باليومِ الآخِرِ ، والتّكذيبُ بِلقاءِ اللهِ ، وبَعْثِ الأرْواحِ ، وَبِبَعْضِ ما ذَكَرَتْهُ الرُّسُلُ مِنْ صِفاتِ الجَنَّةِ والنَّارِ.

قالَ _ تعالى _ في سورة «الكهف»: ﴿ قُلْ هَلْ نُلَئِئُكُم مِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا ﴿ اللَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْخَيْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِنَايَتِ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْخَيْرَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِنَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآمِهِ * وَقَدْ مَرَّ الكلامُ عَليها قريباً.

وَقَالَ - تَعَالَى - في سورة «النَّحْلِ»: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوثُ بَكِن وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًا وَلَكِنَ أَكُمْ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ لِلْبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهِ عَنْ يَلُونُ فِيهِ وَلِيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمُ كَانُواْ كَنْدِينَ ﴾ (٢).

إلى غَيرِ ذٰلِكَ مِنَ النُّصوصِ الوارِدَةِ في ذلكَ كُلِّهِ.

ولِقوم عَصْرِنا مِنْ هذا الاعْتِقادِ الجاهِلِيِّ حَظُّ وافِرٌ وَنَصِيبٌ كَامِلٌ ، ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هادي لَهُ ، وَيَذَرُهُمْ في طُغْيانِهِم يَعْمَهونَ ، نَسْأَلُهُ - تَعالى - التَّوْفيقَ للهدايةِ .

⁽١) الكهف: (١٠٣ ـ ١٠٥).

⁽٢) النحل: (٣٨ ـ ٣٩).

السادسة والأربعون

التَّكذيبُ بِقَوْلِهِ - تَعالَى -: ﴿ مِثْلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (١) ، وَهُو اليومُ الذي يَدِينُ اللهُ - تَعالَى - العِبادَ فيهِ بأعمالِهِم ، فَيُثِيبُهُمْ عَلَى الخَيْراتِ ، ويُعاقِبُهُم على المَعاصِي والسَّيِّئاتِ.

والتَّكذيبُ بِهذا اليومِ مَتَفَرِّعٌ على إنكارِ البعثِ والحِسابِ والجَنَّةِ والنَّارِ.

⁽١) الفاتحة: (٤).

السابعة والأربعون

التَّكذيبُ بقولِهِ _ تَعالى _: ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ (١) مِنْ قَوْلِهِ _ التَّكذيبُ بقولِهِ _ تَعالى _: ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ (١) مِنْ قَوْلِهِ _ سُبْحانَهُ _: ﴿ يَكَأَيْهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَنكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَٱلْكَفِرُونَ هُمُ ٱلظَّلِمُونَ ﴾ .

والخُلَّةُ: المَوَدَّةُ والصَّداقَةُ.

وَمَعْنَى ﴿ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ ، أي: لا أَحَدَ يَشْفَعُ لأَحَدِ إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الرَّحْمَنُ لِمَنْ يَشَاءُ ويَرْضَى.

وأرادَ بِذلك يومَ القِيامَةِ.

والمُرادُ مِن وصْفِهِ بِما ذُكِر: الإشارةُ إلى أنَّه لا قدرةَ لأَحَدِ فيهِ على تَحصيلِ ما يُنْتَفَعُ بِهِ بِوجْهٍ مِنَ الوُجوهِ؛ لأنَّ مَنْ في ذِمَّتِهِ حَقُّ - مَثَلًا - إِمَّا أَنْ يَحْصيلِ ما يُؤَدِّيهِ بِهِ ، وإمَّا أَنْ يُعينَهُ أصدقاؤُه ، وإمَّا أَنْ يَلْتَجِيءَ إلى مَنْ يَشْفَعُ لَهُ في حَظِّهِ ، والكُلُّ مَنْتُفٍ ، ولا مُسْتعانَ إلاَّ باللهِ - عَزَّ وجلَّ -.

⁽١) البقرة: (٢٥٤).

الثامنة والأربعون

التَّكذيبُ بِقولِهِ _ تَعالَى _ في سورةِ «الزُّخُرُفِ»: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ اللَّهُ عُونَ (١) مِن دُونِهِ ٱلشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

قَولُهُ: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ (٣) ﴾ ، أيْ: ولا يملكُ آلِهَتُهُمُ الذين يَدْعُونَهُم مِن دونِهِ الشَّفاعَةَ ، كَما زَعَموا أَنَّهُم شُفعاؤُهُمْ عِندَ اللهِ _ عَزَّ وجَلَّ _.

﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الَّذي هو التَّوحيدُ.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، أيْ: يَعْلَمُونَهُ ، والمُرادُ بِهِم: الملائِكَةُ وعِيسى وعُزَيرٌ وَأَضْرَابُهُمْ.

وَأَنتَ تَرَى النَّاسَ اليومَ عاكِفينَ على أصنامٍ لهُمْ يَدْعُونَهُمْ مِن دُونِ اللهِ ، وَعُذْرُهُم عِنَدَ تَوبيخِهِم: أَنَّ هؤلاءِ شُفَعاؤُهم _ تَعالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ _.

⁽١) في المخطوط "تدعون".

⁽٢) الزخرف: (٨٦).

⁽٣) في المخطوط «تدعون».

التاسعة والأربعون

قَتْلُ أُولِياءِ اللهِ ، وقَتْلُ الذينَ يَأْمُرون بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ.

قالَ _ تَعالَى _ في سورة «البَقَرَةِ»: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِ مُ الذِّلَةُ وَالْمَسَكَنَةُ وَبَنَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِغَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّينِيَّنَ بِغَيْرِ الْمَحَقِّ (١) ذَالِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (١).

وقال في سورة «آلِ عِمرانَ»: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلُ مِن قَبِلِي بِٱلْبَيِّنَتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ وَسُلُ مِن قَبِلِي بِٱلْبَيِّنَتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَلاقِينَ ﴾ (٣) . .

إلى آياتٍ أُخرى في هذا المَعْنى صَرَّحَتْ بما لاقاهُ الأنْبِياءُ والرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وأَتْباعُهُم المُخْلِصونَ ودُعاةُ الحَقِّ (٤) ، وبِما كابَدوهُ مِن أعداءِ اللهِ والجَهَلَةِ الطُّغاةِ ، مِمَّا تَنْهَدُ لَهُ الصَّياصِي ، وتَبْيَضُ مِنْهُ النَّواصِي.

هؤلاءِ أَكَابِرُ الْأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ وعُلَماؤُها الأعلامُ ، قد صَادَفوا عِندَ

في المخطوط «بغير حق» وهو خطأ.

⁽٢) البقرة: (٦١).

⁽٣) آل عمران: (١٨٣).

⁽٤) جاء في حاشية المخطوط: «من ذلك أن الشيخ المصنّف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم، لما دعاهم إلى التوحيد التي جاءت به الرسل ما تنهد له الصياصي، وتشيب له النواصي، كما لا يخفى على من طالع سيره المقدسة، تغمده الله برحمته ورضوانه».

دَعوتِهِم إلى الحَقِّ والمُحافظَةِ عَلَيه ما يَسْوَدُّ منه وجهُ القِرْطاسِ ، وتَشيبُ منه لِمَمُ المِدادِ.

والأنبياءُ(١) _ صلواتُ اللهِ عليهِم _ وأتباعُهُم المُؤمنون وإنْ كانوا يُبْتَلَوْنَ فِي أُوَّلِ الأَمْرِ ، فالعَاقِبَةُ لَهم:

كما قال _ تعالى _ لَمَّا قَصَّ قصةَ نوحٍ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَلَا أَفَاصِيرٌ إِنَّ ٱلْعَلِقِبَةَ لِلْمُنَّقِينَ ﴾ (٢).

وفي الحَديثِ المُتَّفَقِ على صِحَّتِهِ لما أرسلَ النَّبِيُّ ﷺ رسولاً إلى مَلِكِ الرُّومِ ، فَطَلَبَ مَنْ يُخْبِرُهُ بسيرتِهِ _ وكانَ المُشرِكونَ حِيْنَاذٍ أعداءَهُ ، لم يكونوا آمَنوا بِهِ _ فقالَ: «كيفَ الحربُ بَيْنكُم وَبَيْنَهُ؟ قالوا: الحَرْبُ بَيْننا وبَيْنَهُ سِجالٌ ، يُدالُ علينا المَرَّةَ ، ونُدالُ عَليه الأَخْرَى. فقالَ: كذلكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ، وتكونُ لها العَاقِبَةُ »(٣).

فإنَّه كانَ يومَ بدرٍ نَصْرَ اللهِ المُؤْمِنينَ ، ثُمَّ يَوْمَ أُحُدٍ ابتُلِي المُؤمِنونَ ، ثم لم يُنْصَرِ الكُفَّارُ بَعْدَهَا ، حَتَّى أَظْهَرَ اللهُ ـ تَعالى ـ الإسلامَ.

فإنْ قِيلَ: ففي الأنبياءِ مَن قد قُتِلَ ، كما أَخْبَرَ اللهُ ـ تعالى ـ في الآياتِ السَّابِقَةِ أَنَّ بَني إسرائيلَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغيرَ الحَقِّ ، وفي أهلِ الفُجورِ مَنْ يُؤْتِيهِ اللهُ مُلكاً وسُلطاناً وَيُسَلِّطُهُ على المُتَدَيِّنينَ كما سَلَّطَ بُخْتَ نَصَّرَ على بَني إسرائيلَ ، وكما سَلَّطَ كفَّارَ المُشرِكينَ وأهلِ الكتابِ ـ أحياناً ـ على المُسْلِمينَ؟

⁽۱) من هنا يبدأ النقل من كتاب «الجواب الصحيح» (٢/ ٤١٢ _ ٤٢٥) ، وسأشير إلى نهايته في موضعه.

⁽٢) هود: (٩٤).

⁽٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب بدء الوحي _ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ٥ _ ٧).

قيلَ: أمَّا مَنْ قُتِلَ مِن الأنبياءِ فهم كمَنْ يُقْتَلُ مِنَ المُؤْمِنينَ في الجِهادِ شَهيداً.

قال _ تعالى _: ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِي قَلَتَلَ مَعَهُ رِبِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا السّتَكَانُوا أَوَاللّهُ يُحِبُ الصّنبِرِينَ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلّا آنَ قَالُوا رَبّنَا اعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَيِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْصَحَفِرِينَ ﴿ وَبَنَا النّهُمُ (١) اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةَ وَاللّهُ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

ومعلومٌ أنَّ مَنْ قُتِلَ مِنَ المُؤمِنينَ شَهيداً (٣) في القتال ، كان حالُه أكملَ من حالِ مَنْ يَموتُ حَتْفَ أنفِهِ.

قالَ _ تَعالى _: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ آَمَوَتَا بَلَ أَحْيَا َ عِندَ رَبِهِمَ أَرُزَقُونَ ﴾ (٤) .

ولهذا قال _ تعالى _ : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَاۤ إِلَّاۤ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَ يَٰنِۗ ﴾ (٥)، أيْ: إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة .

ثُمَّ إِنَّ الدِّينَ الذي قاتَلَ عليه الشُّهَداءُ يَنْتَصِرُ وَيَظْهَرُ ، فَيَكُونَ لِطائفتهِ السَّعادةُ في الدُّنيا والآخرةِ: مَن قُتِلَ مِنهم كان شهيداً ، ومَن عاشَ مِنهم كانَ منصوراً سَعيداً ، وهذا غايةُ ما يكونُ مِن النَّصرِ ، إِذْ كان الموتُ لا بُدَّ منهُ ، فالموتُ على الوجهِ الذي تَحصُلُ به سعادةُ الدُّنيا والآخرةِ أكملُ ، بِخلافِ مَنْ يَهلِكُ هو وطائفتُه ، فلا يفوزُ لا هو ولا هم بمطلوبِهِم لا في الدُّنيا ولا في الآخِرةِ.

⁽١) في المخطوط «فأثابهم» وهو خطأ.

⁽٢) آل عمران: (١٤٦ _ ١٤٨).

⁽٣) في المخطوط «شهيد» والصواب ما أثبته.

⁽٤) آل عمران: (١٦٩).

⁽٥) التوبة: (٥٢).

والشُّهَداءُ مِن المؤمِنين قاتلوا باختيارهِم ، وَفَعَلوا الأسبابَ التي بِها قُتِلوا ، كالأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المُنْكَرِ ، فَهُمُ اخْتاروا هٰذا المَوْتَ ، إمَّا أَنَّهم قَصَدوا ما به يَصيرون شُهداءَ عالمِينَ إمَّا أَنَّهم السَّعادة في الآخِرةِ ، وفي الدُّنيا بانتصارِ طائِفَتِهم وبِبَقاءِ لِسانِ بأنَّ لهُم السَّعادة في الآخِرةِ ، وفي الدُّنيا بانتصارِ طائِفَتِهم وبِبَقاءِ لِسانِ الصَّدْقِ لهم ثَناءٌ ودُعاءً ، بِخِلافِ مَن هَلَكَ مِن الكُفَّارِ ، فَإِنَّهم هَلَكوا بِغيرِ الصِّدْقِ لهم ثَناءٌ ودُعاءً ، بِخِلافِ مَن هَلكَ مِن الكُفَّارِ ، فَإِنَّهم هَلكوا بِغيرِ الحَتِيارِهِم هَلكَ لا يرجونَ مَعه سَعادة الآخِرةِ ، ولم يَحصلُ لَهُمْ ولا لِطائِفَتِهم شَيءٌ مِن سعادةِ الدُّنيا ، بَلْ أُتْبِعوا في هذهِ الدُّنيا لَعْنةً ويومَ القيامةِ هُمْ مِن المَقْبوحينَ ، وقيلَ فيهِمْ: ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿ وَوَيَلَ فِيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتٍ وَعُيُونِ ﴿ وَوَيَلَ فيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَوَيَلَ فيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَوَيَلَ فيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿ وَقَلَ فيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَقَيلَ فيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَقَيلَ فيهِمْ : ﴿ كُمْ تَرَكُواْمِن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿ وَهُ وَمُا عَانُواْمُنَامِينَ ﴿ كُنَهِمْ السَمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَاكَانُواْمُنَامِينَ ﴾ كَذَاكُ وَاوَرَئْنَهَا قَوْمًا عَاخِرِينَ ﴿ فَي وَاللَّهُ وَالْمُ مِنَ المَقْعَامِ وَمَا كَانُواْمُنَامِينَ ﴾ كَنَاكَ عَلَيْمُ السَمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَاكَانُواْمُنَامِينَ ﴾ السَمَاءُ واللهُ اللهِ مَنْ المَقْرَامُ وَمَاكَانُوا مُنْقِلُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْمَنْ عَلَامُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْفَي اللَّهُ مِنْ المَقْرِقِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَنْ الْمَوْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّعْلَ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ ال

وقد أَخْبَرَ ـ سُبحانَه ـ أنَّ كثيراً مِن الأنبياءِ قُتِلَ مَعَهُ رِبَّيُّونَ كثيرٌ ، أيْ: أُلوفٌ كثيرةٌ ، وأنَّهم ما ضَعفُوا ولا اسْتكانوا لذلِكَ ، بلِ اسْتَغْفَروا مِنْ ذُنوبِهِم التي كانتْ سَبَبَ ظُهورِ العدوِّ ، وأنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ آتاهُمْ ثَوابَ الدُّنيا وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ.

فإذا كان هذا قَتْلَ المُؤْمِنينَ ، فَما الظَّنُّ بِقتلِ الأنْبِياءِ؟ ففيه لهم ولأتباعِهِم مِن سَعادةِ الدُّنيا والآخرةِ ما هو مِن أعظم الفَلاح .

وظُهورُ الكُفَّارِ على المُؤمِنينَ _ أَحْياناً _ هو بِسَبَبِ ذُنوبِ المُسْلِمينَ ، كيَومِ أُحُدٍ ، فإنْ تابوا انْتَصَروا على الكفَّارِ ، وكانتِ العاقِبةُ لهم ، كما قد جَرَى مِثْلُ هذا لِلمُسْلِمين في عامَّةِ ملاحِمِهِم معَ الكُفَّارِ.

ولهذا من آياتِ النُّبُوَّةِ وأعْلامِها وَدَلائِلِها ، فإنَّ النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قاموا بِعُهودِهِ وَوصاياهُ ، نَصَرَهُمُ اللهُ ، وأظْهَرَهُمْ على

⁽١) الدخان: (٢٥_٢٩).

المُخالِفينَ لَهُ ، فإذا ضَيَّعوا عُهودَهُ ظَهَرَ أُولئكَ عَليهم.

فَمَدَارُ النَّصِرِ وَالظُّهُورِ مَعَ مُتَابَعَةِ النَّبِي ﷺ وُجُوداً وعَدَماً مِن غير سَبَبٍ يَرْاحِمُ ذَلك ، ودورانُ الحُكْمِ مَعَ الوصفِ وجوداً وعدماً مِن غير مزاحَمةِ وصفٍ آخَرَ يوجِبُ العِلْمَ بأنَّ المَدَارَ عِلَّةٌ للدَائِرِ ، وقولُنا: «مِن غيرِ وصفٍ آخَرَ»: يُزيلُ النُّقُوضَ الواردَةَ.

فهذا الاستقراءُ والتَّتَبُّعُ يُبَيِّنُ أَنَّ نَصْرَ اللهِ وإظهارَه هو بسبب اتباعِ النَّبِيِّ ، وأَنَّه _ سُبحانَه _ يُريدُ إعْلاءَ كَلِمَتِهِ وَنَصْرَهُ وَنَصْرَ أَتْباعِهِ على مَن خالَفَه ، وأَنْ يَجعلَ لهم السَّعادةَ ولِمَن خالَفَهم الشَّقاءَ ، وهذا يوجِبُ العِلْمَ بنبُوَّتِهِ ، وأَنَّ مَنِ اتَّبَعَهُ كانَ سَعيداً ، ومَن خالَفه كانَ شَقِيّاً.

ومن هذا: ظُهورُ بُخْتَ نَصَّرَ على بَني إسرائيلَ ، فإنَّه مِن دلائلِ نُبُوَّةِ موسى ؛ إذ كانَ ظهورُ بُخْتَ نَصَّرَ إنَّما كانَ لَمَّا غَيَّروا عُهودَ موسى ، وَتَرَكوا اتِّباعَهُ ، فَعُوقِبوا بِذلكَ ، وكانوا _ إِذْ كانوا مُتِّبِعينَ لِعُهودِ موسى _ مَنْصورينَ مُؤَيَّدينَ ، كما كانوا في زَمَنِ داودَ وسُليمانَ وغيرِهما.

قالَ _ تَعالَى _: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِيَ إِسْرَةِ مِلَ فِي ٱلْكِنْبِ لَنُفْسِدُنَ فِ ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنْعَلْنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا (١) جَاءً وَعْدُ أُولَنَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ أَلْكَ بَأْسِ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلْلَ ٱلدِّيَارُّ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمَ وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمْولِ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكُثَرَ (٣) نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لِأَنفُسِكُمْ أَولِنَ أَسَأَتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسْتَعُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ

⁽١) في المخطوط «فلما» وهو خطأ.

⁽٢) في المخطوط «عليهم» وهو خطأ.

⁽٣) في المخطوط «أكبر» وهو خطأ.

ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُسْتَبِرُواْ مَا عَلَوْاْ تَنْبِيرًا ﴿ عَسَىٰ رَيُكُو أَن يَرْحَكُمُّ وَلِنُ عُدَنَّا اللهِ عَدْنَا ﴾ (١).

فكانَ ظُهورُ بَني إسرائيلَ على عَدُوِّهم تارةً ، وظُهورُ عَدُوِّهم عَلَيهم تارةً من دَلائل نُبُوَّة محمَّد صلى الله من دَلائل نُبُوَّة موسى ﷺ وآياته ، وكذلكَ ظُهورُ أُمَّة محمَّد صلى الله تعالى عَلَيه وسلَم على عَدُوِّهم تَارةً ، وظَهورُ عَدُوِّهم تارةً (٢)، هو من دلائل رسالة محمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم وأعلام نُبُوَّته.

وكانَ نَصْرُ الله لموسى وقومه على عَدُوِّهم في حَياته وَبْعَدَ مَوْته ، كما جَرَى لَهُمْ مِنْ يوشَعَ وغيره مِنْ دَلَائلِ نُبُوَّة موسى ، وكذلَكَ انتصارُ المؤمنين مَعَ مُحَمَّد صَلى الله تعالى عَليه وسَلم في حياته وبَعْدَ مماته مَع خُلفائه مِنْ أعلام نبوَّته وَدَلائلها.

وهذا بخلاف الكُفَّارِ الذين يَنْتَصرُونَ عَلَى أَهلِ الكتَابِ أَحياناً ، فإنَّ أُولئكَ لا يَكُونُ مُطاعُهم إلى نَبيٍّ ، ولا يُقاتلونَ أَتْباعَ الأنبياء على دين ، ولا يَطلُبونَ من أولئكَ أنْ يَتَبعوهُم على دينهم ، بَلْ قد يُصَرِّحونَ بأنَّا إَنما نُصرْنا عَلَيْكم بَذُنوبكم ، وأنْ لَو اتَّبَعْتُم ديْنكم لم نُنْصَرْ عَليكم.

وأيضاً فلا عَاقبَةَ لهم ، بَلِ اللهُ يُهلكُ الظَّالَمَ بِالظَّالَمِ ، ثُمَّ يهلكُ الظَّالَمينَ جميعاً ، ولا يَختارونَ الْقَتْلَ جميعاً ، ولا يَختارونَ الْقَتْلَ ليسعَدوا بعد المَوت.

فهذا وأمثالُه مِمَّا يُظْهِرُ الفَرْقَ بَيْنِ انتِصارِ الأنبياءِ وأَتْباعِهِم ، وَبَيْنَ ظُهورِ

⁽١) الإسراء: (٤ ـ ٨).

⁽٢) في المطبوع «وظهور عدوهم عليهم تارة» وما أثبته موافق للمطبوع من الجواب الصحيح ، وما في المطبوع موافق لبعض النسخ الخطية للجواب الصحيح كما بين ذلك محقيق الكتاب.

بعضِ الكفَّارِ على المُؤمِنينَ ، أو ظهورِ بعضم على بعضٍ ، وبَيَّنَ (١) أنَّ ظُهورَ محمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ على أهلِ الكِتابِ: اليهودِ والنَّصارى ، هو من جِنسِ ظُهورِ محمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ على أهلِ الكِتابِ: اليهودِ والنَّصارى ، هو من جِنسِ ظُهورِهِم على المُشرِكينَ: عباد الأوثانِ ، وذلك مِن أعلام نُبُوَّتِهِ ودلائلِ رِسالَتِه ، لَيس هو كَظُهورِ بُخْتَ نَصَّرَ على بني إسرائيلَ وظُهورِ الكُفَّارِ على المُسْلِمينَ.

وهذه الآيةُ مِمَّا أَخْبَرَ بِهَا^(٢) موسى ، وبَيَّنَ أَنَّ الكَذَّابَ المُدَّعي لِلنُّبُوَّةِ لَا يَتِمُّ أُمرُهُ ، وإنَّما يَتِمُّ أُمرُ الصَّادِقِ.

فإنَّ مِن أهلِ الكِتابِ مَن يَقُولُ: محمَّدٌ وأُمَّتُه سُلِّطوا عَلَيْنا بِذُنوبِنا مَعَ صِحَّةِ دِيننا الذي نَحْنُ عَلَيه ، كَما سُلِّطَ بُخْتَ نَصَّرَ وغيرُه مِن الملوكِ.

وهذا قِياسٌ فاسِدٌ ، فإنَّ بُخْتَ نَصَّرَ لَم يَدَّعِ نُبُوَّةً ، ولا قَاتَلَ على دينٍ ، ولا طَلَبَ مِن بني إسرائيلَ أَنْ يَنْتَقِلُوا عَن شَريعةِ موسى إلى شَرِيعتِهِ ، فلم يَكن في ظُهورِهِ إتمامٌ لِما ادَّعاهُ مِن النُّبُوَّةِ وَدَعا إلَيه مِنَ الدِّينِ ، بَل كانَ بِمَنْزِلَةِ المُحارِبينَ قُطَّع الطَّريقِ إذا ظَهَروا على القوافِلِ ، بِخِلافِ مَنِ ادَّعى نُبُوَّةً ودِيناً ، ودَعا إليه ، وَوَعَدَ أهلهُ بِسعادَةِ الدُّنيا والآخرةِ ، وَتَوَعَّد مُخالِفِيه بِشَقاوةِ الدُّنيا والآخرةِ ، وَتَوَعَد مُخالِفِيه بِشَقاوةِ الدُّنيا والآخرةِ ، ثُمَّ نَصَرَهُ اللهُ ، وأظهرَهُ ، وَأَتَمَّ دِينَهُ ، وأعلى كَلِمَتَهُ ، وَجَعَلَ لَه العاقِبةَ ، وأَذَلَّ مُخالِفِيهِ .

فَإِنَّ هذا مِن جنسِ خَرقِ العاداتِ المُقْتَرِنِ بِدَعوى النُّبُوَّةِ ، فإنَّـهُ دليلٌ عَلَيْها ، وذاك من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى النبوة (٣) فإنه ليس دليلاً عليها.

⁽١) في المطبوع «ويبين» وما أثبته هو الموافق لما في الجواب الصحيح.

⁽٢) في المطبوع «به» وما أثبته هو الموافق لما في الجواب الصحيح.

⁽٣) في المطبوع «المقترن بدعوى النبوة» وهو خطأ.

وَقَدْ يَغْرَقُ^(١) في البَحْرِ أُمَمٌ كثيرةٌ ، فلا يَكونُ ذلك دَليلًا على نُبُوَّةِ نَبِيٍّ ، بِخِلافِ غَرَقِ فِرْعَونَ وَقَومِهِ ، فَإِنَّه كَانَ آيةً بَـيِّـنَةً لموسى.

وهذا مُوافِقٌ لِما أَخْبَرَ بِهِ موسى - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - مِن أَنَّ الكَذَّابَ لا يَتِمُّ أَمْرُهُ ، وذلكَ بِأَنَّ اللهَ حَكيمٌ لا يَليق بِهِ تَأْييدُ الكَذَّابِ على كَذِبِهِ مِن غيرِ أَنْ يُبَيِّنَ كَذَبَهُ.

ولِهذا أَعْظَمُ الفِتَنِ: فِتْنَةُ الدَّجَّالِ الكَذَّابِ ، لَمَّا اقْتَرَنَ بِدَعْواهُ الألوهِيَّةَ بعضُ الخَوارِقِ ، كان مَعَها ما يَدُلُّ على كَذِبِهِ مِن وجوهِ:

مِنها: دَعْواهُ الألوهِيَّةَ ، وهو أَعْوَرُ ، واللهُ ليس بأَعْوَرُ ، مَكتوبٌ بَيْنَ عَيْنَيهِ: كَافَرُ ، يَقْرَؤهُ كُلُّ مُؤمِنٍ قارِىءٍ وغير قارىءٍ (١٤) ، واللهُ _ تعالى _ كَيْنَيهِ: كَافَرُ (٣) ، يَقْرَؤهُ كُلُّ مُؤمِنٍ قارِىءٍ وغير قارىءٍ (١٤) ، واللهُ _ تعالى عليه وسلم هذه لا يَراه أَحَدٌ حتَّى يموتَ (٥) ، وقد ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلاماتِ الثلاث في الأحاديثِ الصَّحيحةِ .

فَأَمَّا^(٦) تَأْيِيْدُ الكَذَابِ ، ونَصْرُهُ ، وإظهارُ دعوتِهِ دائماً ، فهذا لم يَقَعْ قَطُّ ، فَمَنْ يَستدلُّ على ما يَفْعَلُهُ الرَّبُّ ـ سُبحانَه ـ بالعادةِ والسُّنَّةِ ، فهذا هو

⁽١) في المطبوع «تغرق» وما أثبته هو الموافق لما في «الجواب الصحيح».

⁽٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" _ كتاب الفتن _ باب ذكر الدجال _ (١٠٢/٨) ، ومسلم في "صحيحه" _ كتاب الفتن وأشراط الساعة _ باب ذكر الدجال (٢٢٤٧/٤) ح ١٦٩ .

 ⁽۳) أخرجه البخاري - كتاب الفتن - باب ذكر الدجال (۱۰۳/۸) ، ومسلم - كتاب الفتن
 وأشراط الساعة - باب ذكر الدجال (۲۲٤۸/٤) - ۲۹۳۳ .

⁽٤) أخرجه مسلم في اصحيحه ١ - كتاب الفتن - باب ذكر الدجال (٢٢٤٨/٤) - ٢٩٣٣ .

⁽٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب ذكر الدجال ـ (٢٤٥/٤) ح ١٦٩ .

⁽٦) في المخطوط «فإن» وما أثبته من المطبوع، وهو الموافق لما في «الجواب الصحيح».

الواقعُ على ذلك _ أيضاً _ بِالحِكمةِ ، فحِكمتُهُ تُناقِضُ أَنْ يَفعلَ ذلكَ ، إذ الحَكيمُ لا يَفعلُ هذا.

وَقَدْ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿ وَلَوْ قَلْتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَوُاْ ٱلْأَدْبَلَرَثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَانَصِيرًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلٌ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (١).

فَأَخْبَرَ أَنَّ سُنَّةَ اللهِ التي لا تَبديلَ لَها: نصرُ المُؤمنينَ على الكافِرينَ.

والإيمانُ المُسْتَلْزِمُ لِذلِكَ يَتَضَمَّنُ طاعةَ اللهِ ورسولِهِ ، فإذا نَقَصَ الإيمانُ بِالمَعاصِي كانَ الأمْرُ بِحَسَبِهِ ، كَما جَرَى يومَ أُحُدٍ.

فَأَخْبَرَ أَنَّ الكفارَ لا يَنْظُرونَ إلا سُنَّةَ الأَوَّلين ، ولا يوجَدُ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلٌ ، لا تُبَدَّلُ بغيرِها ، ولا تتَحوَّلُ ، فكيفَ النَّصْرُ لِلكُفَّارِ على المُؤْمِنينَ النَّصْرُ لِلكُفَّارِ على المُؤْمِنينَ اللَّذين يَسْتَحِقُّونَ هذا الاسمَ ؟!

وكذلك قال في المنافِقِينَ _ وهم الكفَّارُ في الباطِنِ دونَ الظَّاهرِ _ ومَنْ فيه شُعبةُ نِفاقٍ: ﴿ ﴿ لَيْنَ لَمْ يَنَهِ ٱلْمُنَفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُّ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِينَكُ وَالْمُرْجِفُونَ فَي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِينَكُ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَ إِلَا قَلِيلًا ﴿ مَا مَعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِينَكُ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿ مَا اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالِيلَا اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللللَّهُ الللَّا الللَّهُ

⁽١) الفتح: (٢٢ ـ ٢٣).

⁽٢) في المخطوط والمطبوع «جاءكم» ، وهو خطأ.

⁽٣) فاطر: (٤٢ ـ ٤٣).

ثُقِفُواَ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَفْتِيلًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ فِ الَّذِينَ خَلَواْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِشُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(١).

والسُّنَةُ هي العادةُ ، فهذه عادةُ الله المعلومةُ ، فإذا نَصَرَ مَنْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَالسُّنَةُ هي العادةُ ، فهذه عادةُ الله المؤمني السُّرةُ الله وعادتُه نصرَ المؤمنين بالأنبياء على أنَّه نَبِيٌ صادقٌ ، إذ كانت سُنَّةُ الله وعادتُه نصرَ المؤمنين بالأنبياء الصَّادقين على الكافرين والمنافقين ، كما أنَّ سُنتَه تأييدُهم بالآيات البَيِّنات ، وهذه منها.

ومن ادَّعي النُّبُوَّةَ وَهُو كَاذِبٌ ، فَهُو مِنْ أَكْفَرِ الكُفَّارِ وأَظْلَم الظَّالِمينَ:

قال _ تعالى _: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِى إِلَى وَلَمْ يُوحَ إِلَىٰ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا آنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (٢) .

وقالَ _ تَعالَى _: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُمْ (٣) .

وقالَ _ تَعالى _: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِ لَمَّا جَآءَهُ ﴿ (٤) .

وقالَ _ تَعالى _: ﴿ فَمَنْ (٥) أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلِمِينَ ﴾ (٦) .

ومَنْ كَانَ كَذَلْكَ ، كَانَ اللهُ يَمْقُتُهُ ، ويُبغضُه ، ويُعاقِبُه ، ولا يَدُومُ

⁽١) الأحزاب: (٦٠ ـ ٦٢).

⁽٢) الأنعام: (٩٣).

⁽٣) الزمر: (٣٢).

⁽٤) العنكبوت: (٦٨).

⁽٥) في المخطوط «ومن» وهو خطأ.

⁽٦) الأنعام: (١٤٤).

أُمرُهُ، بَلْ هو كما قالَ النَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديثِ الصَّحيح عن أبي هريرة قالَ: "إنَّ الله يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فإذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ"، فَمُ قَرَأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخُذُ كُو فِي ظَلِمَةُ إِنَّ أَخَذَهُ اَلِيمُ شَدِيدُ ﴾ (() ثُمَّ قَرَأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخُذُ كُو لِهَ إِذَا أَخَذَ اللهَ رَعَى ظَلِمَةُ إِنَّ أَخَذَهُ اللهِ مَلَى المَّا وقالَ ـ أيضاً ـ في الحديثِ الصَّحيحِ عن أبي موسى أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ وقالَ ـ أيضاً في الحديثِ الصَّحيحِ عن أبي موسى أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ وقالَ ـ أيضاً للمُؤمِنِ كَمَثَلِ الخامَةِ مِنَ الزَّرِع ، تُفَيِّهُما الرِّياحُ ، تُقيمُها تارةً وتُميلُها أُخْرى ، وَمَثلُ المُنافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزِ ، لا تَزَالُ ثابِتَةً على أصلِها ، حَتى يكونَ انْجِعَافُها مرَّةً واحدةً ﴾ (() .

فالكاذبُ الفَاجِرُ وإنْ عَظُمَتْ دَولتُهُ ، فلا بُدَّ من زوالِها بالكُلِّيَةِ ، وبقاءِ ذَمِّهِ ولِسانِ السَّوْءِ لَه في العالَمِ ، وهو يَظْهَرُ سَريعاً ، ويَزولُ سَريعاً ، كَدَوْلَةِ الأسودِ العنسيِّ ، ومُسَيْلِمَةَ الكذَّابِ ، والحارثِ الدِّمَشقيِّ (٣) ، وبابا الرومي (٤) ونحوِهم.

⁽۱) لم أجدهُ من حديث أبي هريرة ، وإنما أخرجه البخاري في "صحيحه" _ كتاب التفسير _ باب ﴿ وَكَذَالِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِى ظَلَامِهُ إِنَّ أَخَذَهُۥ اَلِيهُ شَدِيدُ ﴾ _ التفسير _ باب ﴿ وَكَذَالِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِى ظَلَامِهُ إِنَّ أَخَذَهُۥ اللِيهُ شَدِيدُ ﴾ _ (٢١٤/٥) ، ومسلم في "صحيحه» _ كتاب البر والصلة والآداب _ باب تحريم الظلم _ (١٩٩٧/٤) ح ٢٥٨٣ من حديث أبي موسى .

⁽۲) لم أجده من حديث أبي موسى ، وإنما أخرجه مسلم في "صحيحه" ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز _ (۲) ۲۱۳) ح ۲۸۰۹ من حديث أبي هريرة ، وأخرجه ـ أيضاً ـ في نفس الكتاب والباب من حديث كعب بن مالك .

⁽٣) هو الحارث بن سعيد الدمشقي ، دجال كذاب ، ادعى النبوة زمن عبد الملك بن مروان ، فطلبه ، فهرب إلى بيت المقدس ، وفتن بعض الناس بمخاريق شيطانية كانت معه ، ثم تمكن عبد الملك من القبض عليه وصلبه ، وذلك عام ٨٠ هـ. انظر في شأنه: «الوافي بالوفيات» (١١/ ٢٥٤) ، «تهذيب تاريخ دمشق» (٣/ ٤٤٢)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة ٨٠ ص ٣٨٦).

 ⁽٤) في المطبوع «وبابك الخرمي» وما أثبته من المخطوط هو الموافق لما في «الجواب الصحيح».

وأمَّا الأنبياءُ ، فإنَّهم يُبْتَلُونَ كثيراً لِيُمَحَّصوا بالبَلاءِ ، فإنَّ الله - تَعالى - إنَّما يُمَكِّنُ لِلْعَبْدِ إذا ابْتَلاهُ ، ويُظْهِرُ أمرَهُ شَيئاً فشيئاً فشيئاً ، كالزّرع ، قال - تعالى - : ﴿ يُحَمَّدُ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ وَ أَشِدًاهُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم رُكّعاً سُجَدًا يَبْتَعُونَ فَضَلًا مِنَ اللّهِ وَرِضُونَا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِ مِنْ أَثَرِ السُّجُودُ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرِيةُ وَمَثَلُهُم فِي الشَّحُودُ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرِيةُ وَمَثَلُهُم فِي اللهِ عِيلِ كَزَرْعِ أَخْرَجَ شَطْعَهُ ﴿ ، أَيْ : فِراخَه ﴿ فَتَازَرَهُ ﴾ ، أي : قَواهُ ﴿ فَاسْتَغَلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ عَيْجِبُ النُّرَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارُ وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَاتِ مِنْهُم مَّغَفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٠) .

ولِهذا كان أوَّلَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ (٢) ضُعَفَاءُ النَّاسِ بِاعْتِبارِ هذه الأمورِ.

وسُنَّةُ اللهِ في أنبياءِ اللهِ وأوليائِه الصَّادقين ، وفي أعداء اللهِ والمُتَنَبَّئينَ الكَذَّابينِ مِمَّا يوجِبُ الفرقَ بين النَّوعَينِ ، وَبَيْنَ دَلائلِ النَّبِيِّ الصَّادقِ ودَلائلِ المُتَنَبِي الكَذَّاب.

وقد ذُكِرَ ابتلاءُ النَّبِيِّ والمؤمنينَ ثُمَّ كُونُ العاقِبَةِ لهم في غير موضِعٍ:

كَفَولِهِ _ تعالى _: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلُ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَقَىٰ أَنْدُهُمْ نَصَّرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَبَاعِي ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣).

وقال _ تعالى _: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَكَةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثُلُ الَّذِينَ خَلَوْاً مِن قَبْلِكُمْ مَّسَّتَهُمُ ٱلْبَأْسَآهُ وَالضَّرَآءُ وَذُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا ۚ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِبِ ﴾ (٤).

⁼ وباب الرومي هذا لم أجد له ترجمة.

⁽١) الفتح: (٢٩).

⁽٢) في المطبوع: «اتبعهم».

⁽٣) الأنعام: (٣٤).

⁽٤) البقرة: (٢١٤).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَا رِجَالَا نُوْجِى إِلَيْهِم مِنْ أَهْلِ اللَّهُ مَا أَنْفَرَى اللَّهُ اللَّهِ مَنْ أَهْلِ اللَّهُ مَنْ أَلْكُونَ أَلْكُونَ أَلْكُونَ أَلْكُونَ أَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَدَارُ اللَّهُ وَلَدَارُ اللَّهُ وَلَا يُرَةً إِذَا أَسْتَيْفَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدَ الْاَجْرَةِ خَيِّ لِلَّذِينَ مِن قَلْمُ وَلَا يُرَدُ بَأَسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْمِينَ فَ لَقَد كَانَ عَدِيمًا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْمِينَ فَ لَقَد كَانَ عَدِيمًا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَ

والمقصودُ أن إيذاءَ القائِمينَ بالحَقِّ ، والنَّاصِرينَ له مِن سَنَنِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ، وكَثيرٌ مِن أَهل عصرِنا على ذلك ، واللهُ المُستعَانُ.

⁽١) في المخطوط «يعقلون».

⁽٢) يوسف: (١٠٩_١١١)، وهنا انتهى النقل الذي بدأه (ص ١٦٠) من كتاب «الجواب الصحيح».

الخمسون

الإيمانُ بِالجِبْتِ والطَّاغوتِ ، وتَفْضيلُ المُشرِكينَ على المُسْلِمينَ.

قال ـ تعالى ـ في سورة «النساء»: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلَوُلاَء أَهَدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ هَلَوُلاَء أَهَدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ (١).

هذه الآيةُ نَزَلَتْ في حُيئِ بنِ أَخْطَبَ وَكَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ في جَمْعٍ مِن يهودَ ، وذلك أَنَّهم خَرَجوا إلى مكَّة بَعْدَ وقْعَةِ أُحُدٍ ؛ لِيُحالِفوا قُريشاً على رسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم ، وَيَنْقُضوا العَهْدَ الذي بَيْنَهم وَبَيْنَ رسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فَنَزَلَ كعبٌ على أبي سُفيانَ ، فأَحْسَنَ مَثُواهُ ، وَنَزَلَتِ اليهودُ في دورِ قريشٍ ، فقالَ أهلُ مَكَّة : أَنتُمْ أهلُ كتابٍ ، ومحمَّدٌ صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبُ كِتابٍ ، فلا يُؤْمَنُ هذا أَنْ يكونَ مَكْراً مِنْكُمْ ، فإنْ أرَدْتَ أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ فَاسْجُدُ لِهذَينِ الصَّنَمينِ وآمِنْ بِهِما ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قال كعبٌ : يا أهلَ مَكَّة ! لِيَجِيءُ مِنكم ثلاثونَ ومِنَّا ثلاثونَ ، فَنُلْزِقْ أَكْبَادَنا بالكعبةِ ، فنعاهِدْ ربَّ البيتِ لَنَجْهَدَنَّ على قِتالِ مُحَمَّدِ ، فَفَعَلَ ذلك .

فَلَمَّا فَرَغُوا قال أبو سُفيانَ لِكَعبٍ: إِنَّك امرؤٌ تَقْرأُ الكتابَ وتَعْلَمُ ،

⁽¹⁾ النساء: (10).

ونحنُ أُمِّيُونَ لا نَعْلَمُ ، فَأَيُّنَا أَهْدى طَرِيقاً وأَقْرَبُ إلى الحَقِّ: نَحْنُ (١) أَمْ مُحَمَّدٌ؟ قال كعبُ: اعرِضوا عليَّ دِينكم ، فَقالَ أبو سُفيانَ: نَحنُ نَنْحَرُ لِلْحَجيجِ الكَوْماءَ (٢) ، وَنَسْقِيهِمُ اللَّبَنَ ، ونَقْرِي الضَّيفَ ، ونَفُكُ العَانيَ ، ونَصِلُ الرَّحِمَ ، ونَعْمُرُ بيتَ رَبِّنا ، وَنطوفُ بِهِ ، وَنَحْنُ أَهلُ الحَرَمِ ، ونَصِلُ الرَّحِمَ ، ودينُ المحمَّدِ ومحمَّدُ فارَقَ دِينَ آبائِهِ ، وَقَطَعَ الرَّحِمَ ، ودينُنا القديمُ ، ودينُ محمَّدِ الحديثُ ، فقال كَعبُ: أَنْتُمْ واللهِ أهدىٰ سَبيلاً مِمَّا عَلَيْهِ مُحمَّدٌ ، فَأَنْزَلَ اللهُ في ذلكَ الآية (٣).

والجِبْتُ في الأصلِ: اسمُ صَنَمٍ ، فاسْتُعْمِلَ في كُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِ اللهِ. والطَّاغُوتُ: يُطْلَقُ على كُلِّ باطِلِ مِنْ معبودٍ أو غَيْرِهِ.

ومَعنى الإِيمانِ بِهِما: إمَّا التَّصْديقُ بأنَّهُما آلهةٌ ، وإشراكُهُما بِالعِبادةِ مَعَ اللهِ ـ تعالى ـ ، وإمَّا طاعَتُهُما وموافَقَتُهُما على ما هُما عَلَيه مِنَ الباطِلِ ، وإمَّا القَدْرُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ كالتَّعْظِيمِ ـ مَثَلًا.

والمُتَبَادِرُ المَعْنَى الأوَّلُ ، أَيْ: أَنَّهُم يُصَدِّقُونَ بِأَلُوهِيَّةِ هذيْنِ الباطِلَيْنِ ، وَيُشْرِكُونَهُما في العِبادةِ مَعَ الإلهِ الحَقِّ ، وَيَسْجُدُونَ لَهُما.

⁽١) في المطبوع «أنحن».

⁽٢) الكوماء: الناقة عظيمة السنام. انظر: لسان العرب «كوم».

 ⁽٣) في المطبوع «الآيات» والحديث أخرجه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٢/٥٩) ،
 وابن جرير في «تفسيره» (٥/١٢٣) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/١٩٣) ،
 والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٥١).

الحادية والخمسون

لبْسُ الحَقِّ بِالباطِل ، وَكِتْمانُهُ.

قالَ _ تَعالى _ في سورةِ «آلِ عمرانَ»: ﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَكِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وفي المُرادِ أقوالٌ:

أَحَدُها: أنَّ المُرادَ تَحريفُهُم التَّوراةَ والإنجيلَ (٢).

ثانِيها: أنَّ المُرادَ إظهارُهُم الإِسلامَ ، وإبطانُهُم النَّفاقَ (٣).

ثَالِثُهَا: أَنَّ المُرادَ الإِيمانُ بِموسى وعِيسى ، والكُفرُ بِمحمَّدٍ (٤) عليه السلام.

(١) آل عمران: (٧١).

(۲) وهذا قول الحسن وابن زيد.
 انظر: «النكت والعيون» (۱/ ٤٠١) ، «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي
 (۲/ ۳٤۲) ، «البحر المحيط» (۲/ ٤٩١) ، «روح المعاني» (۳/ ۱۹۹).

(۳) وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جرير.
 انظر: «تفسير ابن جرير» (۳/ ۳۱۰)، «البحر المحيط» (۲/ ٤٩١)، «روح المعاني» (۳/ ١٩٩).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٤٠١) ، «تفسير النسفي» (١٦٢/١) ، «البحر المحيط» (١٦٢/١) ، «روح المعاني» (٣/ ١٩٩).

رَابِعُها: أَنَّ المُرادَ ما يَعْلَمونَه في قُلوبِهِم مِن حَقيقةِ رِسالتِهِ ﷺ، وما يُظْهِرونَهُ مِن تَكْذِيبِهِ (١).

 ⁽۱) وهو قول أبي علي وأبي مسلم.
 انظر: «البحر المحيط» (۲/ ٤٩١) ، «روح المعاني» (۳/ ١٩٩).

الثانية والخمسون

التَّعَصُّبُ لِلْمَذْهَبِ ، والإقرارُ بالحَقِّ لِلتَّوَصُّلِ إلى دَفْعِهِ.

قالَ _ تَعالَى _ في سورة «آلِ عِمرانَ»: ﴿ وَقَالَت ظَآبِهَ أَ مِنْ أَهُلِ ٱلْكِتَنْبِ اَلِهُ أَ بِالَّذِي اَ أَنْ اللهُ اللهُ

قالَ الحسنُ والسُّدِّيُ (٣): تَوَاطَأَ اثنا عَشَرَ رَجُلاً مِن أَحبارِ يَهودِ خَيْبَرَ وَقُرى عَرِينٍ ، وقال بعضُهُم لِبَعْضٍ: ادْخُلوا في دِينِ محمَّدِ أُوَّلَ النَّهارِ باللِّسانِ دونَ الاعتقادِ ، واكفُروا آخِرَ النَّهارِ ، وقولوا: إنَّا نَظُرْنا في كُتُبِنا ، وشاوَرْنا عُلَماءَنا ، فَوَجَدْنا مُحمَّداً ليس بِذاكَ ، وَظَهَرَ لنا كَذِبُهُ ، وبُطلانُ دِينِهِ ، فإذا فَعَلْتُم ذلك شَكَّ أصحابُهُ في دِينِهم ، وقالوا: إنَّهم أهلُ كِتابٍ ، وهُمْ أعْلَمُ بِهِ ، فَيرْجِعونَ عَن دِينِهم إلى دِينِكم (٤).

⁽١) في المخطوط «أو يحاجوكم به عند ربكم» وهو خطأ.

⁽Y) آل عمران: (YY_Y).

⁽٣) في المطبوع: «السعدي».

⁽٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٣١١) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٣٧).

الثالثة والخمسون

تسمِيةُ اتِّباع الإسلام شِرْكاً.

أَخْرَجَ ابنُ إسحاقَ بِسَنَدِهِ: حِيْنَ اجْتَمَعَتِ الأَحْبارُ مِنَ اليهودِ والنَّصارى مِن أهلِ نَجْرانَ عِنْدَ رسولِ اللهِ عَلَيْهُ ، وَدَعاهُم إلى الإسلامِ ، قالوا: أتريدُ من أهلِ يا محمدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَما تَعْبُدُ النَّصارىٰ عِيسى بنَ مَرْيَمَ؟ فقالَ رَجُلٌ مِن أهلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيُ يُقالُ لَهُ الرَّئيسُ: أوذاكَ تُريدُ مَنَّا يَا محمَّدُ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ: «مَعَاذَ اللهِ أَن نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غيرِهِ ، وما بِذلِكَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ: «مَعَاذَ اللهِ أَن نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غيرِهِ ، وما بِذلِكَ بَعَثنى ، وَلاَ بِذلِكَ أَمَرَني » ، فَأَنزَلَ اللهُ ـ تَعالى ـ هذه الآية (٢).

⁽۱) آل عمران: (۷۹ ـ ۸۰).

⁽۲) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (مختصر ابن هشام ١/٥٥٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٤)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٤٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

الرابعة والخمسون

تَحْرِيفُ الْكَلِمِ عَنْ مُواضِعِهِ ، وَلَيُّ الْأَلْسِنَةِ بِالْكِتَابِ.

قالَ - تَعالَى - في سورةِ «آلِ عِمرانَ»: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقَا يَلُونَ أَلْسِنَتَهُمَ إِلْكِنَكِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَكِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَكِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

رُويَ أَنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في اليهودِ والنَّصارى جَميعاً ، وَذَٰلِكَ أَنَّهم حَرَّفوا التَّوراةَ والإِنْجيلَ ، وَأَلْحَقوا بِكِتابِ اللهِ ـ تعالى ـ ما لَيْسَ مِنْهُ (٢).

واخْتَلَفَ النَّاسُ في أَنَّ المحرَّفَ هَلْ كان يُكْتَبُ في التَّوراةِ أَمْ لا؟ فَذَهَبَ جَمْعٌ إلى أَنَّه لَيْسَ في التَّوراةِ سِوى كلامِ اللهِ _ تعالى _ ، وأَنَّ تَحْريفَ اليهودِ لم يَكُنْ إلاَّ تَغْييراً وَقْتَ القِراءَةِ ، وتأويلاً باطِلاً للنُّصوصِ ، وأمَّا أنَّهم يَكُنْ إلاَّ تَغْييراً وَقْتَ القِراءَةِ ، وتأويلاً باطِلاً للنُّصوصِ ، وأمَّا أنَّهم يَكُنْ إلاً ترومونَ في التَّوراةِ على تَعَدُّدِ نُسَخِها فَلا.

واحْتَجُوا لِذلِكَ بِما رُويَ أَنَّ التَّوراة والإنجيلَ كما أَنْزَلَهُما اللهُ ـ تَعالى ـ لم يُغَيَّرُ منهما حَرْفٌ ، وَلَكِنَّهُم يُضِلُّونَ بِالتَّحْريفِ والتَّأُويلِ وَكُتُبٍ كانوا يَكْتُبونَها مِن عِنْدِ اللهِ ، وما هو مِن عِنْدِ يَكْتُبونَها مِن عِنْدِ اللهِ ، وما هو مِن عِنْدِ اللهِ ، فأمَّا كُتُبُ اللهِ ـ تعالى ـ فَإنَّها مَحْفوظةٌ لا تُحَوَّلُ.

وبأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ لِليهودِ إلزاماً لهم: «ائتوا بِالتَّوراةِ فَاتْلُوها إنْ

⁽¹⁾ آل عمران: (VA).

 ⁽۲) قاله وهب بن منبه ، كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (۲/ ۳٦۱ _ ۳٦۲).
 وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (۲/۲٤).

كُنْتُمْ صادِقينَ»، وهم يَمْتَنِعُونَ عن ذلِكَ ، فَلَو كَانَتْ مُغَيَّرَةً إلى ما يُوافِقُ مَرامَهُمْ ما امْتَنَعوا ، بَلْ وما كانَ يَقولُ لَهُمْ ذٰلِكَ رَسولُ اللهِ ﷺ؛ لأنَّهُ يَعودُ على مَطْلَبِهِ الشَّريفِ بالإِبطالِ.

وذَهَبَ آخَـروُن إلى أنَّهم بَـدَّلوا ، وَكَتَبُـوا ذَلـك في نَـفْسِ كِتابِهِم ، واحْتَجُّوا على ذلك بكثيرٍ مِنَ الظَّواهِرِ.

ولا يَمْنَعُ مِن ذلكَ تَعَدُّدُ النُّسَخِ؛ لاحْتِمالِ التَّواطُوِ ، أو فُعِلَ ذلكَ في البَعْضِ دُونَ البَعْضِ ، وكَذلِكَ لا يَمْنَعُ مِنه قولُ الرَّسولِ لَهُمْ ذٰلِكَ؛ لاحْتِمالِ عِلْمِهِ بِبقاءِ بَعضِ ما يَفي بِغَرَضِهِ سالِماً عَنِ التَّغْييرِ ، إمَّا لِجَهلِهِم بوَجْهِ دِلالَتِهِ ، أو لِصَرْفِ اللهِ ـ تَعالى ـ إيَّاهُمْ عن تَغْييرِهِ.

وتَمامُ الكَلامِ في تفسيرِ الجَدِّ عندَ الكلامِ على هذه الآيةِ (١) ، وكذا في «الجَوابِ الصَّحيحِ»(٢) لِشَيخِ الإسلامِ.

وكثيرٌ مِنَ الأُمَّةِ المحمَّدِيَّةِ سَلَكُوا مَسْلَكَ الكِتابِيِّينَ في التَّحريفِ، والتَّأُويلِ، واتِّباع شَهَواتِهِم.

وقال _ تعالى _ في سورة «النّساء»: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعِ وَرَعِنَا لَيّاً بِٱلْسِنَهِمِ وَطَعْنَا فِي الدِّينَ وَلَوْ أَنَهُمُ اللّهُ الدِّينَ وَلَوْ أَنَهُمُ وَلَوْ أَنَهُمُ وَلَوْ أَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُوْمِئُونَ إِلّا قَلِيلًا ﴾ (٣).

والكلامُ عَلى هذه الآيةِ _ أيضاً _ مستوفيٌ في التَّفسيرِ .

^{* * *}

^{(1) &}quot;روح المعاني» (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

 ⁽٢) (١/ ١٨ - ٢٧) ، وانظر: «إغاثة اللهفان» لابن القيم (١/ ٣٥١ - ٣٥٤).

⁽٣) النساء: (٢3).

الخامسة والخمسون

تَلْقيبُ أهلِ الهُدى بالصَّابِئةِ والحَشْوِيَّةِ.

فَقَدْ كَانَ أَهِلُ الْجَاهِلِيةِ يُلَقِّبُونَ مَن خَرَجَ عن دِينِهِم بالصَّابِيء ، كما كانوا يُسَمُّون رسولَ اللهِ ﷺ بذلك ، كما وَرَدَ في عِدَّةِ أحاديثَ مِن «صحيح» البخاري(١) ومسلم(٢) وغيرِهما؛ تنفيراً للنَّاسِ عنِ اتِّباع سبيلِهِم.

ولهكذا تَجِدُ كَثيراً مِن هذهِ الأمَّةِ يُطْلِقونَ على مَنْ خالَفَهُمْ في بِدَعِهِم وأهوائِهِم أسْماءً مكروهةً للناسِ.

والصَّابئةُ أمةٌ قديمةٌ على مذاهِبَ مختلفَةٍ ، قدْ تَكَلَّمَ عليها أهلُ المَقالاتِ بِما لا مَزيدَ عَلَيْهِ (٣).

وَأَمَّا الْحَشُوِيَّةُ ، فَهُمْ قَومٌ كانوا يَقُولُونَ بِجَوازِ وُرُودِ مَا لَا مَعنى لَهُ في الكِتابِ والسُّنَّةِ؛ كالحُروفِ في أوائِل السُّورِ وَكذا قَالَ بَعْضُهُمْ ، وَهُمُ الذينَ

⁽۱) انظر «صحیح البخاري» ـ كتاب المناقب ـ باب قصة زمزم ـ (۱٥٨/٤ ـ ١٥٩) ، وكتاب مناقب الأنصار ـ باب إسلام عمر ـ (٤/ ٢٢٤).

⁽٢) انظر: "صحيح مسلم" - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أبي ذر - (١٩١٩/٤ - ١٩١٢) - ٢٤٧٣ .

⁽٣) انظر في شأنها: «التبصير في الدين» (ص ١٥٠)، «الملل والنحل» للشهرستاني (٣) ٩٠)، «الرد على (٩/ ٩٠)، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ٩٠)، «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤٥٤ ـ ٤٥٦)، «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» (ص ٩٢ ـ ٩٤)، كتب التفاسير عند تفسير الآية (٦٢) من سورة البقرة.

قالَ فيهِمُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ لَمَّا وَجَدَ قَوْلَهُمْ ساقِطاً ، وَكانوا يَجْلِسونَ في حَلْقَتِهِ أَمامَهُ: «رُدُّوا هُؤلاءِ إلى حَشا الحَلْقَةِ» ، أيْ: جانِبَها.

وخُصومُ السَّلَفِيِّينَ يَرْمونَهُمْ بِهذا الاسْمِ؛ تَنْفيراً للنَّاسِ عَن اتِّباعِهِمْ والأَخْذِ بِأَقوالِهِم، حَيْثُ يَقولُونَ في المُتَشابِهِ: ﴿ وَمَا يَصْلَمُ مَا أُولِلَهُ وَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾.

وَقَدْ أَخْطَأْتِ اسْتُهُمُ الحُفْرَةَ (١) ، فَالسَّلَفُ لا يَقُولُونَ بِوُرُودِ مَا لا معنى لَهُ لا في الكِتابِ ولا في السُّنَّةِ ، بَلْ يَقُولُونَ في الاسْتِواءِ مَثَلًا: «الاسْتِواءُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، والإقرارُ بِهِ إِيْمَانٌ ، والجُحودُ بِهِ كُفُرٌ (٢).

⁽۱) قولهم: «أخطأت استه الحفرة» مَثَلُ يضرب لمن رام شيئاً ، فلم ينله ، ولمن توخى الصواب ، فجاء بالخطأ.

انظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (١/ ١٦٠) ، «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٠١) ، «مجمع الأمثال» للميداني (٤/ ٤٣٤).

⁽٢) روي معنى هذا الأثر عن جماعة من السلف ، فقد رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٩٧/٣) ح ٦٦٤ ، والصابوني في «عقيدة السلف» (ص ١٦) ح ٣٣٠ ، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص ١٥٨) ح ٣٧ ، عن أم سلمة ، وقد ضعف إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥).

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٩٨/٣) ح ٦٦٥ ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٥١) ، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص ١٦٤) ح ٧٤ ، والذهبي في «العلو» (المختصر ١٣٢) ح ١١١ ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥): «ومثل هذا ـ يعني جواب مالك ـ ثابت عن ربيعة شيخ مالك».

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٩٨/٣) ح ٦٦٤، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١)، وفي «الاعتقاد» (ص ٤٣)، والصابوني في «عقيدة السلف» (ص ١٧ ـ ١٩) ح ٢٤، ٢٥، ٢٦، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٥٥ ـ ٥٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٣٨/٧)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» =

وَقَدْ أَطَالَ الكَلامَ في هَذِهِ المَسْأَلَةِ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ في كَثيرٍ مِنْ كُتُبِهِ (١) ، وَلَخَصَ ذلِكَ في كِتابِهِ: «جَوابُ أَهْلِ الإَيمانِ في التَّفَاضُلِ بَيْنَ آياتِ القُرْآنِ».

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَذْهَبِ السَّلْفِ وَمَذْهَبِ الحَسْوِيَّةِ ، بأَنَّ مَذْهَبَ الحَسْوِيَّةِ وُرُودُ ما يَتَعَذَّرُ التَّوصُّلُ إلى مَعْنَاهُ المُرادُ مُطْلَقاً ، فالاسْتِواءُ - مَثَلاً - عِنْدَهُمْ لَهُ مَعْنَى يَتَوَصَّلُ إلَيْهِ بِمُجَرَّدِ سَماعِهِ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ المَوْضوعاتِ اللَّغُويَّةَ ، إلاَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُرادٍ؛ لأنَّهُ خِلافُ ما يَقْتَضِيهِ يَعْرِفُ المَوْضوعاتِ اللَّغُويَّةَ ، إلاَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُرادٍ؛ لأنَّهُ خِلافُ ما يَقْتَضِيهِ دَليلُ العَقْلِ والنَّقْلِ ، ومَعَنى آخَرُ يَليقُ بِهِ - تَعالى - لا يَعْلَمُهُ إلاَّ هو دَليلُ العَقْلِ والنَّقْلِ ، ومَعَنى آخَرُ يَليقُ بِهِ - تَعالى - لا يَعْلَمُهُ إلاَّ هو - عَزَّ وجَلَّ -.

وكَيْفَ يَكُونُ مَذْهَبُ السَّلَفِ هو مَذْهَبَ الحَشوِيَّةِ ، وَقَدْ رَأَى الحَسَنُ البَصْرِيُّ الذي هو مِنْ أَكَابِرِ السَّلَفِ سُقوطَ قَوْلِ الحَشْوِيَّةِ ، ولَمْ يَرْضَ أَنْ يَقْعُدَ قَائِلُهُ تُجاهَهُ؟!

والمَقْصودُ أَنَّ أَهْلَ الباطِلِ مِنْ المُبْتَدِعَةِ رَمَوا أَهْلَ السُّنَّةِ والحَديثِ بِمِثْلِ هذا اللَّقَب الخَبيثِ.

قالَ أبو مُحَمَّدِ عبدُ اللهِ بنُ قُتَيْبَةَ في «تأويلِ مُخْتَلِفِ الأحاديثِ»: «إنَّ أَصْحَابَ البِدَعِ سَمَّوا أَهْلَ الحَديثِ بِالحَشْوِيَّةِ ، والنَّابِتَةِ ، والمُتَجَبِّرَةِ ، والجُبْرِيَّةِ ، وسَمَّوهُم الغُثاءَ ، وهذِهِ كُلُها أنبازٌ لمْ يأتِ بِهَا خَبَرٌ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ كما أتى:

^{= (}ص ۱۷۲ ـ ۱۷۳)، والذهبي في «العلو» (المختصر ص ۱٤۱) ح ۱۳۱ و ۱۳۲ عن مالك بن أنس.

⁽۱) ومنها «رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل» ، «الفرقان بين الحق والباطل» ضمن «مجموع الفتاوى» (۱۲/۱۳) ، «الرسالة التدمرية».

في القَدَرِيَّةِ (١) أَنَّهُمْ: «مَجوسُ هِذِهِ الأُمَّةِ ، فإنْ مَرِضوا فَلا تَعودُوهُمْ ، وإنْ ماتوا فلا تَشْهَدوا جَنائِزَهُمْ (٢).

وفي الرَّافِضَةِ (٣): «يَكُونُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمان يُسَمَّونَ الرَّافِضَةَ ، يَرْفُضون

(۱) القدرية ليست طائفة بذاتها كالأشاعرة مثلاً ، وإنما تطلق على كل من نفى القدر ، كالمعتزلة ومن أنكره من الرافضة وغيرهم.

(۲) رواه أبو داود في «سننه» _ كتاب السنة _ باب في القدر _ (٦٦/٥ _ ٦٧) ح ٤٦٩١ ، ومن طريقه الحاكم في «مستدركه» (١/ ٨٥) ، وقال الحاكم: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر».

قال ابن حجر في «الأجوبة على أحاديث المصابيح» (٣/ ١٧٧٩): «قلت: ورجاله رجال الصحيح ، لكن في سماع أبي حزم ـ واسمه سلمة بن دينار ـ من ابن عمر نظر ، وجزم المنذري بأنه لم يسمع منه ، وقال أبو الحسن بن القطان: قد أدركه ، وكان معه بالمدينة ، فهو متصل على رأي مسلم».

وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٦٣٩) ح ١١٥٠، والخري في «الكامل في الضعفاء» والآجري في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢١٢).

والحديث حسنه بمجموع طرقه الألباني في «تخريج الطحاوية» (ص ٢٠٤).

(٣) الرافضة: واحدة من طوائف أهل البدع والضلالة ، سموا بذلك لكونهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الشيخين أبا بكر وعمر ، وهم الذين يعرفون اليوم بالشيعة والإمامية والاثني عشرية والجعفرية ، وأصولهم أربعة: التوحيد ، ويعنون به نفي الصفات ، والعدل ويقصدون به نفي القدر ، والنبوة ، والإمامة ، ويغلب عليهم الغلو في أئمتهم ، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله _ تعالى _ وهم فرق شتى ، يجمعهم ما ذكرت آنفاً.

انظر: «فرق الشيعة» للنوبختي ، «مقالات الإسلاميين» (١/ ٦٥ - ١٤٠) ، «الملل والنحل» (١/ ٦٥ - ١٤٠) ، «الفصل» والنحل» (١٥ - ٢٠) ، «الفصل» (٥/ ٣٥ - ٥٠) ، «التبصير في الدين» (ص ٢٧ - ٤٣) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص ٥٦ - ٢٥) ، «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» (ص ٦٥ - ٨٥) ، «الرد على الرافضة» لأبي حامد المقدسي ، و«مختصر التحفة الاثنى عشرية» ، «تاريخ الفرق الإسلامية» لمحمد خليل الزين (١٠٨ - ١٢٩) ، =

الإسلامَ ، وَيَلْفُظُونَهُ ، فاقتلوهم ، فإنهم مشركون (١١).

وفي المرجئة (٢): «صِنْفانِ مِنْ أُمَّتي لا تَنالُهُم شَفاَعَتي ، لُعِنوا على لِسانِ سَبْعِينَ نَبِيّاً: المُرْجِئَةُ والقَدَرِيَّةُ» (٣).

= «أصل الشيعة وأصولها» لمحمد حسين آل كاشف الغطا ، «تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة» د. عبد الله فياض ، «الشيعة والتصحيح» د. موسى الموسوي.

(۱) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/٥٧٥) ح ٩٨١ ، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/٩٥٥) ح ٢٥٨٦ ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤٢/١٢) ح ١٢٩٩٧ ، وابن عدي في «الكامل» (٥/٩٠) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٩٥) وقال: «غريب تفرد به الحجاج عن ميمون» ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٨٥) ، من حديث ابن عباس ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٢/١): «ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف» ، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٢٢/١).

وعنه بنحوه الطبراني في «الكبير» (٢٤٢/١٢) ح ١٢٩٩٨ ، قال الهيثمي (٢٢/١٢): «وإسناده حسن».

وأخرجه بنحوه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤/٤/٤) ح ٩٧٨ ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٣/١) عن علي مرفوعاً.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢/١٠): «وفيه كثير بن إسماعيل النواء ، وهو ضعيف».

- (٢) المرجئة: إحدى الفرق الضالة ، وإن كان الإرجاء _ كالقدر _ ليس فرقة بعينها ، وإنما في طوائف متعددة ، والإرجاء على معنيين: أحدهما: التأخير ، بمعنى تأخير العمل عن مسمى الإيمان ، ثانيهما: إعطاء الرجاء ، بقولهم: لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .
- انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٣٩ ـ ١٤٦) ، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (٧١ ـ ٧١).
- (٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٦١) ح ٦٤٩ من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: المرجئة والقدرية».

وبمثل حديث ابن عباس أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٤) ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥٦) ح ٢٤٩ من حديث أنس. وفي الخوارج (١٠): «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٢) و «كِلاب أَهْلِ النَّارِ»(٣).

هذهِ أسماءٌ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، وتِلْكَ أَسْماءٌ مَصْنوعَةٌ » (٤) انتهى.

: قال ابن الجوزي: «وهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ».

وأخرجه ابن أبي عاصم (٢/ ٤٦٢) ح ٥٩٢ من حديث معاذ مرفوعاً بلفظ: «ما بعث الله نبيًا قط، إلا جعل في أمته قدرية ومرجئة، وإن الله _ تعالى _ لعن على لسان سبعين نبيًا القدرية والمرجئة».

وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة». (٦٤٣/٢) ١١٥٩ من حديث محمد بن كعب القرظي عن عبد الله.

- (۱) الخوارج: إحدى الفرق الضالة ، نشأت قديماً ، وحذر النبي على من فتنتها ، وحث على قتلهم ، وهم طوائف كثيرون ، يجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ، وتكفير صاحب الكبيرة ، والخروج على الإمام إذا فعل كبيرة .
- انظر في شأنها: «التنبيه والرد» (ص ٥١)، «مقالات الإسلاميين» (١٦٧١)، «الفَرْق بين الفِرَق» (ص ٧٧)، «والتبصير في الدين» (ص ٤٥)، و«الملل والنحل» (ال ١٦٤)، «الفصل» (٤/٥٠ ـ ٥٧)، «الاعتقادات» (ص ٤٦)، «البرهان» (ص ٧١)، «خبيئة الأكوان» (ص ٥٧).
- (۲) أخرجه البخاري في "صحيحه" _ كتاب استتابة المرتدين _ (۸/ ٥٢) ، ومسلم في "صحيحه" _ كتاب الزكاة _ باب ذكر الخوارج وصفاتهم _ (۲/ ۷٤۲) وباب التحريض على قتل الخوارج _ (۷٤٦/۲) ح ۱۰٦٦ من حديث أبي سعيد وعلى .
- (٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» _ المقدمة _ (١/ ١٦) ح ١٧٣ ، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٥) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٨/٢) ح ٩٠٤ ، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٢٤) ح ٢٤٠٨، وفي «الصغير» (١١٧/١) ، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٣١٩) ، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٦٣/١) ح ٢٦١ ، وقال: «قال أحمد: لم يسمعه الأعمش من ابن أبي أوفى ، قال الدارقطني: لم نر شيوخنا يقولون: إن إسحاق تفرد به عن الأعمش حتى وجدنا أهل خراسان قد رووه [عن] شيخ له عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش».
 - (٤) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٥).

وفي «الغُنْيَةِ» أنَّ البَاطِنيَّةَ تُسَمِّي أهلَ الحديثِ «حَشْوِيَّةً» لِقولِهم بالأخبارِ وتَعَلَّقِهم بالآثار(١).

وفي كتابِ «حُجَّة اللهِ البالِغة»: «واسْتطالَ هؤلاءِ الخائِضونَ على مَعْشَرِ أَهْلِ الحديثِ ، وسَمَّوْهُمْ مُجَسِّمَةً ، ومُشَبِّهَةً ، وقالوا: هُمُ المُتَسَتِّرونَ بِالبَلْكَفَةِ ، وقد وَضَحَ لَدَيَّ (٢) وُضوحاً بَيِّناً أنَّ اسْتِطالَتَهُمْ هذهِ ليستْ بشيءٍ ، وأنَّهم مُخْطئونَ في مَقالَتِهِم (٣) رِوايةً وَدِرايةً ، وخاطِئونَ في طَعْنِهِمْ أَئمَّةَ الهُدى»(٤) انتهى.

وَقَدْ قالَ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّم في «كافِيَتِهِ الشَّافِيَةِ»: «فَصْلٌ في تَلْقيبِهم أهلَ السُّنَّة بِالحَسْوِيَّةِ وبيان (٥) مَنْ أَوْلَى بِالوصفِ المَذموم مِنْ (٦) هذا اللَّقَبِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وذِكْرِ أُوَّالِ مَنْ لَقَّبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ البِّدَع:

وَمِنَ العَجائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدى بِالـوَحْـي مِـنْ أَثَـرٍ وَمِـنْ قُـرْآنِ دِ وَفَضْلَـةً فـي أمَّـةِ الإِنْسـانِ رَبُّ العِبادِ بِداخِلِ الأكْوانِ ءِ الـرَّبُّ ذُو المَلَكـوتِ والسُّلْطـانِ حْمْنَ مَحْوِيٌّ بِظَرْفِ مَكانِ قَالَتْهُ في زَمَنِ مِنَ الأزْمانِ ذَا قَوْلَهُم تَبَا لِذي البُهْتانِ

حَشْوِيَّةٌ يَعْنُونَ حَشُواً في الوُجو وَيَظُنُّ جِاهِلُهِمْ بِأَنَّهُمُ حَشَوْا إِذْ قَوْلُهُمْ فَوْقَ العِبادِ وَفي السَّما ظَنَّ الحَمِيْرُ بَأَنَّ في لِلظَّرفِ والرَّ وَاللهِ لَمْ يُسْمَعْ بِذَا مِنْ فِرْقَةٍ لا تَبْهَتُوا أَهْلَ الحَديثِ بِهِ فَما

[«]الغنية» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٨٥). (1)

في «حجة الله البالغة»: «على». **(Y)**

في المخطوط والمطبوع «روايتهم» ، وما أثبته من «حجة الله البالغة». (٣)

[«]حجة الله البالغة» لشاه ولى الله الدهلوي (١/ ٦٤). (1)

في المطبوع «ويقال» ، وما أثبته هو الموافق لما في «الكافية الشافية». (0)

في المطبوع «في» ، وما أثبته هو الموافق لما في «الكافية الشافية». (7)

في كَفِّ خالِق لهـنَّه الأَكْـوانِ سِكِها تَعالى اللهُ ذُو السُّلْطانِ ياقَوْمَنا ارْتَدِعوا عَن العُدُوانِ فَالْبَهْتُ لا يَخْفَى على الرَّحْمٰنِ (٢) مُخْتار حَشُواً فَاشْهَدُوا بِبَيانِ] صِرْفٌ بلا جَحْدٍ ولا كِتْمانِ](٣) ـذا الاسم في الماضي مِنَ الأزْمانِ كَ ابنَ الخَليفةِ طاردِ الشَّيطانِ (٥) ـــدِ اللهِ أَنَّــى يَسْتَــوي الإِرْثــانِ _وَ مُناسِبٌ أَحْوالَـهُ بِوزانِ بِدَع تُخالِفُ مُوْجَبَ(٦) القُرْآنِ _ثِ أئمَّةُ الإِسْلام والإيمانِ لَيْسَتْ زُبِالَةَ لهَـذِهِ الأذهانِ أوسماخ والأقْملة والأنْتهانِ

بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّماواتِ العُلى حَقّاً كَخَرْدَلَةٍ تُرى في كَفِّ مُمْ أَتَرَوْنَهُ المَحْصورَ بَعْدُ أم السَّما كُمْ ذَا مُشَبِّهَةً وَكُمْ (١) خَشُويَّة [يا قَوْمُ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وسُنَّةُ الْـ [أنَّا بِحَمْدِ إلٰهنا حَشْويَّةٌ تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شُيُوخُكُمُ بِهِ سَمَّى بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبدَ اللهِ (٤) ذا فَوَرِثْتُمُ عَمْراً كَما وَرِثُوا لِعَبْ تَدْرُونَ مَنْ أُولَى بِهذا الاسم وَهُـ مَنْ قَدْ حَشا الأوراقَ والأذْهانَ مِنْ هٰذا هو الحَشويُّ لا أهلُ الحَديـ وَرَدُوا عِذَابَ مَناهِلِ السُّنَنِ الَّتِي وَوَرَدْتُمُ القَلُّوطَ (٧) مَجْرى كُلِّ ذي الْـ

⁽١) في المخطوط «وذا» وما أثبته من المطبوع، وهو الموافق لما في «الكافية الشافية».

⁽٢) في المخطوط «صرف بلا جحد ولا كتمان» وما أثبته من المطبوع ، وهو الموافق لما في «الكافية الشافية».

⁽٣) البيتان اللذان بين معكوفتين ليسا في المخطوط ولا في المطبوع ، وإنما أضفتها من الكافية .

⁽٤) في المخطوط والمطبوع «عمرٌ و لعبد الله» وما أثبته من «الكافية الشافية».

⁽٥) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٥٢٠) ، حيث ذكر شيخ الإسلام أنَّ عمرو بن عبيد سمى عبد الله بن عمر حشوياً ، وانظر: «شذرات الذهب» لابن العماد.

⁽٦) في المخطوط والمطبوع «مقتضى» ، وما أثبته من «الكافية الشافية».

⁽٧) قال ابن عيسى في شرح «الكافية الشافية» (٢/ ٨٦): «القلوط ـ بفتح القاف وتشديد =

وَكَسِلْتُمُ أَنْ تَصْعَدوا لِلْوِرْدِ مِن رأسِ الشَّريعَةِ(١) خَيْبَةَ الكَسْلانِ(٢)

وحاصِلُ هذهِ الأبياتِ أنَّ أَعْداءَ الحَقِّ وخُصومَ السُّنَّةِ وأضْدادَ الكِتابِ والسُّنَّةِ بِلَقَبِ «الحَشويَّةِ»: والسُّنَّةِ بِلَقَبِ «الحَشويَّةِ»:

فالخَواصُّ مِنْهُمْ يَقصدونَ بِهذا الاسمِ أَنَّ المُسَمَّى بِهِ حَشْوٌ في الوُجودِ وفَضْلَةٌ في النَّاسِ ، لا يُعْبأ بِهِمْ ، ولا يُقامُ لَهُمْ وَزْنٌ؛ إذ لَمْ يَتَبِعوا آراءَهُمُ الكاسدَةَ وأفكارَهُمُ الفاسدَةَ.

وأمَّا العَوامُّ مِنْهُمْ فَيَظُنُّونَ أَنَّ تَسْمِيَةَ السَّلَفِ بِالحَشْوِيَّةِ لِقَوْلِهِم بِالفَوْقِيَّةِ ، وَكَوْنِ الإلٰهِ فِي السَّمَاءِ ، بِمَعْنى أَنَّهُمُ اعْتَقَدوا - وحاشاهُم - أَنَّ اللهَ - تعالى - حَشْوُ هذا الوُجودِ ، وأَنَّهُ داخِلَ الكَوْنِ - تعالى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمونَ عُلُوّاً كَبِيراً -. وهذا بُهتانٌ عَظيمٌ عَلى أهْل الحَديثِ .

على أنَّ هذا القولَ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.

وأعداءُ الحَقِّ في عَصْرِنا هذا عَلى هذا المَسْلَكِ الجاهِلِيِّ ، فَتَراهُمْ يَرْمُونَ كُلَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ بِكُلِّ لَقَبٍ مَذمومٍ بَيْنَ المُسْلِمينَ ، واللهُ المُسْتَعان عَلى ما تَصِفُونَ.

⁼ اللام وبالطاء المهملة _: هو نهر بدمشق الشام يحمل أقذار البلد وأوساخه وأنتانه ، ويسمى في هذا الوقت: قليطاً بالتصغير ».

⁽١) في المخطوط والمطبوع «أثر الشرائع» ، وما أثبته من «الكافية الشافية».

⁽۲) «الكافية الشافية» (ص ۱۰۸)، وبشرح العلامة ابن عيسى (۲/۷۹)، وبشرح الدكتور: محمد خليل هراس (۱/۳۳۳_ ۳۳۰).

السادسة والخمسون

افْتراءُ الكَذِبِ على اللهِ ، والتَّكذيبُ بِالحَقِّ.

وَشُواهِدُ هَذَهِ الْمَسَأَلَةِ مِنَ الْكَتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثَيْرٌ ، وَهَذَا دَأْبُ الْمُخَالِفِينَ لِللَّينِ الْمُبِينِ ، كَاليهودِ وَالنَّصَارِى ، يَدَّعُونَ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيه هُو الْحَقُّ ، وأَنَّ اللهَ أَمَرَهُم بِالتَّمَسُّكِ بِهِ ، وأَنَّ الدِّينَ المُبِينَ ليس بِحَقِّ ، وأَنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ أَمَرَهُمْ (١) بِتَكْذيبِهِ ، كُلُّ ذٰلِكَ لاتِّباعِ أَسلافِهِم ، لا يَنْظُرُونَ إلى الدَّليلِ ، وَهَكذَا أَهْلُ البِدَع وَالضَّلالاتِ يَعْتَقِدُونَ بِدَعَهُم الْحَقَّ ، وأَنَّ اللهَ أَمَرَهُم بِها ، وأَنَّ ما عَلَيه أَهْلُ الْحَقِّ مُفْتَرَى ، لا يُصَدِّقُونَ بِهِ .

وَكُلُّ يَدَّعِيْ وَصْلًا لِلَيْلَى وَلَيْلَى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذاكا(٢)

⁽١) في المخطوط «أمرنا».

⁽٢) سبق (ص٩٦) تخريجه.

السابعة والخمسون

رمْيُ المُؤْمِنينَ بِطَلَبِ العُلُوِّ في الأرض.

قالَ _ تَعالى _ في سورةِ «يُونُسَ»: ﴿ قَالُواْ أَجِنْتَنَا لِتَلْفِئَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِيْرِيَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحَنُ لَكُمَا (١) بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

هذا الكلامُ مَسوقٌ لبَيانِ أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ أَلْقَمَهُمُ الحَجَرَ ، فانْقَطَعوا عن الإتيانِ بِكلامٍ لَهُ تَعَلُّقٌ بكلامِهِ ـ عليه السلام ـ فَضلاً عَن الجَوابِ الصَّحيح ، واضْطُرُّوا إلى التَّشَبُّثِ بِذَيْلِ التَّقليدِ الذي هو دَأْبُ كُلِّ عالجوج. عاجِزٍ محْجوج ، ودَيْدَنُ كُلِّ معالج لَجوج.

على أنّه اسْتِئْنافٌ وَقَعَ جَواباً عَمَّا قَبْلَه مِن كلامه ـ عليه السلام ـ على طَريقَةِ: قال موسى ، كأنّه قِيلَ: فَماذا قالوا لِموسى ـ عليه السلام ـ حِيْنَ قال لَهُم ما قال؟ فَقِيلَ: قالوا عاجِزينَ عن المُحاجَّةِ: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِئَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَا قال؟ فَقِيلَ: قالوا عاجِزينَ عن المُحاجَّةِ: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِئَنَا عَمَّا وَجَدُنَا عَلَيْهِ مَا قَالَ؟ فَقِيلَ: قالوا عاجِزينَ عن المُحاجَّةِ: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِئَنَا عَمَّا وَجَدُنَا عَلَيْهِ مَا قَالَ؟ فَقَيلَ: كَمَا رُويَ عَنْ عَلَيْهِ مَا المُلكُ. كَمَا رُويَ عَنْ عَنْ مُجاهِدٍ (٣) ، وَعَنِ الزَّجَاجِ أَنّه إنما سُمِّيَ المُلكُ كِبْرِياءً؛ لأنّه أكبرُ ما يُطلَبُ مِن أمرِ الدُّنيا (٤).

⁽١) في المخطوط «وما نحن لك» وهو خطأ.

⁽٢) يونس: (٧٨).

 ⁽٣) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور»
 (٣/ ٣١٤).

⁽٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٢٩).

فَكُلُّ مَن دعا إلى الحَقِّ رَماهُ مَن كان على المَسْلَكِ الجاهِليِّ أَنَّ قَصْدَه مِنَ الدَّعْوةِ طَلَبُ الرِّئاسَةِ والجاهِ ، مِن غَيرِ أَنْ يَنْظُروا إلى ما دَعا إليه ، ومَا قَامَ عليهِ مِنَ البَراهِينِ .

الثامنة والخمسون

رمْيُ المؤمِنينَ بالفسادِ في الأرْضِ.

شاهِدُ هٰذِهِ المَسْأَلَةِ آياتٌ كَثِيْرَةٌ ، حاصِلُها أَنَّ المخالِفينَ لَـهُمْ مِنَ المؤمِنين مُفْسِدونَ في الأرْض.

انظُر إلى قُولِهِم في أُوائِلِ سورةِ «البَقَرَةِ»، كَيْفَ ادَّعَوا أَنَّهُم هُمُ مُصْلِحونَ، وقد رَدَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَا يَشْعُهُنَ ﴾ (١).

وَهَكذا من هو على شاكِلَةِ أُولئِكَ ، مِنَ الذينَ اسْتَحَلُّوا غَيَّهُمْ ، وتَمَكَّنَتْ بِدَعُهُمْ مِنْ قُلوبِهِمْ.

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرِّ مَريضٍ يَجِدْ مُرّاً بِهِ الماءَ الزُّلالا(٢)

نسأله ـ تعالى ـ أَنْ يَثَبَّتَ قُلوبَنا على دِينِهِ القَويمِ ، وأقدامَنا على الصِّراطِ المُستقيم.

⁽١) البقرة: (١٢).

⁽٢) البيت للمتنبي ضمن قصيدة له يمدح بها أبا الحسين بدر بن عمار الطبرستاني ، وهو في ديوانه (ص ١٤١).

التاسعة والخمسون

رمْيُ المؤمِنينَ بِتَبْدِيلِ الدِّينِ.

قال _ تعالى _ في سورةِ «مؤمن»(١): ﴿ إِنِّ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظِهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾(٢).

اعتقدوا ما هُمْ (٣) عَلَيه مِنَ الضَّلالِ هو الدِّيْنُ الحقُّ ، وَمَنْ أراد تَحْويلَهُمْ عَنِ اعْتِقادِهِمُ الكاسِدِ ، وصَرْفَهُمْ عَمَّا هُمْ عليهِ مِنَ الغَيِّ ، فَقَدْ أرادَ (١٤) إخراجَهُمْ من الدِّينِ ، وإفساداً في الأرْضِ.

وهَكذا دَيْدَنُ أَعْداءِ الحَقِّ في كُلِّ عَصْرٍ.

⁽١) في المطبوع: «غافر» وكلاهما اسم لهذه السورة.

⁽٢) غافر: (٢٦).

⁽٣) في المطبوع «اعتقدوا أن ما هم».

⁽٤) «فقد أراد» ليست في المخطوط.

الستون

كُونُهُمْ إذا غُلِبوا بِالحُجَّةِ ، فَزِعوا إلى السَّيْفِ والشَّكوى إلى المُلوكِ ، وَ[دَعْوى](١) احْتِقارِ السُّلْطانِ ، وَ[تَحْويل](١) الرَّعِيَّةِ عَنْ دِيْنِهِ.

قال _ تعالى _ في سورة «الأعراف»: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢).

فانظُرْ إلى شَكُوى آلِ فِرْعَونَ وَقَومِهِ إلَيْهِ ، وَتَحْرِيشِهِمْ (٣) إِيَّاهُ عَلَى مُقاتَلَةِ مُوسى _عليه السلام _ وَتَهْييجِهِ ، وَمَا ذُكِرَ في آخِرِ الآيةِ مِنْ احْتِقارِ (١٤) ما كانوا عَلَيْهِ.

⁽١) ما بين الحاصرتين ليس في المخطوط، وقد وضع في المطبوع بين حاصرتين، وهما علامة الإضافة إلى النص.

⁽٢) الأعراف: (١٢٧).

⁽٣) في المخطوط «وتحريسهم».

⁽٤) في المخطوط «الاحتقار».

الحادية والستون

تناقضُ مَذهَبِهِمْ لَمَّا تَرَكُوا الحَقَّ.

قال _ تعالى _ في سورة (قَ): ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنقُصُ ٱلْأَرَضُ مِنْهُم ۗ وَعِندَنَا كِنَبُ حَفِيظُ ۚ إِلَى كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم فَهُمْ فِهُمْ فِي آمْرِ مَّرِيجٍ ﴾ (١).

فَقُولُهُ: ﴿ بَلَ كَذَّبُواْ بِالْحَقِ . . . ﴾ إلخ ، إضرابٌ أُتْبِعَ الإضرابَ الأوَّلَ للدِّلالةِ على أنَّهم جاءوا بِما هو أَفْظَعُ من تَعَجُّبِهِمْ ، وهو التَّكذيبُ بالحَقِّ، الذي هو النُّبُوَّةُ الثَّابِتةُ بالمُعْجِزاتِ ، في أوَّلِ وَهْلَةٍ ، مِن غيرَ تَفَكُّرٍ ولا تَدَبُّرٍ .

﴿ فَهُمْ فِيَ أَمْرٍ مَرِيحٍ ﴾ مُضْطَرِبٍ ، وذلكِ بسبب نَفْيهِمُ النُّبُوّةَ عنِ البَشَرِ بِالكُلِّيَةِ تارةً ، وَزَعْمِهِمْ أَنَّ اللَّائقَ بِهَا أَهلُ الجاهِ والمالِ كما يُسْبِيءُ عَنْهُ قُولُهُم : ﴿ لَوْلَا نُزِلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٢) تارة أُخرى ، وَزَعْمِهِمْ أَنَّ النّبُوَّةَ سِحْرٌ مرَّةً أُخرى ، وأنَّها كِهانَةٌ أخرى ، حيثُ قالوا في النبيِّ عَلِي مَرَّةً : ساحرٌ ، ومَرَّةً : كاهِنٌ ، أَوْ هو اخْتِلافُ حالِهِم ما بَيْنَ تَعَجُّبِ مِنَ البَعْثِ واستبعادٍ لَهُ ، وتكذيبٍ وَتَرَدُّدٍ فيه ، أو قولُهم في القرآن : هو شِعْرٌ أُخرى .

وقال _ تعالى _ في «الذَّارياتِ»: ﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ١ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلِ

⁽١) قَ: (٤ ٥).

⁽٢) الزخرف: (٣١).

تُخْلِفِ إِنَّ أَيْوَفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ فَي قَبِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ فَيْ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةِ سَاهُوك (١).

﴿ اَلْحُبُكِ ﴾ : جمع حَبيكَةٍ ، كَطَرِيقَةٍ ، أَوْ حِباك ، كَمِثال وَمُثُل ، والمرادُ بها إمَّا الطُّرُقُ المحسوسةُ التي تَسيرُ فيها الكَواكبُ ، أو المعقولةُ التي تُدْرَكُ بالبَصيرةِ ، وهي ما يدلُّ على وَحْدَةِ الصَّانعِ وقُدْرَتِهِ وعِلْمِهِ وحِكمتِهِ إذا تأمَّلَها النَّاظرُ.

وقوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَغِي قَوْلِ تُخْلِفٍ ﴾ ، أيْ: مُتخالِف ، مُتَناقِضٍ في أَمْرِ اللهِ عز وجل - ، حيثُ تقولونَ: إِنَّهُ - جلَّ شأنُهُ - خَلَقَ السَّماواتِ والأرض ، وَتَقُولُونَ بِصحَّةِ عبادةِ الأصنام مَعَهُ - سُبحانه - ، وفي أَمْرِ الرَّسولِ ، فَتَقُولُونَ تارةً: إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، وأُخرى: إنه ساحرٌ ، ولا يَكُونُ الساحِرُ إلاَّ عاقلاً ، وفي أَمْرِ الحَشْرِ ، فَتَقُولُونَ تارةً: لا حَشْرَ ولا حَياةَ بَعْدَ المَوتِ عاقلاً ، وفي أَمْرِ الحَشْرِ ، فَتَقُولُونَ تارةً: لا حَشْرَ ولا حَياةَ بَعْدَ المَوتِ أَصلاً ، وتَرْعمونَ أُخرى أَنَّ أصنامَكم شُفَعاؤُكم عِنَدَ اللهِ - تعالى - يومَ القيامةِ ، إلى غير ذلك من الأقوالِ المتخالفةِ فيما كُلفوا بالإيمانِ بِهِ (٢).

وقولُهُ: ﴿ يُوْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ ، أي: يُصْرَفُ عَنِ الإِيمانِ بِما كُلِّفوا الإِيمانِ بِما كُلِّفوا الإِيمانَ بِهِ.

﴿ قُيلَ ٱلْخَرَّصُونَ ﴾ ، أي: الكذَّابونَ مِنْ أصحابِ القولِ المُخْتَلِفِ.

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةِ سَاهُونَ ﴾: الغَمْرَةُ: الجَهْلُ العظيمُ يَغْمَرُهُم وَيَشْمَلهُمْ شُمولَ الماءِ الغامِرِ لِما فيه ، والسَّهو: الغَفْلَةُ.

وقال _ تعالى _ في أواخر سورة «الأنعام»: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعَالَسَتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءً إِنَّمَا آمَرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنْبِئُهُم كِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (٣).

⁽۱) الذاريات: (۷_۱۱).

⁽٢) انظر: «روح المعانى» (٢٩/٥).

⁽٣) الأنعام: (١٥٩).

هذه الآيةُ استئنافٌ لبيانِ أحوالِ أهلِ الكتابَيْنِ إثْرَ بيانِ حالِ المشركين ، بناءً على ما رُويَ عن ابنِ عبَّاسٍ^(١) وقتادَة^(٢): أنَّ الآيـةَ نَـزَلَت في اليهودِ والنَّصارى.

أَيْ: بَدَّدُوا دِينَهُم ، وبعَّضُوه ، فتمسَّكَ بِكُلِّ بعضٍ منه فرقةٌ مِنهم.

﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ أي: فِرَقاً تُشايعُ كُلُّ فِرْقَةٍ إماماً ، وتَتْبَعُهُ ، أَيْ: تُقُوِّيهِ ، وَتُنْطهرُ أَمْرَهُ.

أخرجَ أبو داودَ والتِّرْمِذِيُّ عن أبي هُريرَةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ اليهودُ على إحْدى وسَبْعينَ فِرْقةً ، كُلُّهم في الهاوَيةِ إلاَّ واحدةً ، وافْتَرَقَتِ النَّصارى على ثِنْتَيْنِ وسَبعينَ فِرْقةً ، كُلُّهُم في الهاوِيةِ إلاَّ واحدةً ، وسَتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثَلاثٍ وسَبْعينَ فِرْقَةً ، كُلُّهُم في الهاوِيةِ إلاَّ واحدةً »(٣).

واستثناءُ الواحدةِ من فِرَقِ كُلِّ مِن أهلِ الكِتابَيْنِ إِنَّما هو بالنَّظَرِ إلى العَصْرِ الماضي قَبْلَ النَّسْخِ ، وأمَّا بَعْدَهُ؛ فالكُلُّ في الهاوِيةِ ، وإنِ اختَلَفَتْ أسبابُ دُخولِهِم.

﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ ، مِنَ السُّؤالِ عَنهم ، والبَحثِ عَن تَفَرُّ قِهِمْ ، أَوْ مِنْ عِقابِهِمْ ، أَوْ أَنتَ بَرِيءٌ مِنْهم.

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: تَعْلَيلٌ للنَّفي المذكورِ ، أَيْ: هو يَتَولَّىٰ وَحْدَهُ أَمْرُهُم : أُوْلاهُم وَأُخْراهُمْ ، وَيُدَبِّرُهُ حَسْبَما تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ.

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في «الدر المنثور» (7 7).

⁽٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (ج ١/ق ٢/ص ٢٢٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٣)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

 ⁽٣) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ عند أبي دواد والترمذي ، وإنما وجدته عند
 المروزي في «السنة» (ص ٢٤) ، رقم ٦١ من حديث على موقوفاً عليه.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ قال: المُفَرِّقونَ: أَهْلُ البِدَع مِنْ هذهِ الأُمَّةِ:

فقد أخرجَ الحَكيمُ التَّرِّمِذِيُّ (١) وابنُ جَريرٍ (٢) والطَّبَرانيُّ (٣) وغيرُهم عن أبي هُريرةَ عَن النَّبيِّ ﷺ في قولِهِ _ سُبْحانه _: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ . . . ﴾ إلخ : (هُمْ أهلُ البِدَع والأهواءِ مِنْ هذهِ الأمَّةِ).

فَيكونُ الكلامُ _ حِيْنَةِ _ استِئنافاً لِبَيانِ حالِ المُبْتَدِعينَ ، إثْرَ بَيانِ حالِ المُشركينَ ، إشارةً إلى أنَّهم ليسوا مِنْهُم بِبَعيدٍ (١٤).

والمقصودُ أَنَّ أهلَ الجاهليةِ سواءً كانوا أُمِّينَ أَوْ كِتابِيِّينَ قد فَرَّقوا دينَهم ، وتَغايَروا في الاعتقادِ ، فكانَ عُبَّادُ الأصنامِ كُلُّ قَوم لَهُمْ صَنَمٌ يَدينونَ لَهُ ، وَلَهُمْ شرائعُ مُخْتَلِفَةٌ في عِبادتِها ، وَمِنْهم مَنْ كان يَعْبُدُ كَوْكَباً ، ومِنهم مَنْ كان يَعْبُدُ كَوْكَباً ، ومِنهم مَنْ كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، ومِنهم ، ومنهم ، وكذلك الكِتابِيُّونَ على ما بَيَّنًا.

فالافْتِراقُ ناشىءٌ عن الجَهْلِ ، وإلاَّ فالشَّريعةُ الحَقَّةُ في كُلِّ زمان لا تَعَدُّدَ في اللهُ وَلَا نَعَدُدُ الباطِلَ: فيها ولا اختِلافَ ، ولذلك تَرى القُرآنَ يُوَحِّدُ الحَقَّ وَيُعَدِّدُ الباطِلَ:

قال _ تعالى _: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيُ النُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾ (٥) .

⁽١) في «نوادر الأصول» (ص ٢٠٩) ، لكنه من حديث عائشة .

⁽۲) في «تفسيره» (۸/ ۱۰۵).

⁽٣) في «الأوسط» (٢٠٧/١) رقم (٦٦٤) وقال: «لم يروِ هذا الحديث عن سفيان إلا موسى ، تفرد به معلل» ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣): «رجاله رجال الصحيح ، غير معلل بن نفيل ، وهو ثقة».

وانظر: «العلل» للدارقطني (٨/ ٣٢١) رقم ١٥٩٢.

⁽٤) تفسير هذه الآية نقله المؤلف _ رحمه الله تعالى _ من «روح المعاني» (٨/٨). وانظر: «تفسير أبي السعود» (٣/٢٠٦).

⁽٥) البقرة: (٢٥٧).

فانظُرْ كَيفَ أَفْرَدَ النُّورَ الذي هو الحَقُّ ، وَجَمَعَ الظُّلُماتِ التي هِيَ الباطِلُ والزَّيغُ ، فَتَفْرِقَةُ الآراءِ ، والاخْتِلافُ في الاعتقاد مِنْ خِصالِ الجاهليَّةِ وما كان عَلَيه أهلُ الباطِلِ ، والاتفاقُ على العَقيدةِ الحَقَّةِ هو مِنْ دَأْبِ أَتْباعِ الرُّسُلِ والمُتَمَسِّكِينَ بِما شَرَعَهُ اللهُ - تَعالى -.

الثانية والستون

دَعُواهُمُ العَمَلَ بِالْحَقِّ الَّذِي عِنْدَهُمْ.

كَما قال - تعالى - في سورة «البَقَرَةِ»: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْمَا وَيَكُفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِقًا لِمَا مَعَهُمُّ قُلْ فَلِمَ قَالُواْ نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْمَا وَيَكُفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُو ٱلْحَقُّ مُصَدِقًا لِمَا مَعَهُمُّ قُلْ فَلِمَ تَقَلُونَ أَنْبِياءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُم مُّ قُمِنِينَ ﴾ (١).

أَيْ: نَسْتَمِرُ عَلَى الإِيمانِ بِالتَّوراةِ وما في حُكْمِها مِمَّا أُنْزِلَ لِتَقْرِيرِ حُكْمِها.

ومُرادُهم بِضَميرِ المُتكلِّمِ إمَّا أنبياءُ بني إسرائيلَ وهو الظَّاهرُ ، وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نُزولِهِ على مَنْ ليس مِنهم، وإمَّا أَنْفُسُهُمْ ، ومعنى الإنزالِ عليهم: تَكْليفُهُمْ بِما في المُنزَّلِ مِنَ الأحكام.

وَذُمُّوا (٢) على هذه المَقالةِ لِما فيها مِنَ التَّعْريضِ بِشأْنِ القرآنِ. ودَسَائِسُ اليهودِ مشهورةٌ (٣) وتمامُ الكَلام في التَّفسيرِ.

⁽١) البقرة: (٩١).

⁽٢) في المخطوط والمطبوع «وندموا» ، وما أثبته هو الموافق لما في «روح المعاني».

⁽٣) تفسير هذه الآية نقله الشارح من «روح المعاني» (١/ ٣٢٣).

الثالثة والستون

الزِّيادةُ في العِبادةِ ، كَفِعْلِهمْ يَوْمَ عاشوراءَ(١).

* * *

(۱) وهذه الخصلة الجاهلية لا تزال موجودة إلى يومنا هذا ، فأنت ترى المستدركين على الله _ تعالى _ فيما شرعه على لسان نبيه محمد على من زنادقة الصوفية والرافضة كل يوم يأتون بشرع جديد ، وكل شيخ وآية له دينه الذي لا يشركه فيه أحد ، حتى أصبح الدين بسبب هؤلاء سبة ، وغدوا عائقاً كبيراً أمام من يريد معرفة الإسلام على وجهه الصحيح ، فاللهم يا ولي الإسلام وأهله أرح العباد من شرهم وكيدهم .

أما بالنسبة لبدع يوم عاشوراء ، فهي لا تزال ، وخاصة عند الرافضة ، ويكفي أن ننقل لك أحد نصوص واحد من الرافضة المعاصرين ، وهو عبد الله نعمة ، حيث يقول في كتابه «روح التشيع» (ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠): «ومن هذه العادات السيئة: ضرب الرؤوس بالسيوف وجرحها ، وإسالة الدماء ، وضرب الظهور بالسلاسل ضرباً مبرحاً نحن لا ننسى ثورة العامة ومعهم بعض المشايخ على محسن الأمين العاملي حين أفتى بحرمة التمثيل (التشبيه) في عاشوراء ، وحرمة ضرب الظهور بالسلاسل ، وجرح الرؤوس بالسيوف . . . » .

وانظر وصفاً دقيقاً لما يجري يوم عاشوراء في كتاب «الشيعة والتصحيح» لأحد أئمة الرافضة المعاصرين وهو الدكتور موسى الموسوي (ص ٩٧ ـ ١٠٢).

كما أنه يوجد عند المنتسبين إلى السنة (أعني به ما يقابل الرافضة) كثير من البدع في ذلك اليوم بعضها مستند إلى أحاديث واهية ، وأكثرها من باب: ﴿ إِنَّا وَجَدَّنَآ ءَابَآءَنَاعَلَىٰ أَمَّةِ وَإِنَّا عَلَىٰ عَالَمُهُمْ مُقْتَدُونَ﴾ .

الرابعة والستون

النَّقْصُ مِنْها ، كَتَرْكِهِم الوُّقوفَ.

قال _ تَعالى _: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَكَاضَ ٱلنَّكَاسُ ﴾ (١) ، أيْ: مِنْ عَرَفَةَ ، لا مِنْ مُزْدَلِفَةَ .

والخطابُ عامٌ ، والمقصودُ إبطالُ ما كان عليه الحُمُسُ مِنَ الوُقوفِ جَمْعِ.

فَقَدْ أَخرِجَ البُخارِيُّ (٢) ، ومُسْلِمٌ (٣) عَن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالتْ: «كانتْ قَريشٌ ومَنْ دانَ دِيْنَها يَقِفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، وكانوا يُسَمَّونَ الحُمُسَ ، وكان سائرُ العَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ ، فَلَمَّا جَاءَ الإسلامُ ، أمرَ اللهُ نَبِيَهُ صلى الله تعالى عليه وسلم أنْ يَأْتِي عرفاتٍ ، ثُمَّ يَقِفَ بِها ، ثُمَّ يُفيضَ مِنها ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ـ سُبحانه ـ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَكَاضَ ٱلتَكاسُ ﴾ .

وَمَعْنَاها: ثُمَّ أَفِيضوا أَيُّها الحُجَّاجُ مِنْ مَكانٍ أَفاضَ جِنْسُ النَّاسِ مِنْهُ قَديماً وَحَديثاً ، وَهُوَ عَرَفَةُ ، لا مِنْ مُزْدَلفَةَ.

^{* * *}

⁽١) البقرة: (١٩٩).

⁽٢) في «صحيحه»: كتاب التفسير - تفسير سورة البقرة - باب في ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ الْفَكَاشُ النَّكَاشُ ﴾.

⁽٣) في «صحيحه» كتاب الحج _ باب ما جاء أن عرفة كلها موقف _ (١/ ٨٩٣) رقم (١٢١٨)

الخامسة والستون

تَعَبُّدُهُمْ بِتَرْكِ أَكْلِ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ ، وَتَرْكِ زِيْنَةِ اللهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِه.

قال _ تَعالى _ في سورة «الأعْرافِ»: ﴿ هَ يَنَنِي مَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاَشْرَبُواْ وَلَا شُرِفُواْ إِنَّهُ (١) لَا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَالطّيِبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِينَمَةُ كَثَرَ لَكَذَيكَ نُفَصِّلُ الْآذِيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِينَمَةُ كَذَيكَ نُفَصِّلُ الْآذِيكِ فَقَصِّلُ الْآذِيكِ فَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وسببُ النُّزولِ ـ على ما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاس ـ أَنَّه كَانَ أُناسٌ مِنَ الأَعْرابِ يَطُوفُونَ بِالبيتِ وهي عُريانةٌ ، يَطُوفُونَ بِالبيتِ وهي عُريانةٌ ، فَتُعَلِّقُ على سُفْلِها سُيُوراً مِثلَ هذه السُّيورِ التي تكونُ على وَجْهِ الحُمْرِ من اللَّباب ، وهي تقول:

اليومَ يَبدو بعضُه أَوْ كُلُه وما بَدا مِنْه فَلا أُحِلُه فَالْزَلَ اللهُ على على على الله على على الله الآية : ﴿ فَي يَبَنِي مَادَمَ . . . ﴾ إلخ (٣) .

﴿ وَكُلُواْ وَالشِّرَبُواْ ﴾ مِمَّا طابَ لَكُمْ.

⁽١) في المخطوط والمطبوع «إن الله» ، وهو خطأ.

⁽٢) الأعراف: (٣١ ـ ٣٢).

⁽٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" - كتاب التفسير - باب في قوله - تعالى -: ﴿ خُذُواْزِينَكُمُّ عِندَ كُلِّ مَسْجِدِ ﴾ (٢٠٢٨) رقم (٣٠٢٨).

قال الكَلْبِيُّ: «كانَ أهلُ الجاهلِيَّةِ لا يأكلونَ مِنَ الطَّعامِ إلَّا قُوتاً ، وَلا يَأْكُلُونَ دَسَماً في أيَّامِ حَجِّهِمْ ، يُعَظِّمونَ بِذَلكَ حَجَّهُمْ ، فقال المُسْلِمونَ: يا رسولَ اللهِ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذلِكَ ، فأنزلَ اللهُ ـ تَعالى ـ الآيةَ »(١).

ومِنْهُ يَظْهَرُ وَجْهُ ذِكْرِ الأَكْلِ والشُّرْبِ هُنا.

﴿ وَلَا تُسْرِفُواً ﴾ بِتَحْريمِ الحَلالِ ، كَما هو المُناسِبُ لِسَبَبِ النُّزولِ أَوْ بِالتَّعَدِّي إلى الحَرام.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي ٱخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ مِنَ الثِّيابِ وُكُلِّ ما يُتَجَمَّلُ بِهِ.

﴿ وَٱلطَّيِّبَتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ ، أي: مِنَ المُسْتَلَذَّاتِ ، وقيلَ: المُحَلَّلاتُ مِنَ المَاكِلِ والمَشَادِبِ ، كَلَحْمِ الشَّاةِ وَشَحْمِها وَلَبَنِها.

﴿ فَلَ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، أيْ: هِيَ لَهُمْ بِالأَصَالَةِ لِمَزيدِ كَرامَتِهم على اللهِ _ تعالى _ ، وَالْكَفَرَةُ _ إِنْ شارَكوهُمْ فيها _ فَبِالتَّبَع .

﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِينَمَةً ﴾ لا يُشارِكُهُمْ فيها غَيْرُهُمْ.

⁽١) سبق تخريجه.

السادسة والستون

تعَبُّدُهُمْ بِالمُكاءِ وَالتَّصْدِيَةِ.

قال _ تعالى _ في سورة «الأنفالِ»: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَانُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَانَ صَلَانُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَانَهُ وَتَطْدِينَةً فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكُفُرُونَ ﴾ (١).

تفسيرُ هذه الآيةِ: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَا نُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ، أيْ: المسجِدِ الحرامِ ، الذي صَدُّوا المسلمينَ عنهُ. والتَّعبيرُ عنه بِالبيتِ للاختصارِ مَعَ الإشارةِ إلى أنَّه بيتُ اللهِ ، فينبغي أنْ يُعظَّمَ بِالعِبادةِ ، وَهُمْ لمْ يَفْعَلوا.

﴿ إِلَّا مُكَآءً ﴾ ، أيْ: صَفِيراً.

﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ ، أيْ: تَصفيقاً ، وهو ضربُ اليدِ باليدِ بِحَيثُ يُسْمَعُ له صوتٌ.

والمرادُ بالصَّلاةِ: إمَّا الدُّعاءُ ، أو أفعالٌ أُخَرُ كانوا يفعلونها ، ويُسمونها صلاةً ، وحُمِلَ المُكاءُ والتَّصديةُ عليها بِتأويلِ ذلك بأنَّها لا فائدةَ فيها ، ولا معنى لها ، كَصَفير الطُّيور ، وتصفيق اللعِب.

وقد يُقالُ: المُرادُ أنَّهم وَضَعوا المُكاءَ والتَّصديةَ موضعَ الصَّلاةِ التي يَليقُ أَنْ تَقَعَ عند البيت.

⁽١) الأنفال: (٣٥).

يُروى أنَّهم كانوا إذا أرادَ النَّبيُّ عَلَيْهُ أَن يُصَلِّيَ ، يَخْلِطُونَ عليه بالصَّفيرِ والتَّصفيةِ (١).

وَيُروى(٢) أنهم يصلون _ أيضاً _.

وَيُروى أَنَّهُم كَانُوا يَطُوفُونَ عُراةً: الرِّجالُ والنِّساءُ مُشَبِّكينَ بين أصابِعِهُم ، يُصَفِّرونَ فيها ، وَيُصَفِّقُونَ (٣).

وباقي الآية معلومٌ.

والمقصودُ أنَّ مِثْل هذه الأفعالِ لا تكونُ عِبادةً ، بَلْ مِنْ شعائِرِ الجاهِلِيَّةِ .

فَما يَفْعَلُهُ اليومَ بعضُ جهلةِ المسلِمين في المساجدِ مِن المُكاءِ والتَّصديةِ يَزْعُمونُ أَنَّهم يَذكُرون اللهَ ، فهو مِنْ قَبيلِ فِعلِ الجاهلِيَّةِ ، وما أَحْسَنَ ما يقولُ القائلُ فِيهم (٤):

أقالَ اللهُ صَفِّيَّ لي وَغَينً وَقُلْ كُفْراً وَسَمِّ الكُفْرَ ذِكْرا

وقد جَعَلَ الشَّارِعُ صوتَ المَلاهي صوتَ الشَّيطانِ ، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱسْتَفْرِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِعَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَا وَعِدْهُمُ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٥) .

⁽۱) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (۹/ ٣٤١) عن ابن عمر ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٨٣/٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٨٣).

⁽٢) في المطبوع «ويرون».

⁽٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٢٤١) عن سعيد بن جبير ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٨٣).

⁽٤) القائل هو عبد الغفار الأخرس كما في «ديوانه» (ص ٣٥٨).

⁽٥) الإسراء: (٦٤).

السابعة والستون

دَعُواهُمُ الإِيمانَ عندَ المؤمنينَ ، فَإذا خَرَجوا ، خَرَجوا بِالْكُفْرِ الذي دَخَلُوا بِه (١).

الثامنة والستون

دعاؤُهُمُ النَّاسَ إلى الضَّلالِ بِغَيرِ عِلْمٍ (١).

⁽۱) هذه الحال تنطبق على النصارى والأميين ، فإنهم جهال ، لا يعون شيئاً ، ومع ذلك كانوا يدعون إلى باطلهم ، ويتعصبون له ، وكأنه هو الحق ، مع أنهم ليس لهم علم بالكتاب وليس لديهم أثارة من علم ، ولئن كان النصارى قد جاءهم من ربهم على لسان نبيهم عيسى على ، فإنه لم يلبث أن حُرِّف وغُيِّر وبُدِّل.

ومن هو على شاكلتهم في هذا العصر كثير ، فأنت ترى الضلال من المتصوفة ليس لهم علم بكتاب الله ولا سنة رسوله على ، ومع ذلك يبثون دعاتهم شرقاً وغرباً لنشر باطلهم ، والدعوة إليه ، وتنفق الأموال الطائلة لأجل ذلك.

وتأمل حال أهل البدع من المتكلمين من الأشاعرة المخذولين والرافضة الزنادقة الملحدين وغيرهم تجدهم متحمسين لباطلهم ، مدافعين عنه مع جهلهم بالكتاب والسنة.

التاسعة والستون

دعاؤُهُمُ النَّاسَ إلى الكُفْرِ مَعَ العِلْم (١).

⁽۱) وهذه حال اليهود ، فإنهم يعلمون من كتبهم صدق نبوة النبي على ، ومع ذلك يدعون الناس إلى مخالفته والكفر به ، وتكذيبه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ اللهُ مَنْ اللهُ مِنْ اللهُ اللهُ مِنْ اللهُ الله

ومشابهوهم في عصرنا هذا كثير ، وذلك أن أغلب دعاة الضلالة يعلمون أن الحق هو ما جاء به محمد على ، ويستيقنون ذلك ، ومع ذلك الناس إلى خلافه ، ويشككونهم فيه ؛ حسداً من عند أنفسهم ، فإلى الله المشتكى ، وهو المستعان .

السبعون

المَكْرُ الكُبَّارُ كَفَعْلِ قَوْمِ نوحٍ.

قال _ تَعالى _ في سورةِ نوح _ عليه السَّلامُ _: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﷺ وَقَالُواْ لَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسَّرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسَّرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ (١).

ومعنى الكُبَّارِ: الكَبيرُ.

والمَكْرُ الكُبَّارُ: احتيالُهُم في الدِّينِ ، وَصَدُّهُم لِلنَّاسِ عنه ، وإغراؤُهم وتحريضُهم على أذيةِ نوحِ عليه السلام.

وَهكذا فَعَلَ أَخْلافُ هؤلاءِ مِن مَردة الدِّين وَأَتْباعِ الهَوى وَعَبَدَةِ الدُّنيا ، يَفعلونَ مَعَ دُعاةِ الحَقِّ كما فَعَلَ قَومُ نوحٍ عليه السلام مَعَهُ ، قد تَشابَهَتْ قُلوبُهُم ، نسألُه ـ تعالى ـ أَنْ يُعيذَ رِجالَ الْحَقِّ مِن كَيدِ مِثْلِ هؤلاءِ الفَجَرةِ ، وَيَصُونَهُمْ مِنْ مَكْرِهِم .

وَقَدْ جَرَّبْتُهُمْ فَرَأَيْتُ مِنْهُم خَبائِثَ بِالمُهَيْمِنِ نَسْتَجيرُ

⁽۱) نوح: (۲۲_۲۲).

الحادية والسبعون

أَئِمَّتُهُمْ: إِمَّا عَالِمٌ فَاجِرٌ ، وإِمَّا عَابِدٌ جَاهِلٌ.

قالَ ـ تعالى: ﴿ ﴿ الْفَنظَمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَانَمُ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهِ اللّهُ عَلَيْكُمْ إِلّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُواْ أَتُحَدِثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ إِمَنُواْ قَالُواْ مَامَنًا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُواْ أَتُحَدِثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ إِلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ إِلَى اللّهُ عَلَيْكُمْ إِلِي اللّهُ عَلَيْكُمْ اللّهُ اللّهُمُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

فَذَكَرَ في الآيةِ أَنَّ فَريقاً مِن أَسْلافِ اليهودِ ـ وهم الأحبارُ ـ كانوا يَسْمَعونَ التَّوراةَ ويُؤوِّلونها تأويلاً فاسداً حسبَ أغراضِهم ، بلْ كانوا يُحرِّفونها بِتبديلِ كلام من تلقائِهم ، كما فَعلوا ذلكَ في نَعْتِه عَلَيْ ، فإنَّهُ رويَ يُحرِّفونها بِتبديلِ كلام من تلقائِهم ، كما فَعلوا ذلكَ في نَعْتِه عَلَيْ ، فإنَّهُ رويَ أَنَّهُ مِنْ صِفاتِهِ فيها أَنَّهُ أبيضُ رَبْعَةٌ ، فَغَيَّروهُ بِأَسْمَرَ طويلٍ ، وَغَيَّروا آيةَ الرَّجمِ بِالتَسخيم وَتَسْويدِ الوجهِ ، كما في البخاريِّ (٣).

⁽١) قوله _ سبحانه _: ﴿ لِيَشْتُرُوا بِهِ مِنْمَنَّا قِلِي اللَّهُ ﴿ ساقط من المخطوط.

⁽٢) البقرة: (٧٥ ـ ٧٩).

⁽۳) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب التوحيد _ باب ما يجوز من تفسير التوراة _ (7.7) . (۸ / ۲۱۳ / ۲۱۳) الآية: (7.1) .

﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ فريقٌ.

﴿ أُمِيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِنْبَ ﴾ إلَّا بِالدَّعاوى الكاذبةِ ، والمرادُ بِهِم جَهَلَةٌ مُقَلِّدَةٌ ، لا إدراكَ لَهُمْ.

وَتَمامُ الكلامِ في هذا المَقامِ يُطلَبُ مِنَ التَّفسيرِ.

والمقصودُ أنَّ تَحريفَ الكَلِمِ ، واتِّباعَ الهَوى ، والقولَ على اللهِ مِن غَيرِ عِلْم مِنْ خِصالِ الجاهليَّةِ.

وَأَنتَ تَعلمُ حَالَ أَحِبَارِ السُّوءِ اليومَ والرُّهبَانِ الذينَ يقولُونَ على اللهِ ما لا يُعْلَمُ قد تَجَاوَزُوا الحَدَّ في اتِّبَاعِ الهَوى وَتَأُويلِ النُّصوصِ وما أشبهَ ذلكَ مِمَّا يَسْتَحْيي منهُ الإسلامُ ، والأمرُ للهِ.

الثانية والسبعون

زَعْمُهُمْ أَنَّهُم أُولياءُ اللهِ مِن دونِ النَّاسِ.

دليلُ هذهِ المسألةِ قولُه ـ تعالى ـ في سورةِ «الجُمُعَة»: ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا ﴾ (١) ، أيْ: تَهَوَّدُوا ، أيْ: صاروا يَهوداً.

﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوَلِيكَا مُ لِلَّهِ ﴾ ، أي: أحِبَّاءُ لَه _ سبحانه _ ، وَلَمْ يُضِفْ ﴿ أَوْلِيكَا هُ ﴾ إِنَّهُ وَلَيْكَا مُ اللَّهِ ﴾ . أي: أحِبَّاءُ لَه _ سبحانه _ : ﴿ أَلَا إِنْ أَوْلِيكَا مَ اللَّهِ ﴾ (٢) ؛ لِيُؤْذِنَ بالفَرْقِ بَيْنَ مُدَّعي الوَلايةِ وَمَنْ يَخُصُّهُ بِها .

﴿ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ أيْ: مُتُجاوِزينَ عنِ النَّاسِ.

﴿ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ ﴾ ، أيْ: فَتَمَنُّوا مِنَ اللهِ أَنْ يُميتكُم وَيَنْقُلَكم مِن دار البَلِيَّةِ إلى مَحَلِّ الكَرامةِ.

﴿ إِن كُنْتُمْ صَلِاقِينَ ﴾ في زَعْمِكُم ، واثقينَ بأنَّه حَقٌ ، فَتَمَنَّوا الموتَ ؛ فَإِنَّه مَنْ أَيْقُ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّصَ إليها مِن هذه الدارِ التي هي قُرَارَةُ الأَنْكاد (٣) والأكدارِ.

وَأُمِر ﷺ أَنْ يقولَ لَهُم ذٰلك إظهاراً لِكَذِبِهِم ، فَإِنَّهم كانوا يقولون: ﴿ فَعَنْ أَبْنَكُوا اللهِ وَأَحِبَّتُوهُم ﴾ (١) ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ الآخرةَ لَهُمْ عند اللهِ خالصةً ،

⁽١) الجمعة: (٦).

⁽۲) يونس: (۲۲).

⁽٣) في المطبوع «الإنكار».

⁽٤) المائدة: (١٨).

ويقولونَ: ﴿ لَن يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ﴾؛ كما أخبرَ _ تعالى _ عن الكتابِيِّين في كتابه ، فقال _ جل شأنه _: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارُوا تَهْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارُوا تَهْ يَدْخُلُ الْجَنَّةُ مِلْدِقِينَ ﴾ هُودًا أَوْ نَصَارُوا بُرَهَانَكُمُ إِن كُنتُهُ صَدِقِينَ ﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمُ وَجْهَةُ لِلّهِ وَهُو مُحْسِنٌ فَلَهُ وَ أَجُرُهُ عِندَ رَيِّهِ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ ﴾ (١).

وَرويَ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ كَتَبَتْ يَهُودُ المدينةِ ليهُودِ خَيْبَرَ: إن اتَّبَعْتُم محمَّداً أَطَعْناهُ ، وإنْ خالَفْتُمُوه خالَفْناه ، فقالوا: نحنُ أبناءُ خليلِ الرحمن ، ومنا عزيرٌ ابنُ اللهِ والأنبياءُ ، ومتى كانتِ النُّبُوَّةُ في العَرَب؟! نحنُ أحَقُ بها مِن محمَّدٍ ، ولا سَبيلَ إلى اتباعِهِ ، فَنَزَلَتْ: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوَا ﴾ الآية (٢).

﴿ وَلَا يَنَمَنَّوْنَهُۥ أَبَدًا ﴾: إخبارٌ بحالِهم المستقبَلِ ، وهو عدمُ تمنِّيهم الموتَ ، وذلك خاصٌّ بأولئكَ المخاطبينَ.

وَرُويَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لهم: «والَّذي نفسي بيدِهِ لا يقولُها أَحَدُّ مِنْهُم اللَّا غَصَّ بريقِهِ» (٣) ، فَلَمْ يَتَمَنَّهُ أُحدُّ مِنْهُم ، وما ذلك إلَّا لأنَّهُم كانوا موقِنِينَ بصدقِهِ ﷺ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُم لُو تَمَنَّوا لَمَاتُوا مِن ساعتِهُم ، وَلَحِقَهُم الوعيدُ ، وهذه إحدى المُعجزات.

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، أي: بسبِبه ، كَأَنَّهُ قيلَ: انْتَفَى تَمَنِّيهم بِسببِ ما قَدَّمتْ ، والمُرادُ بما قَدَّمتْهُ أَيْديهم: الكُفْرُ والمعاصي الموجِبةُ لدخولِ

⁽١) البقرة: (١١١ ـ ١١٢).

⁽٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٦٧) ولم يعزه.

⁽٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٤) ، وأخرجه البخاري في «صحيحه» ، ومسلم في «صحيحه» عن ابن عباس بلفظ: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار».

النَّارِ ، وَلَمَّا كانت اليدُ مِن بين جوارحِ الإِنسانِ مَناطَ عامَّةِ أفعالِه ، عَبَّرَ بها تارةً عن النَّفسِ وأخرى عن القُدرةِ .

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ الطَّالِمِينَ ﴾ ، أي: بِهِمْ ، وإيثارُ الإظهار على الإضمارِ لِذَمِّهِمْ والتسجيلِ عليهم بِأنَّهم ظالِمونَ في كُلِّ ما يأتونَ وَيَذَرونَ مِنَ الأمورِ التي مِن جُمْلَتِها ادِّعاءُ ما هم عنه بِمَعْزِلٍ ، أيْ: واللهُ عليمٌ بما صَدَرَ منهم من فُنونِ الظُّلم والمَعاصي ، وَبِما سَيكونُ مِنهم ، فيجازيْهم على ذلكَ.

﴿ قُلَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ ﴾ وَلا تَجْسُرونَ عَلَى أَنْ تَمَنَّوْهُ مَخافَةَ أَنْ تُوْخَذُوا بِوَبالِ أَفْعالِكُمْ.

﴿ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۚ أَلْبَتَّةَ ، مِن غيرِ صارِفٍ يَلْويهِ ، وَلا عاطِفٍ يَثْنيهِ .

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَلِمِ ٱلْعَيْبِ وَٱلشَّهَدَةِ ﴾ الذي لا تَخفى عَلَيه خافيةٌ.

﴿ فَيُنَيِّئُكُمْ بِمَا كُنَّمُ تَعْمَلُونَ ﴾ مِنَ الكُفْرِ وَالمعاصي بِأَنْ يُجازِيكم بها .

وهذا دَيْدَنُ الزَّائغينَ، وشَأْنُ الملحِدينَ ، كما قالَ ـ تعالى ـ عَنِ اليَهودِ: ﴿ فَعَنْ أَبْنَكُوا اللَّهِ وَأَحِبَّكُو أُو اللَّهُ عَنْ أَنْنَكُوا اللَّهِ وَأَحِبَّكُو أُو اللَّهُ عَنْ أَنْنَكُ بَشَرٌ مِّمَّنَ خَلَقً ﴾ (١).

وَقَدْ وَرِثَ هذهِ الخصلةَ كَثيرٌ مِمَّن يَنْتَمي إلى المِلَّةِ الإسلاميَّةِ ، بَلْ كُلُّ مِنَ الفِرَقِ يقول (٢): نحنُ أُولِياءُ اللهِ ، مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال في حديثِ الفِرَقِ في بيانِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: «وهُمْ ما أنا عليهِ وأصْحابي»(٣).

⁽١) المائدة: (١٨).

⁽Y) في المطبوع: «من يقول».

⁽٣) سبق تخريجه.

الثالثة والسبعون

دَعْواهم مَحَبَّةَ اللهِ مَعَ تَركِ شَرْعِهِ ، فَطالَبَهُمْ - سُبحانَهُ - بِقولِهِ في سورةِ «آل عمرانَ» : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَبِعُونِي يُحْبِبَكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمُ وَاللَّهُ عَمُورُ رَجِيبُكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمُ وَاللَّهُ عَمُورُ رَجِيبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمُ وَاللَّهُ عَمُورُ رَجِيبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمُ وَاللَّهُ عَمُورُ رَجِيبُهُ ﴿ (١) .

قال الحسنُ (٢) وابنُ جُرَيْجٍ (٣): "زَعَمَ أقوامٌ على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُم يُحِبُّونَ اللهَ ، فقالوا: يا محمَّدُ! إِنَّا نُحِبُّ ربَّنا ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تعالى ـ هذه الآيةَ».

وَرَوى الضَّحاكُ عنِ ابنِ عبَّاس قال: "وَقَفَ النَّبيُّ عَلَيْ على قريشٍ في المسجدِ الحرام، وقد نَصَبوا أصنامَهم، وَعَلَقوا عَلَيها بَيْضَ النَّعام، وَجَعَلوا في آذانِها الشُّنوفَ (٤)، وَهُمْ يَسجدونَ لها، فقال: "يا معشرَ قريش، لقد خالَفْتُم مِلَّةَ أَبِيكِم إبْراهيمَ وإسْماعيلَ، ولقدْ كانا على الإسلامِ»، فقالَتْ قُريشٌ: يا محمَّدُ! إِنَّما نَعبدُ هذه حُبّاً للهِ؛ لِتقرِّبَنا إلى اللهِ

⁽١) آل عمران: (٣١).

⁽۲) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢).

⁽٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٧٧) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

⁽٤) جاء في حاشية المخطوط: «الشنوف _ محركة بالضم _: القرط الأعلى ، أو معلاق في قوف الأذن ، أو ما علق في أعلاها. وأما ما علق في أسفلها فقرط ، جمعه شنوف».

زُلْفي ، فأنْزَلَ اللهُ _ تَعالى _: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُعِبُّونَ ٱللَّهَ . . ﴾ إلخ (١) .

وفي رواية أبي صالح أنَّ اليهودَ لَمَّا قالوا: ﴿ فَعَنُ ٱبْنَكُو ٱللَّهِ وَأَحِبَتُو مُ مُ اللَّهِ وَأَحِبَتُو مُ (٢) أَنزلَ اللهُ هذه الآية ، فَلَمَّا نَزلَتْ عَرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ على اليهودِ ، فَأَبُوا أَنْ يَقْتَلُوها (٣).

وَرَى محمَّدُ بنُ إسحاقَ عن محمَّدِ بن جَعفر بنِ الزُّبَيرِ قال: «نَزَلَت في نَصارى نَجرانَ ، وذلكَ أَنَّهم قالوا: إِنَّما نُعَظِّمُ المسيحَ ، نَعْبُدُهُ حُبّاً للهِ ، وَتَعْظيماً لَهُ ، فأنزلَ اللهُ ـ تعالى ـ هذهِ الآيةَ رَدّاً عَلَيْهم »(٤).

وَبِالجُمْلَةِ: مَنْ تَلَبَّسَ بِالمعاصِي لا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَدَّعيَ مَحَبَّةَ اللهِ، وَمَا أَحْسَنَ قُولَ القائل:

تَعْصي الإله وأنتَ تُظْهِرُ حُبّه فلذا لَعَمْري في القِياسِ بَديعُ لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأطعْتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ (٥)

⁽٨) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٩٣) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٧٣).

⁽٢) المائدة: (١٨).

⁽٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٧٣).

⁽٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣) بنحوه.

⁽٥) هذان البيتان ينسبانُ إلى الإمام الشافعي ، وهما في «ديوانه» (ص ٥٨).

الرابعة والسبعون

تمَنِّيهم على اللهِ _ تعالى _ الأمانيَّ الكاذبة .

قال - تعالى - في سورة «آل عمران»: ﴿ أَلَرْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْحَاتِ بِيُعُونَ إِلَى اللَّهِ لِيَعْكُم بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَىٰ فَرِيقُ مِنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ لِيَعْكُم بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَىٰ فَرِيقُ مِنْهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ فَا اللَّهُ الللللَّاللَّاللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

أخرج ابنُ إسحاقَ وجماعةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «دَخَلَ رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم بيتَ المِدْراسِ (٢) على جماعةٍ من يهودَ ، فدعاهم إلى الله _ تَعالى _ ، فقال النُّعمانُ بنُ عمرٍ و والحارثُ بنُ زيدٍ: على أيِّ دينٍ أنت يا محمَّدُ؟ قال: «على مِلَّةِ إبراهيمَ ودِينهِ» ، قالا: فإنَّ إبراهيمَ كان يهودياً ، فقال لهما رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم: «فَهَلُمَّا إلى التَّوارةِ ، فهي بيننا وبينكُم ، فأيُنا (٣) عليه » ، فأنزل الله _ تعالى _ هذه الآية)(٤).

وفي البَحْرِ: "زَني رجلٌ مِنَ اليهودِ بامرأةٍ ، ولم يكن بعدُ في دِيننا

⁽١) آل عمران: (٢٤).

 ⁽۲) بيت المدراس: اليت الذي يدرس فيه اليهود.
 انظر: «النهاية في غريب الحديث» (۲/ ۱۱۳) «لسان العرب» مادة درس (٦/ ١٨٠).

⁽٣) في «تفسير ابن أبي حاتم» «فأبيا عليه».

⁽٤) أخرجه ابن إسحاق ، وابن جرير في «تفسيره» (٢١٧/٣٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٦٦) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/٤١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

الرَّجمُ ، فتَحاكَموا إلى رسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم؛ تَخْفيفاً على النَّانِيْنِ لِشَرَفِهما ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم: "إنَّما أَحْكمُ النَّانِيْنِ لِشَرَفِهما ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم: "إنَّما أَحْكمُ بِكِتابِكُم» ، فَأَنْكَرَوا الرَّجمَ ، فَجِيءَ بِالتَّوراةِ ، فَوَضَعَ حَبُرُهُمُ (١) ابنُ صُوريا يَدَهُ على آيةِ الرَّجم ، فقال عبدُ اللهِ بنُ سَلام: جاوزَها يا رسولَ اللهِ ، فَأَطْهَرَها ، فَرُجِما ، فَعَضِبَتِ اليهودُ ، فَنَزَلَتْ »(١).

ومَعنى قولِه: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَنَ تَمَتَكَنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتُ ، أَيْ: المذكورُ مِنَ التَّوَلِّي والإعراضِ حاصِلٌ لَهُمْ بِسَبَبِ هذا القولِ الذي رَسَّخَ اعتقادَهم بِه (٣)، وَهَوَّنوا بِهِ الخُطوبَ ، وَلَمْ يُبالوا معهُ بارْتِكابِ المَعاصي والذُّنوبِ.

والمُرادُ بالأيَّام المَعدوادتِ: أيَّامُ عِبادتِهم العِجْلَ.

﴿ وَغَمَّهُمُ فِي دِينِهِم مَّاكَانُواْ يَفْتَرُونَ ، أَيْ: غَرَّهُم افتراؤُهم وَكَذِبُهُم ، أَوْ مِن قولِهِم : أَوْ الذي كانوا يَفْتَرونَه مِن قَولِهِم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ ، أَوْ مِن قولِهِم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ ، أَوْ مِن قولِهِم : ﴿ فَخَنُ ٱبْنَكُوا ٱللّهِ وَأَحِبَتُو أُو ﴾ ، أَوْ مِمَّا يَشْمَلُ ذلكَ ونحوه مِن قَولهم : إنَّ آباءَنا الأنبياءَ يَشفعونَ لنا ، وإنَّ الله َ تعالى _ وَعَدَ يَعقوبَ أَنْ لا يُعَذِّبَ أَبناءَه إلاَّ تَحَلَّقُ القَسَمِ (٤) ، فَرَدَّ عليهم _ سبحانه _ بقوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعَنَاهُمُ . . . ﴾ إلخ .

رُويَ أَنَّ أَوَّلَ رايةٍ تُرفَعُ لأهلِ المَوقِفِ مِن راياتِ الكُفَّارِ رايةُ اليهودِ ،

⁽١) في المطبوع «جرهم».

⁽٢) «البحر المحيط» (٢/ ٤١٦) ، ونسبه أبو حيان إلى الكلبي ، وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٣٦٦) ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦٦) ، ونسباه إلى ابن عباس.

⁽٣) في المخطوط «له».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن جرير» (٣/ ٢١٩).

فَيَفْضَحُهُمُ اللهُ - تعالى - على رُؤوس الأشهادِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِم إلى النَّارِ (١).

وهكذا رَأَيْنَا كَثيراً مِن أهلِ زَمانِنا يَفعلونَ ما يفعلونَ مِن المُنْكَراتِ ، اعتماداً على الشَّفاعةِ ، أو على عُلُوِّ الحَسَبِ وَشَرَفِ النَّسَبِ ، واللهُ المُستعانُ.

⁽١) «روح المعانى» (٣/ ١١١ _ ١١٢).

 ⁽٢) من قوله _ تعالى : ﴿ وَالَّذِيكَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخر الآية ليس في المطبوع.

⁽٣) البقرة: (٨٠ ٨٠).

الخامسة والسبعون

اتِّخاذُ قُبورِ أنبيائِهم وصالِحيهِم مساجِدَ.

هٰذه المَسْأَلةُ مِن خِصالِ الكتابِيِّينَ أيَّامَ جاهليَّتِهم.

وفي ذلك ورد الحديثُ الصَّحيحُ: «لَعَن اللهُ اليهودَ والنَّصارى ، اتَّخَذوا قُبُورَ أنبيائِهم مَساجدَ».

وفي الصَّحيحينِ عن أبي هريرة أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «قاتَلَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى ، اتَّخذوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجدَ»(٢).

وفي لفظٍ لِمُسلمٍ: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أُنْبِيائِهِم مَساجِدَ».

وفي الصَّحيحين عن عائشةَ وابنِ عبَّاسٍ، قال: «لَمَّا نُزِلَ بِرسولِ اللهِ صلى اللهِ على على عليه وسلم، طَفِقَ يَطْرَحُ خَميْصَةً على وَجهِهِ، فإذا اغْتَمَّ بها كَشَفَها عن وجهِهِ، فقال: _ وهو كذلك _: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى،

⁽۱) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الجنائز _ باب ما جاء في قبر النبي على المساجد ومواضع الصلاة _ باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد _ (۱/ ۳۷۷) ح ٥٣٠ .

⁽۲) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الصلاة _ باب _ (۱/ ۱۱۲ _ ۱۱۳) ، ومسلم في «صحيحه» _ كتاب المساجد ومواضع الصلاة _ باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . (۱/ ۳۷۲ _ ۳۷۷) ح . ۵۳۰ .

اتَّخَذوا قبورَ أنبيائِهم مَسَاجِدَ» ، يُحَذِّرُ ما صَنَعوا»(١).

وفي الصَّحيحين _ أيضاً _ عن عائشة أنَّ أمَّ سَلَمَة وأمَّ حَبيبة ذَكَرَتا لِرَسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رَأَيْنَها بأرضِ الحَبَشَةِ يقال لها: «ماريَة» ، وَذَكَرَتا مِنْ حُسْنِها وتصاويرَ فيها ، فقال رسولُ الله صلى الله تعالى وسلم: «أولئكِ قومٌ إذا ماتَ فيهم العبدُ الصَّالحُ أو الرَّجلُ الصالحُ بَنوا على قبرِهِ مسجداً ، وَصَوَّروا فيه تلك الصُّورَ ، أولئكِ شرارُ الخَلْقِ عند الله» (٢).

وعن ابنِ عبَّاسِ قال: «لعَنَ رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم زائراتِ القبورِ والمُتَّخِذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ»، رواه أهل السُّننِ الأربعة (٣).

⁽۱) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الصلاة ـ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ـ (۱/ ۱۱۰ ـ ۱۱۱) وباب الصلاة في البيعة ـ (۱/ ۱۱۲) ، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . (۱/ ۳۷۷) ح ٥٣٠ .

⁽۲) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الصلاة ـ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية . . . (۱/ ۱۱۰ ـ ۱۱۱) ، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهى عن بناء المساجد على القبور . . . (۱/ ۳۷۷) ح ۵۳۰ .

⁽٣) أخرجه أبو داود في «سننه» ـ كتاب الجنائز ـ باب في زيارة النساء القبور ـ (٣/ ٥٥٨) ح ٢٣٣٦ ، والنسائي في «السنن الكبرى» ـ كتاب الجنائز ـ باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ـ (٢/ ٢٥٧) ح ٢١٧٠ ، وفي المجتبى ـ كتاب الجنائز ـ باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ـ (٤/ ٩٥ - ٩٦) ، والترمذي في «جامعه» ـ أبواب الصلوات ـ باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ـ (٢/ ١٣٦ - ١٣٧٧) ح ٣٣٠ ، والطيالسي في «مسنده» (ص ٣٥٧) ح ٣٧٣ ، والطيالسي في «مسنده» (ص ٣٥٧) ح ٣٧٣٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجنائز ـ باب من كره زيارة القبور ـ (٣/ ٤٤٣) ، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧) ، وابن حبان في «صحيحه» وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٤٤ ، ٢٨٧ ، والحاراني في «المستدرك» ـ كتاب المعجم الكبير» (١/ ١٤٨) > ٥ الحاكم في «المستدرك» ـ كتاب =

فهذا التَّحذيرُ منه ، واللعنُ عن مُشابهةِ أهلِ الكتابِ في بناءِ المسجِدِ على قبرِ الرَّجلِ الصَّالحِ صريحٌ في النَّهي عنِ المشابهةِ .

وفي هذا دليلٌ على الحذرِ عن جِنسِ أعمالِهِم ، حيثُ لا يؤمنُ في سائرِ أعمالِهِم أَنْ يكونَ من هذا الجنسِ.

ثُمَّ من المعلومِ ما قد ابْتُلِيَ بِه كثيرٌ من هذه الأُمَّةِ من بناءِ القبورِ مساجدَ ، واتِّخاذِ القبور مساجدَ بلا بناءِ ، وَكِلا الأمرينِ مُحَرَّمٌ ، ملعونٌ فاعلُه بالمستفيضِ من السُّنَّةِ ، وليس هذا موضعَ استقصاءِ ما في ذلكَ من سائرِ الأحاديثِ والآثارِ ، ولهذا كان السَّلفُ يُبالِغونَ في المنع.



الجنائز _ (١/ ٣٧٤) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» _ كتاب الجنائز _ باب ما ورد في نهي النساء عن زيارة القبور _ (٧٨/٤) ، والخطيب في «تاريخ بغداد»
 (٨٠ ٧٠ _ ٧١) ، والبغوي في «شرح السنة» _ كتاب الصلاة _ باب كراهية أن يتخذ القبر مسجداً _ (٤١٦ ـ ٤١٦) ح ٥١٠ .

وقد حسن هذا الحديث الترمذي في «جامعه» ، والبغوي ، والسيوطي في «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» (ص ١١٣) وأحمد شاكر في «تعليقه على سنن الترمذي» ، وصححه في «شرح المسند» (١/٣٢٣).

وقال الحاكم: «أبو صالح [أحد رجال الإسناد] هذا ليس بالسمان المحتج به ، إنما هو باذان ، ولم يحتج به الشيخان ، لكنه حديث متداول بين الأئمة ، ووجدت له متابعاً من حديث سفيان الثوري في متن الحديث ، فخرجته».

وقال الذهبي في «تلخيصه»: «أبو صالح هو باذان ، ولم يحتجا به».

السادسة والسبعون

اتخاذُ آثارِ أنبِيائِهم مساجدً.

كَما وَرَدَ عَن عَمَرَ - رضي الله عنه - فإنَّ هذه المسألة - أيضاً - مِن بِدَع جاهِليَّةِ الكِتابيِّينَ ، كانوا يَتَّخِذونَ آثارَ أنبيائِهم مَساجِدَ ، فَوَرِثَهُمُ الجاهِلونَ مِن هذه الأُمَّةِ ، فَتَراهم يَبْنونَ على موضِع اخْتَفى بِهِ النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، أوْ وَصَلَ قَدَمُهُ المُبارَكُ إليه ، أو تَعَبَّدَ فيه ، وَهذا لَيْسَ مما يُحْمَدُ في الشَّريعةِ ؛ لِجَرِّهِ إلى الغُلُوِّ.

وفي العِراقِ مواضعُ كثيرةٌ بَنوا عليها مَبانِيَ ، كالمقام الذي زَعَموا أنَّ الشَّيخَ الكَيلانيَّ تَعَبَّدَ فيه ، وكَأْثَرِ الكَفِّ الَّذي زَعَمَ الشِّيعَةُ أَنَّه أَثَرُ كَفِّ الإمامِ عَليٍّ لَمَّا وَضَعَه على الصَّخْرةِ فَأَثَّرُ فيها ، فَبَنَوا عليها مَسجداً ، وكَعِدَّةِ أماكِنَ زَعَموا أنَّ الخَضِرَ رُؤيَ فيها ، ولا أصل لَهُ ، إلى غيرِ ذٰلكَ مِمَّا لا يَسْتَوْعِبُهُ المَقامُ.

فَيْنَبغي لِمَنْ يَدَّعي الإِسلامَ أَنْ يَتَجَنَّبَها ، وَيَنْهى عن حُضورِها ، وإنْ رُمِيَ بالإِنكارِ ، وَعَداوةِ الأشْرارِ ، وَكَيْدِ المارقينَ الفُجَّارِ.

وفي المسألةِ تفصيلٌ لا بأسَ بِذِكْرِهِ.

قال شيخُ الإسلام: «فأمَّا^(۱) مَقاماتُ الأنبياءِ والصَّالحينَ ـ وهي الأمكنةُ التي قاموا فيها أوْ أقاموا ، أو عَبَدوا اللهَ ـ سُبحانه ـ لَكنَّهم لمْ يَتَّخذوها مساجِدَ ـ فالذي بَلَغني في ذلك قَولانِ عن العلماء مشهوران:

⁽١) في المخطوط والمطبوع «أما» وما أثبته من الاقتضاء.

أَحَدُهُما: النَّهِيُ عن ذلكَ ، وكراهتُه ، وأنَّه لا يُسْتَحَبُّ قصدُ بُقْعَةٍ لِلعِبادةِ ، إلَّا أَنْ يكونَ قَصْدُها لِلعبادةِ مِمَّا جاءَ به الشَّرعُ ، مِثْلُ أَنْ يكونَ النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم قَصَدَها لِلعبادةِ ، كَما قَصَدَ الصَّلاةَ في مَقامِ إبراهيمَ ، وكما كان يَتَحَرَّى الصَّلاةَ عند الإسطُوانةِ (١١) ، وكما تُقْصَدُ المساجِدُ للِصَّلاةِ ، ويُقْصَدُ الصَّفُ الأوَّلُ ، وَنَحْو ذلكَ .

والقولُ الثَّاني: أنَّه لا بأسَ باليَسيرِ مِن ذلكَ ، كَما نُقِلَ عن ابنِ عُمَرَ أنَّه كان يَتَحَرَّى قَصْدَ المواضِع التي سَلَكَها النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإنْ كانَ النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم [قد] (٢) سَلَكَهَا اتَّفاقاً لا قَصْداً.

وَسُئِلَ الإِمامُ أحمدُ عن الرَّجُلِ يأتي هذه المَشاهِدَ ، وَيَذْهَبُ إليها ، تَرى ذلكَ (٣) قالَ: أمَّا على حَديثِ ابنِ أمِّ مَكْتومِ أنَّه سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم أنْ يُصَلِّي في بيتهِ حتى يَتَّخِذَ ذلك مُصَلَّى (٤) ، وعلى ما كان يَفْعَلُهُ ابنُ عُمَرَ ، يتبعُ مواضعَ النَّبِيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم وأثرَه ، فليسَ بذلكَ بَأْسٌ أَنْ يأتي الرَّجُلُ المشاهدَ ، إلا أنَّ النَّاسَ قد أَفْرَطوا في هذا جدًا ، وأكْثروا فيه.

وَكَذَلْكَ نَقَلَ عنه أحمدُ بنُ القاسمِ أنه سُئِلَ عن الرَّجُلِ يأتي هذه المشاهِد

⁽١) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة إلى الإسطوانة ـ ـ (١/ ١٢٧) من حديث سلمة بن الأكوع .

⁽٢) الزيادة من الاقتضاء.

⁽٣) الذي في الاقتضاء: «قال سندي الخواتيمي: سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتي هذه المشاهد ، ويذهب إليها ، ترى ذلك؟».

⁽٤) لم أجده من حديث ابن أم مكتوم ، وإنما وجدته من حديث عتبان بن مالك عند البخاري في «صحيحه» _ كتاب الصلاة _ باب المساجد في البيوت _(١٠٩/١) ، ومسلم _ كتاب المساجد ومواضع الصلاة _ باب الرخصة عن التخلف عن الجماعة بعذر _(١/٥٥١).

التي بالمدينة وغيرها يذهبُ إليها؟ فقالَ: أمَّا علىٰ حديثِ ابْنِ أمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم أنْ يَأتيه فيُصَلِّي في بيتهِ ، حَتَّى يَتَّخِذَه مَسجداً ، وعَلى ما كان يَفعَلُ ابنُ عُمَر ، كان يَتتبَّعُ مواضعَ سَيْرِ النَّبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، حَتَّى إِنَّهُ رُؤيَ يَصُبُ (١) في موضع ماءً ، فَسُئِلَ عن ذلكَ ، فقالَ: «رأيتُ النَّبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم يَصُبُ ههنا (٢) ماءً (٣) ، قال: أمَّا على هذا فلا بأسَ. قال: وَرَخَّصَ فيه ، ثُمَّ قال: وَلَكِنْ قَد أَفْرِطَ النَّاسُ جِداً ، وَأَكْثَرُوا في هذا المعنى . فَذَكَرَ قَبرَ الحُسينِ وما يَفعلُ النَّاسُ عندَه . رواهما الخلاَّلُ في «كتابِ الأدَب».

فقد فَصَّلَ أبو عبدِ اللهِ في المَشاهِدِ ـ وهي الأمكنةُ التي فيه آثارُ الأنبياءِ والصَّالحينَ من غيرِ أَنْ تكونَ مساجدَ لهم كمواضعَ بالمدينةِ ـ بَيْنَ القليلِ الذي لا يَتَّخِذُونَه عيداً ، وَالكَثيرِ (٤) الذي يَتَّخذُونَه عيداً كما تَقَدَّمَ.

وهذا التَّفصيلُ جَمَعَ فيه بَيْنَ الآثارِ وأقوالِ الصَّحابةِ:

فإنَّه قد رَوَى البُخاريُّ في صحيحه عن موسى بنِ عقبةَ قال: «رأيتُ سالمَ (٥) بنَ عبدِ اللهِ يَتَحَرَّى أماكِنَ مِن الطَّريقِ ، وَيُصلِّي فيها ، وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَباهُ كان يُصَلِّي فيها ، وَأَنَّه رَأَى النَّبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم يُصَلي في تلكَ الأَمْكِنَةِ» (١).

⁽١) في «الاقتضاء» «حتى رئى أنه يصب».

⁽٢) في المخطوط والمطبوع «هنا» ، وما أثبته من «الاقتضاء».

⁽٣) ذكر هذا الأثر ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٢٣٧) ، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٣).

⁽٤) في المطبوع «أو الكثير» ، وما أثبته هو الموافق لما في «الاقتضاء».

⁽٥) في المطبوع «سالماً».

⁽٦) «صحيح البخاري» - كتاب الصلاة - باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي على الله (١/ ٨٩).

فهذا كَما رَخُّصَ الإمامُ أحمدُ.

وأمّا كراهَتُهُ (۱) ، فروى سعيدُ بن منصورٍ في سُننِهِ قال: حَدَّثنا أبو مُعاوية قال: حَدَّثنا الأعْمشُ عن المَعْرورِ بنِ سُويْدٍ عن عُمَرَ قال: خَرَجْنا مَعَهُ في حَجَّة حَجَّها ، فَقَرَأ بِنا في الفجرِ بـ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصِّحَبِ الْفِيلِ ﴾ (٢) و ﴿ لِإِيلَفِ قُرَيْشٍ ﴾ (٣) في الثّانيةِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ حَجَّتِهِ بِأَصِّحَبِ الْفِيلِ ﴾ (٢) و ﴿ لِإِيلَفِ قُرَيْشٍ ﴾ (٣) في الثّانيةِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ حَجَّتِهِ رَأَى النّاسَ ابْتَدَروا المَسْجِدَ ، فقالَ: ما هذا؟ فقالوا: مَسْجِدٌ صَلّى رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ، فقالَ: «هٰكذا هَلَكَ أهلُ الكتابِ قَبلَكم ، اتَّخذوا آثارَ أنبيائِهم بِيعاً ، مَنْ عَرَضَتْ لَهُ مِنْكُمُ الصَّلاةُ فيه فَلْيُصَلِّ ، ومن لم تعرض له الصلاة فَلْيَمْضِ (٤) (٥) (٠)

فَقد كَرِهَ عُمرُ اتِّخاذَ مُصلَّى النَّبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم عِيداً ، وَبَيَّنَ أَنَّ أَهلَ الكتابِ إِنَّما هَلَكوا بِمثلِ هذا ، كانوا يَتَّبعونَ آثارَ أُنبيائِهم ، وَيَتَّخِذونها كنائسَ وَبِيَعاً.

وَرَوَى محمَّدُ بنُ وضَّاحِ وغيرُه: «أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ أمَرَ بِقطعِ الشَّجَرَةِ التي بُويعَ تحتَها النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنَّ النَّاسَ

⁽١) في «الاقتضاء»: «وأما ما كرهه».

⁽٢) الفيل: (١).

⁽٣) قريش: (١).

⁽٤) في «الاقتضاء» «فليمض ولا يتعمدها».

⁽٥) لم أجد هذا الأثر في المطبوع من سنن سعيد بن منصور ، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه _ كتاب الصلاة _ باب الصلاة عند قبر النبي على وإتيانه _(٢/٣٧ _ ٧٧٣) ، وعبد الرزاق في «مصنفه» _ كتاب الصلاة _ باب ما يقرأ في الصبح في السفر _(١/٨١١ _ ١١٩) ح ٢٧٣٤ ، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٤١ _ ٤٢) ، وصحح شيخ الإسلام إسناده في «التوسل والوسيلة» (ص ١٠٢).

كانوا يذهبونَ تحتها ، فخافَ عمرُ الفتنةَ عليهم (١) المراهم (١).

وَمَا ذَكَرَهُ عُمَرُ هو الحَرِيُّ بِالقبولِ ، وهو مذهبُ جُمهورِ الصَّحابةِ ، غيرَ ابنهِ (٣) ، وهو الذي يَجبُ العملُ به ، ويُعَوَّلُ عليه.

⁽۱) رواه ابن سعد في «الطبقات» (۲/ ۱۰۰) ، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص ٤٢ ـ ٤٣).

⁽۲) «اقتضاء الصراط المستقيم» (۲/ ۷٤۲ _ ۷٤۲).

⁽٣) الظاهر من حال ابن عمر _ رضي الله تعالى عنهما _ أنه إنما أراد بفعله ذلك الاقتداء لا التبرك ، بدليل ما ذكره أهل العلم من تشدده في الاقتداء به على المعلى من تشدده في الاقتداء به على المعلى من العلى العل

المسألة(١) السابعة والسبعون

اتِّخاذُ السُّرُجِ على القُبورِ.

دَليلُ حُرْمَةِ ذلكَ ما وردَ عن رسولِ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم مِن الحديثِ الذي سَبَقَ ذِكْرُهُ مِن لَعْنِ مَن يَفْعَلُ ذلكَ.

وَلَيْتَكَ رَأَيْتَ مَا يُوقَدُ فِي تُرَبِ أَئِمَّةِ أَهْلِ البيتِ ونحوِهَا مِن الشُّموعِ ، ولا سِيَّمَا في لَيالي رَمَضانَ والليالي المُبارَكَةِ ، وهم يَحْسَبونَ أَنَّهم يُحْسِنونَ صُنْعاً (٢).

许 米 柒

⁽١) «المسألة» ليست في المطبوع.

⁽٢) ذكره الشيخ محمد رشيد رضا _ رحمه الله تعالى _ في كتابه «السنة والشيعة أو الرافضة والوهابية» أنه رأى من وسائل الإنارة على قبور الروافض _ أذلهم الله وأخزاهم _ ما يكفي لتنوير مدينة عظيمة».

الثامنة والسبعون

اتِّخاذُها أعْياداً(١)

اعْلَمْ أَنَّ العِيدَ اسمٌ لِما يَعودُ مِنَ الاجْتِماعِ العامِّ على وَجْهِ مُعْتادِ عائداً ما تَعودُ السَّنةُ أَوْ يَعودُ الأسبوعُ أو الشَّهرُ أو نَحو ذلك ، فالعيد يَجمعُ أُموراً:

منها: يومٌ عائدٌ ، كَيوم الفِطْرِ ، وَيَوم الجُمُعَةِ.

ومِنها: اجتِماعٌ فيه.

ومِنها: أعمالٌ تَجمعُ ذلكَ مِنَ العِباداتِ أوِ العاداتِ.

وقد يَخْتَصُّ العيدُ بِمَكانٍ بِعينِه ، وقد يكونُ مُطْلَقاً.

هؤلاءِ مُسْلِمو أهلِ العراقِ ، لِكُلِّ تُربةِ وليٍّ يومٌ مخصوصٌ يجتمعون فيهُ للزِّيارةِ ، كزيارةِ الغَديرِ ، وَمَرَدِّ الرَّأسِ.

ومِنهم من خُصَّ له يومٌ من أيَّامِ الأسبوعِ ، فالجمعةُ لِفلانِ ، والسبت لفلان (٢٠) ، والثَّلاثاءُ لِفُلانِ ، وهكذا.

وَمِن ذلك بعضُ الأَيَّامِ والليالي المُبارَكَةِ ، كَلَيْلَةِ القَدْرِ ، وَأَيَّامِ

⁽۱) انظر بتوسع في هذه المسألة: «اقتضاء الصراط المستقيم» (۲/ ٦١٣) وما بعدها، «إغاثة اللهفان» (۱/ ١٩٠) وما بعدها.

⁽٢) «والسبت لفلان» ساقط من المطبوع.

الأعْيادِ ، وَلَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ ، وَغَيرِ ذلكَ ، كل ذلكَ (١) مِمَّا لَمْ يُنْزِلِ اللهُ بِهِ مِن سُلْطانٍ ، ومن مكايدِ الشيطانِ (٢).

⁽١) «كل ذلك» ساقط من المطبوع.

⁽٢) «ومن مكايد الشيطان» ساقط من المطبوع.

التاسعة والسبعون

الذَّبْحُ عندَ القُبور.

قال اللهُ _ تعالى _: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَعَيْاَى وَمَمَاقِ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ شَّ لَا شَرِيكَ لَلَّهُ وَيِذَ لِكَ أَمِرْتُ وَأَنَا أُوّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

أَمَرَهُ اللهُ - تَعَالَى - أَنْ يُخْبِرَ المُشرِكِينَ الذين يَعبدونَ غيرَ اللهِ ، وَيَذبحونَ لَهُ ، أَيْ: أَنَّه أخلصَ للهِ صلاتَه وذبيحتَه؛ لأنَّ المُشرِكِينَ يَعبدونَ الأصنامَ ويذبحونَ لَها ، فَأَمَرَهُ اللهُ - تَعالَى - بِمُخالَفَتِهِم ، والانحرافِ عمَّا هُم فيه ، والانقيادِ بالقَصْدِ والنَّيَّةِ والعزمِ على الإخلاصِ للهِ - تَعالَى - ، فَمَنَ تَقَرَّبَ لغيرِ اللهِ - تعالَى - يَدفَعَ عنه ضيراً ، أو يَجْلِبَ له خيراً ، تَعظيماً لهُ ، مِن الكُفْرِ الاعتقاديِّ والشِّركِ الذي كان عليه الأوَّلونَ .

وسببُ مشروعيَّةِ التَّسميَّةِ تخصيصُ مِثلِ هذه الأمورِ العِظامِ بالإلهِ الحَقِّ المعبودِ العلاَّم، فإذا قُصِدَ بالذَّبحِ غيرُه، كان أولى بالمنعِ.

وَصَحَّ نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عمَّنِ اسْتَأْذَنَه بالذَّبحِ بِبُوانَة ، وأَنَّه قد نَذَرَ ذلك ، فقال لَه صلى الله تعالى عليه وسلم: «أكانَ فيها صَنَمٌ؟» ، قال: «لا» ، قال: «فَهَلَ كان فيها عِيدٌ مِن أعيادِ المُشرِكِينَ؟» ،

⁽١) الأنعام: (١٦٢ _ ١٦٣).

قال: «لا» ، قال: «فَأُوْفِ بِنذرِكَ». أخرج ذلك أبو داودَ في سُنَنِهِ (١).

وهذا السَّائلُ مُوَحِّدٌ مُقَرِّبٌ للهِ _ سُبحانَه وتَعالى _ وَحْدَه ، لَكِنِ المكان الذي فيه معبودٌ غيرُ اللهِ ، وقد عُدِم ، أو مَحَلُّ لاجْتِماعِهِم يَصْلُحُ مانِعاً ، فَلَمَّا عَلِمَ صلى الله تعالى عليه وسلم أنْ ليسَ هناك شيءٌ مِن ذلك ، أجازَهُ ، وَلَو عَلِمَ شَيئاً مِمَّا سأل عنه ، لَمَنَعَهُ ، صِيانَةً لِحمى التَّوحيدِ ، وَقَطْعاً لذَريعَةِ الشِّركِ.

وَصَحَّ - أيضاً - عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنَّه قال: «دَخَلَ الجَّنَة رَجُلٌ في ذُبابٍ»، ، قالوا: «كيف ذلك رَجُلٌ في ذُبابٍ»، ، قالوا: «كيف ذلك يا رسولَ الله؟!»، قال: «مَرَّ رَجُلانِ على قوم لهم صَنَمٌ لا يُجاوِزُهُ أحدٌ حتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيئاً ، قالوا لَهُ: قَرِّبُ وَلَو ذُبَّاباً ، فَقَرَّبَ ذُباباً ، فَخَلُوا سبيله ، فَدَخَلَ النَّارَ ، وقالوا للآخرِ: قَرِّبْ ، قال: ما كنتُ أقرِّبُ شيئاً لأحَدِ دونَ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - ؛ فَضَربوا عُنُقَهُ ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ»(٢).

فَفِي هذا الحديثِ من الفوائدِ: كُونُ المُقَرِّبِ دخل النَّارَ بالسَّبِ الذي لم يَقْصِدْهُ ، بل فَعَلَه تَخَلُّصاً مِنْ شَرِّهِم ، وَأَنَّـهُ كان مُسْلِماً ، وإلاَّ لَمْ يَقْلُ: دخل النَّـارَ.

⁽۱) كتاب الإيمان والنذور _ باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر _ (۲۰۷/۳) ح ٣٣١٣، والبيهقي في «السنن الكبرى» _ كتاب النذور _ باب من نذر أن ينحر بغيرها [مكة] ليتصدق _ (۱۸/۱۰)، والطبراني في «الكبير» (۲/۷۰) ح ۱۳٤۱، وصححه الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/١٨٠).

⁽٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» _ كتاب الجهاد _ باب ما قالوا في المشركين يدعون المسلمين إلى غير ما ينبغي يجيبونهم أم لا ويكرهون عليه _ (٣٥٨/١٢) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/٣٠١) موقوفاً على سلمان الفارسي ، ولم أجده مرفوعاً ، غير أنه لا يمكن أن يقال بالرأي ، فله حكم الرفع .

وفيه ما يَنبغي الاهتمامُ بِهِ مِن أعمالِ القُلوبِ التي هي المَقصودُ الأعظمُ والرُّكْنُ الأكبرُ .

فَتَأُمَّلُ في ذلكَ ، وانظُرْ إلى فؤادِك في جميع ما قالوه ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ لِما ذَكَرُوهُ ، وانظُر الحَقَّ ، فإنَّ الحَقَّ أَبْلَجُ والباطِلُ لَجْلَجٌ ، فَبِالنَّظَرِ التَّامِّ إلى ما كان عليه المُشرِكون مِن تقريبهم (١) لأوثانِهم ؛ لِتُقَرِّبَهُمْ (٢) إلى الله ؛ لِكُونِهِم شُفعاءَ لهم عند الله ، وشفاعتُهم بسبب أنَّهم رُسُلُ الله أو ملائكةُ الله أو أولياءُ الله ، يتبينُ لك ما عليه النَّاسُ الآن ، واللهُ المستعانُ .

⁽١) في المطبوع: «من تقربهم».

⁽۲) في المطبوع: «لتقريبهم».

الثمانون

التَّبَوُّكُ بَآثارِ المُعَظَّمينَ ، كَدار النَّدوَةِ (١) ، وافتِخارُ مَن كانت تحت يدهِ بذلكَ ، كما قيلَ لحكيم بنِ حِزامٍ: بعتَ مَكْرُمَةَ قريشٍ؟! فقال: «ذهبت (٢) المكارمُ إلاَّ التَّقوى» (٣).

هذه الخَصلةُ قدِ امْتَدَّت عروقُ ضلالِها في أُودِيةِ قُلوبِ جَهَلَةِ المُسلِمينَ ، وزادوا في الغُلُوِّ بِها عَلى ما كانَ عَلَيْهِ جاهِلِيَّةُ العربِ والكِتابِيِّينَ.

ولا بِدْعَ مِن حكيم بن حزام القريشيِّ الأسديِّ إذا ما ردَّ على مَن قال له:

⁽۱) دار الندوة: دار بناها قصي بن كلاب ، وكانت قريش تأتمر فيها ، حيث كانوا يتيامنون بأمره ، «فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون في أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواءً لحربِ قوم من غيرهم إلا في داره ، يعقد لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره ، يشق عليها من درعها ، ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع».

[«]مختصر سيرة ابن إسحاق» لابن هشام (١/ ١٢٥) ، وانظر: «تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) ، «المنمق في أخبار (٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) ، «المنمق في أخبار قريش» لابن حبيب (ص ٣٢ ـ ٣٤) ، «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار (١/ ٣٥٤).

⁽۲) في المخطوط «ذهب».

⁽٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٨٦) ح ٣٠٧٣، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٨٤): «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن».

بِعتَ مَكْرُمَةَ قريشٍ؛ وقد باعها مِن مُعاويَةَ بمائةِ أَلْفِ دِرهَمٍ: «ذهبت المَكارمُ إلاَّ التَّقوى».

كيف لا وقد كان عاقلاً سَرِيّاً ، فاضلاً تَقِيّاً ، سَيِّداً بمالِهِ غَنِيّاً ، أعتَقَ في الجاهِلِيَّةِ مائةَ رَقَبَةٍ ، وَحَمَلَ على مائة بَعِيرٍ ، وحَجَّ في الإسلام ومعه مائة بَدَنَةٍ قد جَلَّلَها بالحَبِرَةِ ، وَكَفَّها عن أعجازِها ، وأهداها ، وَوقَفَ بمائةِ وَصيفٍ بعرفة في أعناقِهِم أطواقُ الفِضَّةِ مَنْقوشٌ فيها: "عتقاءُ اللهِ عن حكيم بن حِزامٍ" ، وأهدَى ألفَ شاةٍ ، وهو الَّذي عاشَ في الجَاهلِيَّةِ سِتِّينَ سَنَةً ، وفي الإسلام ستِّينَ سَنَةً ، وَوُلِدَ في الكَعْبَةِ (۱).

⁽۱) انظر: «تهذيب الكمال» (٧/ ١٧٠ _ ١٩٢) ، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤ _ ٥١).

الحادية والثمانون

الفَخْرُ بِالأحسابِ.

الثانية والثمانون

الاسْتِسْقاءُ بالأنواءِ.

الثالثة والثمانون

الطَّعْنُ في الأنساب.

الرابعة والثمانون

النِّياحَةُ .

أقولُ: هذه المسائلُ الأربعُ دليلُ بُطلانِها حديثٌ واحدٌ ، وهو ما رواه البخاريُّ ومُسلِمٌ (١) ، واللفظُ لمسلم ، بسنده إلى أبي مالكِ الأشعريِّ: أنَّ البخاريُّ ومُسلِمٌ (١) ، واللفظُ لمسلم حَدَّثُه قال: «أربعٌ في أُمَّتي من أمرِ الجاهِلِيَّةِ النَّبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم حَدَّثُه قال: «أربعٌ في الأنسابِ ، والاسْتِسْقاءُ لا يترُكونَهُنَّ: الفخرُ في الأحساب ، والطَّعنُ في الأنسابِ ، والاسْتِسْقاءُ

⁽١) كتاب الجنائز _ باب التشديد في النياحة _ (٢/ ١٤٤) ح ٩٣٤ .

بالنُّجومِ ، والنياحة » وقال: «النَّائحَةُ (١) إذْ لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها ، تُقامُ يومَ القِيامةِ وعليها سربال مِنْ قَطِرانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ ».

الفخرُ في الأحساب: افتخارُهُمْ بِمَفَاخِرِ الآباءِ.

والطَّعْنُ في الأنسابِ: إدخالُهم العيبَ في أنسابِ النَّاسِ؛ تَحْقيراً لَابائِهِمْ ، وتَفضيلًا لَآباءِ أَنْفُسِهِم على آباءِ غيرِهم.

والاسْتِسْقاءُ بِالنُّجومِ: اعْتِقَادُهُم نُزولَ المَطَرِ بِسُقوطِ نَجْمٍ في المغربِ مع الفجر ، وطلوع آخرَ يُقابِلُهُ مِن المشرقِ ، فقد كانوا يَقولونَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا ، وقالَ ـ تعالى ـ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَكُمْ ثُكَذِّبُونَ ﴾ (٢) .

وهذا مُفَصَّلٌ في كُتُبِ الأنْواءِ (٣) بِما لا مَزيدَ عَلَيْهِ.

وَمَعْنَى قُولِهِ فِي النَّائِحَةِ: «وعليها سِرْبالٌ مِنْ قَطْرانٍ»: أَنَّ اللهَ ـ تَعالى ـ يُجازيها بِلِباسٍ مِنْ قَطْرانٍ؛ لأنَّها كانت تَلْبَسُ الثِّيابَ السُّودَ.

وَقُولُهُ: «دِرْعٌ مِن جَرَبٍ»، يعني: يُسَلَّطُ على أعضائِها الجَرَبُ والحِكَّةُ ، بحيثُ يُعَطِّي بَدَنَها تَعطيَةَ الدِّرْعِ ـ وهو القميصُ ـ لأنَّها كانت تَجْرَحُ بكلماتِها المُحرِقَةِ قُلوبَ ذَوي المُصيباتِ.

فهذا الحديثُ دَلَّ على بطلانِ ما كان عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ مِنْ هذهِ الخِصالِ الرَّديئةِ.

⁽١) في المطبوع: «والناحبة، أو قال: النائحة».

⁽٢) الواقعة: (٨٢).

⁽٣) انظر: «الأنواء في مواسم العرب» لابن قتيبة ، «القول في علم النجوم» للخطيب البغدادي ، «الأنواء والأزمنة» لعبد الله بن الحسين الثقفي ، «الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب.

وَوَرَثَتُهُمُ اليومَ (١) مِنْ هذهِ الأُمَّةِ ، تَجاوَزوا فيها أسلافَهُم ، وزادوا في الطَّنبورِ نغَماتٍ ، فَتَراهم يَفْتَخرون بِمَزايا آبائِهم وهُمْ بمراحِلَ عنهم ، فهذا يقول: كان جَدِّي الشيخَ الفُلانيَّ ، وهذا يقول: جدِّي العَالِمُ الرَّبَّانيُّ ، إلى غيرِ ذلكَ.

وكذلك الطَّعْنُ في الأنسابِ ، فهذا يقولُ: إنَّ آباءَ فلانٍ لم يَكُونُوا مِن العترةِ الطَّاهرِةِ ، وذاك يقول: إن آباءَ فلانٍ لم يكونُوا مِنْ ذَوي الأحسابِ الباهرةِ.

وكذلك الاسْتِسْقاءُ بالأنْواءِ ، ولم يعتقِدْ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ أنَّ ما كان من فعل ربِّ الأرض والسَّماءِ^(٢).

وهكذا النَّوحُ على الأمواتِ ، فقد اتَّخَذَهُ كثيرٌ مِن النَّاسِ مِنْ أفضلِ الأعمالِ ، وسببَ الوصولِ إلى مَرضاةِ ذي الجَلالِ ، لا سيَّما مَن اتَّخذَ المَاتِمَ الحُسَيْنِيَّةَ في كلِّ عامٍ ؛ فهناك مِنَ البِدَع ما تَكَلُّ عن نَقْلِهِ ألسنةُ الأقلامِ ، والويلُ كل الويلِ لِمَنْ أَنْكَرَ شيئاً مِن ذلكَ ، فإنَّهم يُورِدونَه مَوارِدَ العَطَبِ والمَهالِكِ ، والأمرُ للهِ ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ .

⁽١) في المطبوع: «وورثهم اليوم طائفة».

⁽٢) في المطبوع «أن ماكان إنما هو من فعل رب الأرض والسماء» وقد وُضعت «إنما هو» بين حاصرتين []، غلامة على أنها زيادة.

الخامسة والثمانون

تَعْيِيرُ الرَّجُلِ بِفِعْلِ غَيرِهِ ، لا سيَّما أبوه وأمُّه.

فَخالَفَهم ﷺ ، وقالَ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهِلِيَّةٌ».

والحديثُ في صحيحِ الإمامِ البخاريِّ في بابِ «المعاصي مِن أمرِ الجاهِلِيَّةِ ، ولا يَكْفُرُ صاحبُها بارْتِكابِها إلاَّ بالشَّرْكِ لِقولِ النبي ﷺ: «إنَّك امرؤٌ فيكَ جاهِلِيَّةٌ» ، وقولِ اللهِ _ تعالى _ في النِّساءِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾».

وهذا البابُ في كتابِ الإيمانِ من صحيحِه ، ثُمَّ قالَ: «حَدَّثَنَا سُليمانُ ابنُ حَرْبِ ، قالَ: لَقِيْتُ أَبا ذَرِّ ابنُ حَرْبِ ، قالَ: كَدَّثَنَا شُعْبَةُ عن واصلِ عن المَعْرورِ ، قالَ: لَقِيْتُ أَبا ذَرِّ بالرَّبَذَةِ (١) ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وعلى غلامِهِ حُلَّةٌ ، فسألتُهُ عن ذلكَ ، فقالَ: «إني بالرَّبَثُ رَجلًا ، فَعَيَّرْتُهُ باللهِ ، فقالَ لي النَّبِيُ ﷺ: «يا أبا ذرِّ ، أعَيَّرْتَهُ باللهِ ؟! انكَ امرؤ فيكَ جاهِليَّةٌ ، إخوانكُمْ خَولُكُم ، جَعَلَهُمُ اللهُ ـ تعالى ـ تحتَ إلى المَديكم ، فمَن كان أخوه تحتَ يدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يأكلُ ، ولْيُلْبِسْهُ مِمَّا يلبَسُ ، ولا تكلفوهُم ما يغلِبُهم ، فإن كَلَّفْتُموهم ، فأعينوهم (٢).

الربذة: بفتح الراء والباء ، قرية من قرى المدينة النبوية ، قريبة من ذات عرق.
 انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموى (٣/ ٢٤).

⁽٢) سبق تخريجه.

وقد أطْنَبَ شُرَّاحُ الحديثِ في شرحِهِ ، وليس هذا موضعَ اسْتقصائِهِ ، والمقصودُ منهُ أن تَعْييرَ الرَّجُلِ بِفعْلِ غيرِه ليس من شأنِ كاملِ الإيمانِ والمعرفةِ ، فإنَّ أبا ذرِّ لله تعالى عنه لله تعالى عنه لله بلوغهِ المَرْتَبَةَ القُصْوى مِنَ المعرفةِ تَسابَ هو وبلالُ الحَبَشيُّ المُؤذِّنُ ، فقالَ لَهُ: «يا ابنَ السَّوداءِ» ، فَلَمَّا شَكا بلالٌ إلى رسولِ الله على قال لَهُ: «شَتَمْتَ بِلالًا ، وَعَيَّرْتَهُ بسوادِ أُمِّهِ؟!» ، قال: «نَعَمْ» ، قال: «حَسِبْتُ أَنَّهُ بَقِيَ فيكَ شَيءٌ مِن كِبْرِ الجَاهِلِيَّةِ» ، فألقَى أبو ذرِّ خَدَّهُ على التُّرابِ ، ثُمَّ قال: «لا أَرْفَعُ خَدِّي حتَّى بطأ بلالٌ خَدِّي بقدَمِهِ».

والنَّاسُ اليومَ ـ والأمرُ للهِ ـ قد كَثُرَت فيهم خصالُ الجاهِلِيَّةِ ، فَتَراهم يَعَيِّرُونَ أَهلَ البلدِ كلَّهم بِما صَدَرَ عن واحدٍ مِنهم ، فأينَ ذلكَ مِن خصالِ الجاهِلِيَّةِ؟!

السادسة والثمانون

الافْتِخارُ بِولايَةِ البيتِ.

فَذَمَّهم اللهُ - تعالى - بقولِهِ: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ - سَنِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ .

وهذه الآيةُ في سورةِ المؤمنينَ ، وهي بتمامِها قولُه _ تَعالى _: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايْنِي نُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَادِكُمْ نَنكِصُونَ ۞ مُسْتَكْمِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ (١).

ومَعْنى الآيةِ على ما في التَّفسيرِ:

﴿ قَدْ كَانَتْ اَيَنِي لُنَالَى عَلَيَكُمْ ﴿: تعليلٌ لقوله قَبلُ: ﴿ لَا يَخْتَرُواْ ٱلْيُومُ ۚ إِنَّكُمْ مِنَا اللهِ لَنَا عَلَيْكُمْ وَنَا الصَّراخَ ، فَإِنَّهُ لا يمنعُكم مِنَا ، وَلا يَنْفَعُكم عِندنا ، فقدِ ارْتَكَبْتُم أمراً عظيماً وإثماً كبيراً ، وهو التَّكذيبُ بالآياتِ ، فلا يدفعُه الصَّراخُ ، فكنتم عند تلاوتِها:

﴿ عَلَىٰٓ أَعْقَائِكُمْ نَنكِصُونَ ﴾ ، أيْ: مُعْرِضونَ عن سماعِها أشدَّ الإعراضِ ، فَضْلاً عن تصديقِها والعملِ بِها ، النُّكُوصُ: الرُّجوعُ ، والأعقابُ: جمعُ عَقِبِ وهو مُؤَخَّرُ الرِّجْلِ ، ورجوعُ الشَّخصِ على عَقِبِهِ: رجوعُه في طريق الأُوَّلِ ، كما يقال: رَجَعَ عَوْدَه على بَدْئِهِ.

⁽١) المؤمنون: (٦٦ ـ ٦٧).

﴿ مُسْتَكَمِرِينَ بِهِ عِ ﴾ ، أيْ: بالبيتِ الحرامِ ، والباءُ لِلسَّبَيِيَّةِ ، وسُوِّعَ بهذا الإضمارُ مَعَ أَنَّهُ لَم يَجْرِ اشتهار استكبارِهِم وافتخارِهم بأنَّهم خُدَّامُ البيتِ وقُوَّامُهُ.

﴿ سَامِرًا ﴾ ، أَيْ: تَسْمُرُونَ بذكرِ القرآنِ والطَّعنِ فيه ، وذلكَ أَنَّهم كانوا يَجتمعون حولَ البيتِ يَسْمُرون ، وكانت عامَّةُ سَمَرِهم ذكرَ القرآنِ ، وتسميتَه سِحْراً أو شعراً.

و ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ مِنَ الهَجْرِ _ بفتح فسكون _ ، بمعنى القطع والتَّركِ ، والجملة في موضع الحالِ ، أيْ: تاركينَ الحَقَّ والقرآنَ أو النَّبِيَّ على تقديرِ عودِ الضميرِ ﴿ بِهِ ِ ﴾ له ، وجاءَ الهَجْرُ بمعنى الهَذَيانِ ، وَجُوِّزَ أَنْ يكونَ المَعْنى عليه ، أي: تَهْذُونَ في شأنِ القرآنِ أو النَّبِيِّ عَلَيْهِ أو أصحابِهِ ، أو ما يَعُمُّ جميعَ ذلكَ ، وَيَجوزُ أَنْ يكونَ من الهُجْر _ بضم فسكون _ وهو الكلامُ القَبيعُ .

فأنكرَ اللهُ _ تعالى _ عليهم بقولِهِ: ﴿ أَفَامَ يَدَّبَرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ لِيَعْلَموا _ بما فيه من وُجوه الإعجاز _ أنَّهُ الحَقُّ من ربِّهِم ، فَيُؤمنوا به ، ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ عَالَا اللهِ عَجَالَ اللهِ عَلَا اللهِ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَا اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَا اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُلِمُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

والمقصودُ أنَّ من خصالِ الجاهليَّةِ التَّكَبُّرَ بسببِ الرِّئاسةِ على المواضِعِ المُقَدَّسَةِ ، كما هو _ اليوم _ حالُ كثيرٍ ممَّن يَدَّعي الشَّرَفَ بسببِ ذلكَ ، فمنهم مَنِ ادَّعى الشَّرَفَ على المُسلِمينَ بسببِ رِئاسَتِهِ على مكَّةَ والمدينةِ ، ومنهم مَنِ ادَّعاه بسببِ الرِّئاسةِ في المَشاهدِ أو مقاماتِ الصَّالحينَ ، وهؤلاءِ الذين يَدَّعونَ انتِسابَهم إلى عبدِ القادر الجِيلي في بغدادَ يَدَّعون الشَّرَفَ بسببِ رئاستِهم على قبرِ عبدِ القادر ، واستيلائهم على النُّذورِ والصَّدَقَاتِ والذَّبائح والقرابينِ الشَّرْكيَّةِ ، التي يَتَعَبَّدُها جَهَلَةُ المُسلِمين مِنَ الهُنودِ والأَرْرادِ ونحوِهِمْ ، وهُمْ أَفْسَقُ خَلْقِ اللهِ ، وأَدْنؤهم نَفْساً ، وأَرْذَلَ الهُنودِ والأَرْرادِ ونحوِهِمْ ، وهُمْ أَفْسَقُ خَلْقِ اللهِ ، وأَدْنؤهم نَفْساً ، وأَرْذَلَ

خَلْقِ اللهِ مَسْلَكاً ، فما يفيدُهم ذلك عند اللهِ شَيْئاً ، وما يُنْجيهم مِنْ مَقْتِ اللهِ وعذابِهِ ، وإنْ ظَنَّ بِهِمُ العَوَامُّ ما ظَنُّوا ، فَهم عند اللهِ وعند عِبادِهِ الصَّالحينَ أحقرُ من الذَّرِ ، وأبعدُ عن رحمتِهِ يومَ القيامةِ .

السابعة والثمانون

الافْتِخارُ بِكُوْنِهِم مِنْ ذُرِّيَّةِ الأنبياءِ عليهم السلام.

فَرَدَّ اللهُ عليهم بقولِهِ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْتَكُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

هذه الآيةُ في آخِرِ الجُزءِ الأوَّلِ من سورةِ «البقرةِ» ، وتفسيرُها:

﴿ تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتُ ﴾: الإشارةُ إلى إبراهيمَ عليه السلام وأولادِهِ في قولهِ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةٍ إِبْرَهِ عَمَ إِلَا مَن سَفِهَ نَفْسَةً وَلَقَدِ اَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّا إِلَى مَن سَفِهَ نَفْسَةً وَلَقَدِ اَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي اللهُ إِنْ إِلَى الْكُنْيَا وَلَا لَكُنْ الصَّلِحِينَ . . . ﴾ (٢) إلى إلى اللهُ إلى اللهُ اللهُ إلى السَّلَاحِينَ السَّلَاحِينَ . . . أَنْ السَّلَامِ وَاللهُ اللهُ إِنْ أَنْهَا لَهُ إِنْ السَّلَامِينَ السَّلَامِينَ السَّلَامِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

والأُمَّةُ أَتَتْ لِمَعانِ ، والمرادُ بها _ هنا _ الجَماعةُ ، مِن "أُمَّ» ، بمعنى قَصَدَ ، وَسُمِّيَتْ كُلُّ جماعةٍ يَجْمَعُهُم أَمْرٌ ما: إمَّا دِينٌ واحدٌ ، أو زمانٌ واحدٌ ، أو مكانٌ ، بذلك ؛ لأنَّهم يَؤُمُّ بعضُهم بعضاً ، وَيَقْصدُهُ.

والخُلُوُّ: المُضِيُّ ، وأصلُه الانفرادُ.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتُ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ ، والمَعْنى: إنَّ انتِسابَكم إليهم لا يوجِبُ انتفاعَكم بأعمالِهم ، وإنَّما تَنْتَفِعونَ بموافقتِهم واتباعِهم ، كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «يا مَعْشرَ قُريشٍ! إنَّ أوْلى النَّاسِ بالنَّبِيِّ:

⁽١) البقرة: (١٤١).

⁽٢) البقرة: (١٣٠).

المُتَّقُونَ ، فَكُونُوا بِسَبيلٍ مِنْ ذَٰلِكَ ، فانظُرُوا أَنْ لا يَلقاني النَّاسُ يَحْمِلُونَ الأَعمالَ ، وتَلْقَوني بالدُّنيا ، فَأَصُدَّ عنكم بوجْهي»(١).

وهذا الحديثُ بمعنى قولِهِ _ تعالى _: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآيِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَحْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَنْقَنَكُمْ ﴿ (٢) .

وَمَعْنَى قُولِهِ: ﴿ وَلَا تُسْتَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، لا تُؤاخَذُونَ بِسَيِّئَاتِهِم كما لا تُثابونَ بِحسناتِهم.

وهذه الخَصلةُ موجودةٌ اليومَ في كثيرِ مِن المُسلمينَ ، ورأسُ مالِهم الافتخارُ بالآباءِ ، فَمِنهم مَن يقولُ: أنا من ذُرِيَّةِ عبدِ القادرِ الكيلانيِّ ، ومِنهم مَن يقولُ: أنا مِن ذُرِيَّةِ أحمدَ الرِّفاعيِّ ، ومِنهم مَن يقولُ: أنا بكريُّ ، ومنهم من يقولُ: أنا بكريُّ ، ومنهم من يقول: أنا عُمَريُّ ، ومنهم من يقول: أنا عَلَويٌّ أو حَسنِيُّ أو حُسنْنِيُّ ، ولا فضيلة لهم ولا تَقْوى ، وكلُّ ذلك لا ينفعُهم يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ الله بقلبٍ سَليمٍ ، ورسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الفاطمة: «يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ ، لا أُغنى عنكِ مِن اللهِ شَيْئاً» (٣).

وما قَصْدُ أُولئكَ المُفْتَخِرِينَ بآبائِهِم ـ وهم عارونَ عن كُلِّ فضيلةٍ ـ إلاَّ أَكُلُ أُموالِ النَّاسِ بالباطِلِ ، وفي المثل: «كُنْ عِصاميّاً ، ولا تَكُنْ عِظامِيّاً». إنَّ الفَتَى مَنْ يَقُولُ كانَ أَبِي (٤)

⁽١) أخرجه أبو يعلى في «المفاريد» (ص ٩٢) ، وابن أبي حاتم ، عن الحكم بن ميناء ،كما في «الدر المنثور» (٢/ ٤٢).

⁽٢) الحجرات: (١٣).

 ⁽۳) أخرجه البخاري في «صحيحه» _ كتاب الوصايا _ باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب _(۳/ ۱۹۹) ، ومسلم في صحيحه _ كتاب الإيمان _ باب قوله _ تعالى _: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَيْرِينَ ﴾ _(١/ ۱۹۲ _ ۱۹۳) ح ۲۰٦ .

⁽٤) البيت في «ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» (ص ٣٧). وذكره الحموي في =

وللهِ دَرُّ مَن قالَ يَـرُدُّ على المفتخِر بِذلك:

أقولُ لِمَن غَدا في كُلِّ يوم يُباهينا بأسلافٍ عِظامِ أَتَقْنَعُ بالعِظامِ وأنتَ تَدْري بأنَّ الكَلبَ يَقْنَعُ بالعِظامِ وقالَ آخَرُ^(۱):

وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرَّميمِ وإنَّما فخارُ الذي يَبْغي الفَخار بِنَفْسِهِ

^{= «}خزانة الأدب» (٢/ ٣٦٠)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠٤/١١)، والأبشيهي في «المستظرف من كل فن مستطرف» (١/ ٥٧/١)، والجريري في «الجليس الصالح» (١/ ٥٢٥)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٢١٥)، والشريسي في «شرح مقامات الحريري» (٣/ ٤٣) واليوسي في «المحاضرات في الآداب واللغة» (١/ ٦٤) ولم يعزوه.

⁽۱) هو البحتري ، كما في «شرح ديوان المتنبي» المنسوب للعكبري (٣/ ٣٢٥) ، ولم أجده في ديوانه ، والله أعلم.

الثامنة والثمانون

الافْتِخارُ بِالصَّنائِعِ ، كَما افْتَخَرَ أهلُ الرحلَّتينِ على أهلِ الحَرْثِ.

يُريدُ بِالرِّحْلَتَيْنِ: رِحْلَةَ الشِّتاءِ إلى اليَمَنِ ، وَرِحْلَةَ الصَّيفِ إلى الشَّامِ ، وَهِي عادَةٌ كانتْ لِقُريشٍ ، كَما ذُكِرَ في سورةِ الإيلافِ.

والمقصودُ أنَّه لا يَنبغي للتَّاجِرِ أنْ يَفْتَخِرَ بِتِجارِتِهِ على أهلِ الحرث ، ولا أهلِ كلِّ حِرْفَةٍ على المُحْتَرفينَ بِحِرْفَةٍ أُخْرى ، فإنَّ كُلَّ ذلكَ مِن المُحاسبِ الدُّنيُويَةِ التي يُتَوَصَّلُ بها إلى عِبادةِ اللهِ وطاعتِهِ وامتثالِ أوامرهِ واجتنابِ نواهِيهِ واللهُ يُلُوصَّلُ بِلْ لِكَ إلى النَّجاةِ الأبديَّةِ ، وهي مدارُ الفخرِ ، واحتنابِ نواهِيهِ في اللهُ وَلَيْ زَائِلٌ ونَعيمٌ غيرُ مُقيمٍ ، فلا يَنْبغي لِلعاقِلِ أنْ وأمَّا ما سِوَى ذلك فَكُلُّهُ ظِلُّ زَائِلٌ ونَعيمٌ غيرُ مُقيمٍ ، فلا يَنْبغي لِلعاقِلِ أنْ يَفْخَرَ بِزَخارِفِ الدُّنيا الدَّنيئَةِ ، ولا يَعْلَمُ مَتى يُفَارِقُها ، نَسَأَلُهُ _ تعالى _ التوفيقَ والعملَ الصالحَ الذي يُرضِيهِ .



⁽¹⁾ في المخطوط «والاجتناب عن نواهيه».

التاسعة والثمانون

عَظَمَةُ الدُّنيا في قُلوبهم:

كَفَولِهِم: ﴿ لَوْلَا نُزِلُ (١) هَذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾.

أَيْ: مِن خِصال الجاهِلِيَّةِ مُراعاةُ الدُّنْيا، وَعَظَمَتُها في قُلوبِهم، كَما حَكى اللهُ عنهم ذلكَ بِقولِهِ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَفِرُونَ ۞ وَقَالُواْ لَوَلاَ نُزِلَ (٢) هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِن الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِكَ خَنُ قَسَمْنَا يَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنَيَّ وَرَفَعَنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَتِ لِيَتَخَذَ بَعْضُهُم بَعْضَا اللهُ وَيَا اللهُ عَلَيْ مِمَا يَعْضَهُم بَعْضَا اللهُ وَيَا اللهُ عَلَيْ مِمَا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣).

هذه الآيةُ في سورةِ «الزُّخْرُفِ» ، وَمَوْضِعُ الاسْتِشهادِ فيها قولُه: ﴿ وَقَالُواْ لَوَلَا نُزِلَ (٤٠ هَذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلِ مِنَ ٱلْقَرِّيَةَ يُنِ عَظِيمٍ ﴾ .

المُرادُ مِنَ القَريتينِ: مكَّةُ والطَّائِفُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: «الذي مِنْ مكَّةَ: الوليدُ بنُ المُغيرةِ المَخزوميُّ ، والذي مِنَ الطَّائفِ: حَبيبُ بنُ عمرِو بنِ عُمَيرٍ الثَّقَفِيُّ ، وكُلُّ مِنهما كانَ عظيماً ، ذا

⁽١) في المخطوط والمطبوع «أنزل» ، وهو خطأ.

⁽٢) في المخطوط والمطبوع «أنزل» وهو خطأ.

⁽٣) الزخرف: (٣٠ ـ ٣٢).

⁽٤) في المخطوط والمطبوع «أنزل» ، وهو خطأ.

جاهِ ومالٍ ، وكان الوليدُ بنُ المغيرةِ يُسَمَّى «رَيْحانةَ قريشٍ» ، وكانَ يقولُ: لو كانَ ما يقولُ محمَّدٌ حقَّاً لَنَزَلَ عليَّ أو على أبي مَسعودٍ ، يعني عُروةَ بنَ مسعودٍ ، وكان يُكْنى بِذلكَ»(١).

وهذا بابٌ آخَرُ من إنكارِهِم للنُّبُوَّةِ ، وذلكَ أَنَّهم أنكَروا أُوَّلاً أَنْ يكونَ النَّبِيُّ بَشَراً ، ثُمَّ لَمَّا بُكِّتوا بِتكريرِ الحُجَجِ ، ولم يَبْقَ عندهم تصوُّرُ رَواجِ لِنَّبِيُّ بَشَراً ، ثُمَّ لَمَّا بُكِّتوا بِتكريرِ الحُجَجِ ، ولم يَبْقَ عندهم تصوُّرُ رَواجِ لِنَّبِي بَشَراً ، ثُمَّ لَمَا بُكُونَ وجُهِ آخَرَ ، فَحَكَموا على اللهِ _ سُبْحانه _ أَنَّ لِذَلِكَ ، جاؤوا بالإنكارِ مِنْ وجْهِ آخَرَ ، فَحَكَموا على اللهِ _ سُبْحانه _ أَنَّ يَكُونَ الرَّسُولُ أَحَدَ هذين.

وقولُهُم: ﴿ هَذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾: ذكْرٌ لهُ على وَجهِ الاسْتِهانَةِ ؛ لأنَّهم لم يُقولوا هذهِ المَقالَة تسليماً ، بَل إنكاراً ، كَأَنَّه قيلَ: هذا الكذبُ الذي يَدَّعيه ، لَو كانَ حَقّاً ، لكانَ الحَقيقَ به رجلٌ مِن القَريتَين عَظيمٌ.

ولهذا منهم لِجَهْلِهِم بِأَنَّ رُتبةَ الرِّسالةِ إِنَّما تَستدعي عظيمَ النَّفسِ بالتَّخَلِّي عن الرَّذائـلِ القُدْسِيَّةِ ، دونَ عليَّ الدَّنْسِيَّةِ ، دونَ التَّزَخْرُف بالزَّخارِفِ الدُّنْيُويَّةِ .

فَأَنْكَرَ ـ سُبحانَه ـ عَلَيْهم بِقولِـهِ: ﴿ أَهُمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِكٌ ﴾ ، وفيهِ تَجْهيلٌ وَتَعْجيبٌ مِن تَحَكُّمِهِم بِنزولِ (٢) القرآنِ العظيمِ على مَنْ أرادوا.

﴿ نَحَنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُم فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَّا ﴾ قِسمةً تَقْتَضيها مشيئتُنا المَبْنِيَةُ على الحِكَم والمَصالحِ ، ولم نُفَوِّض أمرَها إليهم ، وعِلْمًا مِنَّا بعَجْزِهِم عَنْ تَدبيرِها بالكُلِّيَّةِ.

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ في الرِّزْقِ وسائرِ مبادىء العَيْشِ.

⁽۱) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه بنحوه عنه ، كما في «الدر المنثور» (۱۲/٦).

⁽٢) في المخطوط «نزول».

﴿ دَرَجَتِ ﴾ مُتَفاوِتَةً بِحَسَبِ القُربِ والبُعدِ حَسْبَما تَقتضيه الحِكْمَةُ ، فَمِن ضعيفٍ وقويٍّ ، وَغَنيٍّ وفقيرٍ ، وخادِمٍ ومخدومٍ ، وحاكمٍ ومحكومٍ .

﴿ لِيَتَخِذَبَعْضُهُم بَعْضَا سُخْرِيًّا ﴾: لِيَسْتعملَ بعضُهم بعضاً في مصالِحِهم ، وَيَسْتَخدِموهم في مِهْنِهِم ، وَيُسَخِّروهم في أشغالِهم ، حَتَّى يَتَعايَشوا ، ويَصلوا إلى مرافِقهم ، لا لكمالٍ في المُوسَّع عَلَيه ، ولا لِنَقْصٍ في المُقتَّرِ عَلَيْه ، وَلَوْ فَوَّضْنا ذلكَ إلى تدبيرِهِم لضاعوا وَهَلكوا ، فإذا كانوا في المُقتَّرِ عَلَيْه ، وَلَوْ فَوَّضْنا ذلكَ إلى تدبيرِهِم لضاعوا وَهَلكوا ، فإذا كانوا في تدبيرٍ خُويْصَةِ أمرِهم وما يُصْلِحُهُم مِن مَتاع الدُّنيا الدَّنِيَّةِ وهو على طَرَفِ النُّمامِ (١) بهذهِ الحالة ، فما ظَنَّهم بِأَنْفُسِهم في تدبيرِ أنفسِهم (٢) ، وفي تدبير أمرِ النَّبُوَّةِ أمرِ النَّبُوَةِ ، ومِنْ أينَ لهمُ البحثُ عن أمرِ النَّبُوَّةِ والتَّخَيُّر لَها مَنْ يَصْلُحُ لها ويقومُ بأمرِها .

وفي قولِهِ _ تَعالى _: ﴿ نَحَنُ قَسَمْنَا . . ﴾ إلخ ما يُزَهِّدُ^(٣) في الانكبابِ على طَلَبِ الدُّنيا ، ويُعينُ على التَّوكُّلِ على اللهِ _ عَزَّ وجلَّ _ والانقطاعِ إليهِ _ جَلَّ جلالُه _.

فَاعْتَبِرْ «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ» تَلْقَهُ حَقّاً وَبِالحَقِّ نَـزَلَ (٤)

﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكِ خَيِّرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾؛ أيْ: النُّبُوَّةُ وَما يَتْبَعُها مِنْ سَعادةِ الدَّارَيْنِ خَيرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَهُ مِنْ حُطامِ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ ، فالعظيمُ مَنْ رُزِقَ تلكَ الدَّمَةُ دونَ ذلكَ الحُطامِ الدَّنيءِ الفاني.

⁽۱) الثمام: جمع ثمامة وثُمَّة ، وهي شجرة ضعيفة ، فهو يقصد هنا أنه مع سهولة هذا الأمر الذي يشابه في ضعفه هذه الشجرة ، فإنهم لا يستطيعونه ، فكيف بما هو أشد منه وهو أمر النبوة؟!

⁽٢) في المخطوط «بأنفسهم».

⁽٣) في المطبوع «ما يزيد».

⁽٤) هذا البيت أحد أبيات لامية ابن الوردي ، وهي في ديوانه (ص ٣٢٨).

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كثيراً مِنَ النَّاسِ اليومَ على ما كانَ عليه أهلُ الجاهِلِيَّةِ في هذهِ الخَصْلَةِ ، فَتَرَاهم لا يَعْتَبِرونَ العِلْمَ إذا كانَ صاحِبُهُ فقيرَ الحالِ ، ويَنْظُرونَ إلى الغنِيِّ ، وَيَعْتَبرونَ أقوالَه.

وللهِ درُّ القائل(١):

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ المَّا لَ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ (٢)

⁽١) في المطبوع: «من قال».

⁽٢) البيت لحسان بن ثابت _ رضي الله تعالى عنه _ كما في «ديوانه» (ص ٢٢٥).

التسعون

ازْدِراءُ الفُقَراءِ.

فَأَنْزَلَ _ سُبحانَه _ قولَه: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوْةِ وَٱلْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَا أَرْبُ

أقول: هذه الآية في أوائل سورة «الأنعام»، وَبَيانُ مَعْناها مُتَعَلِّقٌ بِما قَبْلَها، وهو قولُه - تَعالى -: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحَشَرُواْ إِلَى رَبِّهِ مِّ لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَ وَلَى شَعْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدَعُونَ رَبَّهُم بِٱلْعَدَوٰةِ لَيْسَ دُونِهِ وَ وَلَى تَطُرُدِ ٱلَّذِينَ يَدَعُونَ رَبَّهُم بِٱلْعَدَوٰةِ وَٱلْمَثِي يُرِيدُونَ وَجَهَمُ مَا عَلَيْك مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ فَتَطُرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِن ٱلظَّالِمِينَ ﴾ (١).

فَلَمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم بِإِنْذارِ المذكورِينَ لَعَلَّهم ينْتَظِمونَ في سِلْكِ المُتَّقينَ ، نُهِيَ عن كونِ ذلكَ بِحَيثُ يُؤَدِّي إلى طردِهِم.

ويُفْهَم مِنْ بعضِ الرِّواياتِ أن الآيتينِ نزَلَتا معاً ، ولا يُفْهَمُ ذلكَ مِنْ البعض الآخَرِ.

فقد أخرجَ الإمامُ أحمدُ (٢) والطَّبَرانيُّ (٣) وغيرُهما عن ابنِ مسعودٍ

⁽١) الأنعام (٥٠ ـ ٥٦).

⁽۲) في «مسنده» (۱/۲۰).

⁽٣) في «المعجم الكبير» (٢٦٨/١٠) ، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠٠) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٣) ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١): «ورجاله رجال الصحيح غير كردوس ، وهو ثقة».

- رضي الله عنه - قال: «مرَّ المَلاَ مِنْ قُريش على النَّبيِّ صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صُهَيْبٌ وعَمَّارٌ وبِلالٌ وخَبَّابٌ ونحوهُم مِنْ ضُعَفاءِ المُسْلِمينَ ، فقالوا: يا محمَّدُ ، رَضيتَ هؤلاءِ مِنْ قومِك! أهولاءِ منَّ اللهُ عليهم مِنْ بَيْنِنا! أَنَحن نكونُ تَبَعاً لِهؤلاءِ؟! اطْرُدْهُمْ عَنكَ ، فَلَعَلَّكَ إِنْ طَرَدْتَهم أَنْ نَتَبِعكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ - تَعالى - فيهِمُ القرآنَ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ إلى قولِهِ - سبحانه -: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظّللِمِينَ ﴾ ».

وأَخْرَجَ ابنُ جَريرِ (۱) وأبو الشَّيخِ والبَيْهَقِيُّ في «الدَّلائِلِ» وغيرُهُم عن خَبَّابٍ قال: «جاءَ الأَقْرَعُ بنُ حابِسِ التَّميميُّ وعُييْنَةُ بنُ حِصْنِ الفَزارِيُّ ، فَوَجَدا النَّبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم قاعِداً مَعَ بِلالٍ وصُهيبٍ وعَمَّارٍ وخَبَّابٍ في أُناسِ ضُعَفاءَ مِنَ المؤمنينَ ، فَلَمَّا رَأُوْهُم حَوْلَه حَقَروهُم ، فَخَلُوا بِهِ ، فقالوا: نَحِبُ أَنْ تَجعلَ لنا مِنْكَ مَجْلِساً تَعْرِفُ لنا العربُ بِهِ فَضْلَنا ، فإنَّ وُفودَ العَرَبِ تأتيكَ ، فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرانا قُعوداً مَعَ العربُ بِهِ فَضْلَنا ، فإذَا نَحنُ جِئْناكَ ، فَأَقِمْهُمْ عَنَّا ، فإذا نحنُ فَرَغْنا ، فاقعُدُ هؤلاءِ الأَعْبُدِ، فإذا نحنُ عَرَغْنا ، فأقمُهُمْ عَنَّا ، فإذا نحنُ فَرَغْنا ، فاقعُدُ معهم إنْ شِئتَ ، قالَ: نَعَمْ ، قالوا: فاكتُبْ لنا عليكَ بذلك كِتاباً ، فَدَعا بالصَّحيفةِ ، وَدَعَا عَلِيّاً لِيَكْتُبَ ـ ونحنُ قُعودٌ في ناحِيةٍ ـ ، إذْ نَزَلَ جِبْريلُ بهذهِ اللّهِ قَلَيُ وَلَا قَلْمُورُ الّذِينَ . . ﴾ إلخ .

ثُمَّ دَعانا ، فَأَتَيْنَاهُ وهو يقولُ: ﴿ سَكَمُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَقْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (٢) ، فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَهُ ، فإذا أرادَ أَنْ يقومَ قامَ وَتَرَكَنا ، فأنزلَ اللهُ _ تعالى _: ﴿ وَآصِيرُ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوْةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجَهَةً ﴿

⁽۱) في «تفسيره» (۲۰۱/۷). قال ابن كثير في «تفسيره» (۱۳۲/۲): «وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر».

⁽٢) الأنعام: (٥٤).

وَلَا تَعَدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ثُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَّ وَلَا نُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُم عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَنَهُ (١) وَكَاكَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢) ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يقعدُ معنا ، فإذا بلغَ السَّاعة التي يقومُ فيها قمنا وَتَركْناهُ حَتَّى يقومَ».

وَأَخْرَجَ ابنُ المُنْذِرِ (٣) وغيره عن عكرمة قال: «مَشَى عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنا رَبِيعَة وَقُرْظَةُ بنُ عبدِ عَمرو بنِ نَوْفَلَ ، والحارثُ بنُ عامِر بن نَوفَلَ ، والحارثُ بنُ عامِر بن نَوفَلَ ، ومَطْعِمُ ابنُ عَدِيٍّ فِي أَشْرافِ الكُفَّارِ مِنْ عَبْدِ مَنافٍ إلى أبي طالبٍ ، فقالوا: لو أَنَّ ابنَ أخيكَ طَرَدَ عَنَّا هؤلاءِ الأعْبُد والحُلفاءَ ، كان أعظم له في صُدورنا ، وأطوعَ له عِنْدَنا ، وأدنى لاتباعنا إيَّاهُ وتَصْدِيقِه ، فَذَكَرَ ذلكَ أبو طالبٍ للنَّبيِّ عَنِيْ ، فقال عُمرُ بنُ الخطَّابِ: لَو فَعلتَ يا رسولَ اللهِ حَتَّى النَّولُ اللهُ أبو طالبٍ للنَّبيِ عَنِيْ ، فقال عُمرُ بنُ الخطَّابِ: لَو فَعلتَ يا رسولَ اللهِ حَتَّى اللهُ عَمْرُ ما يُريدون بِقولِهم ، وما يصيرون إليه مِنْ أمرِهم ، فأنزل اللهُ اللهُ عَمْرُ ما يُريدون بِقولِهم ، وما يصيرون إليه مِنْ أمرِهم ، فأنزل اللهُ اللهَ عَلَمُ بِالشَّلَكِينَ ﴾ . وكانوا بِلالاً وعَمَّارَ بنَ ياسرٍ وسالِما ﴿ ، مولى عَمرو وواقدُ بنُ عبدِ الله الحَنْظَلِيُ وعمرُو ابنُ عبدِ عمرٍ و ومَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدِ وأشباهُهُم ، وَنَزَل في أَتِمَةِ الكُفرِ مِنْ قُريشٍ والمَوالي والحلفاء : وأشباهُهُم ، وَنَزَل في أَتِمَةِ الكُفرِ مِنْ قُريشٍ والمَوالي والحلفاء : ﴿ وَالْمَالِكُ فَتَنَا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ (٥) ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أقبلَ عُمَرُ ، فاعْتَذَرَ من وقَالِة ، فَأَنْزَلَ اللهُ - تَعالى - : ﴿ وَإِذَاجَاءَكَ ٱلَذِينَ عَلِيَاكُ أَنَالِكُ فَتَا يَبِعَنَهُم ، فَانْزَلَ اللهُ - تَعالى - : ﴿ وَإِذَاجَاءَكَ ٱلَذِينَ عَلَيْنَاكُ أَنْ اللهُ مُ مَنْ أَنْ اللهُ مَنْ اللهُ وَالْمَالِكُ وَالْمَالِكُ وَالْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ وَلَا اللهُ الْمَالِكُ اللهِ الْمَالِكُ اللهِ الْمَالِكُ اللهِ الْمَالِكُ اللهِ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهِ اللهُ الْمَالِكُ اللهِ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِلُولُ اللهُ الْمَالِ اللهُ الْمَالِكُ اللهُ الْمَالِلِي اللهِ الْمَالِلِ اللهُ الْمَالِلُ اللهُ الْمَالِلِ اللهُ الْمَالِلِ اللهُ الْمَالِلِ اللهُ الْمَالِلُ اللهُ الْمَالِ اللهُ الْمَالِلُهُ اللهُ الْمَالِ اللهُ اللهُ الْمَالِلُولُ اللهُ اللهُ اللهُ الْمَالِ اللهُ الْمَالِولِ اللهُ اللهُ الْمُعْلِي اللهُ الْ

⁽١) ﴿ وَأَتَّبَعَ هَوَنهُ ﴾ ليست في المخطوط.

⁽٢) الكهف: (٢٨).

⁽٣) انظر: «الدر المنثور»: (٣/ ١٣) ، وأخرجه _ أيضاً _ ابن جرير في «تفسيره»(٣) (٢٠٢/٧).

⁽٤) في المخطوط «سالم».

⁽٥) الأنعام: (٥٣).

⁽٦) الأنعام: (٥٤).

وقولُه: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ ﴾: جملةٌ مُعترضةٌ بين النَّهي وجوابِهِ ، تقريراً له ، ودَفعاً لما عَسى أَنْ يُتَوَهَّمَ كُونُهُ مُسَوعاً لطردِ المُتَّقينَ مِن أقاويلِ الطَّاعنينَ في دينِهِم ، كَدأْبِ قوم نوح حيثُ قالوا: ﴿ وَمَا نَرَنكَ (١) مَن أقاويلِ الطَّاعنينَ في دينِهِم ، كَدأْبِ قوم نوح حيثُ قالوا: ﴿ وَمَا نَرَنكَ (١) أَتَبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِيكَ هُمُ آرَاذِلُنكَ بَادِى آلِرُّأِي ﴾ (١) ، والمعنى: ما عليك شيءٌ ما مِنْ حسابِ إيمانِهم وأعمالِهم الباطِنة ، كما يقولُه المشركونَ ، حتَّى ما مِنْ حسابِ إيمانِهم وأعمالِهم الباطِنة ، كما يقولُه المشركونَ ، حتَّى متصدّى لَهُ ، وَتَبْنِي على ذلكَ ما تراه مِن الأحكامِ ، وإنَّما وظيفتُكَ حَسْبَما هو شأْنُ مَنْصِبِ الرِّسالةِ _ النَّظُرُ إلى ظواهِرِ الأمورِ ، وإجراءُ الأحكامِ على موجَبِها ، وتفويضُ البواطنِ وحسابِها إلى اللطيف الخبيرِ ، وظواهرُ هؤلاءِ مواءُ ربِّهم بالغداةِ والعشيّ.

ورُويَ عن ابنِ زيدٍ أَنَّ المعنى ما عليكَ شيءٌ مِن حسابِ رِزْقِهِم (٣)، أَيْ: مِن فقرِهِم ، والمرادُ: لا يَضُرُّكَ فقرُهُم شيئاً لِيَصِحَّ لك الإقدامُ على ما أرادهُ المشركون مِنكَ فيهم.

وقولُهُ: ﴿ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ ﴾ عطفٌ على ما قَبْلَهُ ، وَجِيءَ بِهِ - مع أنَّ الجوابَ قد تَمَّ بذلك - مبالغةً في بيانِ كونِ انتفاءِ حسابِهِم عليهِ يَنْظِمُهُ (٤) في سِلْكِ ما لا شُبهة فيه أصْلاً ، وهو كونُ انتفاءِ حسابِهِ عَلَيْهُم ، فهو على طريقةِ قولِهِ - سُبْحانَه -: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً فَي وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٥) في رأي .

⁽١) في المخطوط «ما نراك».

⁽٢) هود: (٢٧).

⁽T) "(روح المعاني" (٧/ ١٦٠).

⁽٤) في المخطوط «بنظمه» وما أثبته من المطبوع ، وهو الموافق لما في «روح المعاني» الذي نقل عنه المؤلف.

⁽٥) الأعراف: (٣٤) ، النحل: (٦١).

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ: "إِنَّ الجُملَتينِ في مَعنى جملةٍ واحدةٍ تُؤدِّي مُؤدَّى مُؤدَّى ﴿ وَلَا فَرْرُ وَانِرَةٌ وَزَدَ أُخَرَئُ ﴾ (١) ، كَأَنَّهُ قيلَ: لا تؤاخَذُ أنتَ ولا هُمْ بِحسابِ صاحِبِهِ ، وحينئذٍ لا بدَّ مِنَ الجُملَتيْنِ »(١) ، وَتُعُقِّبَ بأَنَّهُ غيرُ حَقيقٍ بجلالَةِ التَّنْزيل (٣) .

وقولُهُ: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِلِمِينَ ﴾ جَوابٌ للنَّهْي.

الأنعام: (١٦٤)، الإسراء: (١١٥)، فاطر: (١٨)، الزمر: (٧).

⁽۲) «الكشاف» للزمخشري (۲/ ۱۷).

⁽٣) انظر: «البحر المحيط» (٤/ ١٣٧ _ ١٣٨).

الحادية والتسعون

عَدَمُ الإِيمَانِ بِمَلائِكَةِ اللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيُومُ الآخرِ.

والكلامُ على ذلكَ مُفَصَّلٌ في التَّفسيرِ وكُتُب الحَديثِ والعقائِدِ.

والآياتُ في ذلكَ كثيرةٌ ، مِنْها قولُهُ ـ تعالى ـ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَن يُبَعَثُواْ قُلِّ بَكِي وَرَقِي لَنْبَعِثُنَ ثُمَّ لَنُنَبَّوْنَ بِمَا عَمِلْتُمُّ وَذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرُ ﴾ (١).

وَمِنَ الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ في إنكارِ البَعْثِ والنُّسُورِ:

ومَاذا بِالقَليبِ قليبِ بَدْرِ مِنَ الشِّيْرَى تَزيَّن بالسَّنَام وَمَاذا بِالقَلِيبِ قَليبِ بَدْرِ من القَيْناتِ والشَّرْبِ الكِرامُ تُحَيِّيْنِ السَّلامَةَ أُمَّ بَكْرٍ فَهَلْ لِي بَعْدَ قَومي مِنْ سَلامَ يُحَـدِّثُنـا الـرَّسـولُ بـأنْ سَنَحْيـا وكَيْـفَ حَيـاةُ أصـداءِ وَهـام (٢)

وقال آخه (٣):

⁽١) التغابن: (٧).

ــ(٢٦٣/٤) ، وقائلها ـ كما في «الصحيح» ـ رجل من كلب ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٠٣/٧) أن اسمه: أبو بكر شداد بن الأسود بن عبد شمس بن مالك بن جعونة ، ويقال: ابن الشعوب ، وذكر أنها تنسب لغيره ، لكن بأخبار

هو عبد الله بن الزبعرى السهمي ، كما في «شعر عبد الله بن الزبعرى» ، ونسبه ابن الجوزي في "تلبيس إبليس" (ص ٩١) إلى أبي العلاء المعري ، وهو في "ديوان =

حَيَاةٌ ثُمَ مَوْتٌ ثُمَ نَشْر حَديثُ خُرافَةٍ يَا أَمَّ عَمْرو وَمِنَ الآياتِ الدَّالةِ على ذلكَ قولُهُ - تَعالى -: ﴿ لَوَذَا مِنْنَا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظَامًا لَوَنَا لَمَنعُوثُونَ شَا أَوْ مَا بَآؤُنَا ٱلْأَوْلُونَ ﴾ (١).

وَقَدْ تَكَلَّمْنا عَلَى مُعْتَقَدِاتِ الجاهِلِيَّةِ وَأَدْيانِهِمْ في غَيْرِ هذا الموضع (٢).

ديك الجن الحمصي (ص ٧٩) ، وعزاه الجرجاني في «الوساطة بين المتنبي
 وخصومه (ص ٦٤) لأبي نواس ، ثم بصيغة التمريض نسبها لديك الجن .

الصافات: (١٦ ـ ١٧) ، والواقعة: (٤٧ ـ ٤٨).

⁽٢) وذلك في كتابه «بلوغ الأرب».

الثانية والتسعون

الإيمانُ بالجِبْتِ وَالطَّاغوتِ ، وَتَفْضيلُ دِينِ المُشْرِكينَ على دينِ المُسْلِمينَ.

قال _ تَعالى _: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوثُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَتَوُلاَءَ أَهَدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ (١).

وقد تَقَدَّمَ الكَلامُ على ذلكَ مُفَصَّلًا.

والمقصودُ _ هُنَا _ أنَّ جَهَلَةَ الكِتابِيِّينَ كانوا يَقُولُونَ لِلمُشْرِكِينَ: أَنْتُم أَهْدى من المُسلِمين ، ومَا عِندَكُمْ خَيْرٌ مِمَّا عَلَيه مُحَمَّدٌ وَأَصْحابُهُ.

وَتَرى المُتَصَوِّفَةَ والغُلاةَ اليومَ على هذا المَنْهَجِ ، يَقُولُونَ: إِنَّ دُعاةَ أَهْلِ القُبُورِ والغُلاةَ خَيرٌ مِمَّنْ يَمْنَعُ عن ذلك مِن أَهْلِ التَّوَحيدِ وحُفَّاظِ السُّنَّةِ.



⁽١) النساء: (٥١).

الثالثة والتسعون

كِتْمانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ.

كما حَكى اللهُ ذلكَ عَن أحبارِ بَني إسرائيلَ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى ، فَقَد كَتَموا ما وَرَدَ في كُتُبِهِمْ مِنَ البشائرِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وَهُم يَعلَمونَ بِوُرودِها وَذِكْرِها في كُتُبِهِمْ.

والكَلامُ في هذا البابِ مُفَصَّلٌ في «الجَوابِ الصَّحيحِ»(١) لِشَيخِ الإسلام، فَعَلَيكَ بِهِ ، فَإِنَّهُ كِتابٌ لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ.

^{(1) (7/757}_777).

الرابعة والتسعون

القَولُ على اللهِ بِلا عِلْمٍ.

وَهُو أَسَاسُ كُلِّ فَسَادٍ وَأَصْلُ الضَّلالِ.

وأكثرُ النَّاس حَظَّا مِن هذهِ الخَصلةِ الجاهلِيَّةِ مُبْتَدِعَةُ المُتَكَلِّمينَ ، فَقَد تَكَلَّموا في الصِّفاتِ الإلهِيَّةِ بما لَمْ يُنْزِلِ اللهُ بِهَا(١) مِنْ سُلْطانٍ ، وَأَوَّلوا نُصوصَ الشَّريعَةِ بِما تَهُواه أَنْفُسُهُم، كَما فَعَلَهُ الرَّازِيُّ في كتابِهِ «أساسِ التَّقديس»(٢).

وَجَزى اللهُ شيخَ الإسلامِ خيراً ، فقد رَدَّ عَلَيه ، وَنَقَضَ أَسَاسَهُ ، وَسَجَّلَ ضَلالَهُ وَجَهْلَهُ ، وَضَيَّقَ أَنْفَاسَهُ (٢) ، ﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُ مِ بِبَعْضِ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (٤).

⁽١) في المطبوع: «به».

 ⁽٢) وهو أحد كتب الأشاعرة المعتمدة ، مع مخالفة الرازي الواضحة لأصول أبي الحسن الأشعري ، وسلوكه فيه مسلك الجهمية ، وقد طبع مرات عديدة .

⁽٣) وذلك في كتابه «بيان تلبيس الجهمية»أو «نقض تأسيس الجهمية»، وقد طبع منه مجلدان بتحقيق فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى ، وحقق أخيراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من قبل بعض طلاب الدراسات العليا.

⁽٤) البقرة: (٢٥١).

الخامسة والتسعون

التَّناقُضُ الواضِحُ.

قالَ _ تَعالى _: ﴿ بَلُ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمِّرِ مَّرِيجٍ ﴾ (١).

وَهَكَذا أَهْلُ البِدَع مِنَ الغُلاةِ وَغَيْرِهِم يَدَّعُونَ الإسلامَ ، وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالًا تُناقِضُ ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ.

⁽١) قَ: (٥).

والسادسة والتسعون ، والسابعة والتسعون والمئة والتسعون ، والتاسعة والتسعون ، والمئة

العِيافةُ ، والطَّرْقُ ، والطِّيرَةُ ، والكِهانَةُ ، والتَّحاكُمُ إلى الطَّاغوتِ ، ونحُو ذلك:

وقد تَكَلَّمْنا على هذهِ الأمورِ في كتابِنا «بُلوغِ الأرَبِ في أحوالِ العَرَبِ (١)»(٢) بما لا مَزيدَ عَلَيه ، وَذَكَرْنا هناكَ أوابِدَهُم وَخُرافاتِهِم وسائِرَ ضلالاتِهم.

وَكُلُّ ذَلكَ مِن أعمالِ جَهَلَةِ المُسلِمينَ اليومَ ، وهم يَحْسَبونَ أَنَّهم يُحْسَبونَ أَنَّهم يُحْسنونَ صُنْعاً.

وغالِبُ مسائلِ الأصلِ رؤوسُ^(٣) مسائلَ في كتاب «اقتضاء الصِّراطِ المُستقيم» وَمَنْ أرادَ التَّفصيلَ فَلْيَرْجِعْ إليه.

وَهذا آخِرُ مَا أَرَدْنا شَرْحَهُ مِنَ المَسائِلِ التي أَبْطَلَها الإسلامُ ، والحمدُ للهِ وَلِيِّ الإِنعامِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ الأنامِ ومِصباحِ الظَّلامِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعهُمْ بِإِحْسانِ إلى قِيام السَّاعةِ وساعةِ القِيامِ .

⁽١) اسم الكتاب «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» وهو من أنفع الكتب في هذا الباب.

^{(7) (7/ 277} _ 777).

⁽٣) في المطبوع زيادة كلمة «مباحث».

وكانَ ذلكَ في اليومِ الخامِسِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ الحرامِ ، وهو يومُ الخميسِ بَعْدَ الظُّهْرِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَعشرينَ وَثَلاثِمائَةٍ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْه أفضلُ الصَّلاةِ وأَكْمَلُ السَّلام _.

٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ

وقدْ فَرَغْتُ مِن كِتابِتِهِ صِباحَ الجُمُعَةِ في اليومِ السابعِ والعِشرينَ مِن شهرِ شَعْبان سنةَ أربع وأربعينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ من هجرةِ خيرِ الأنامِ عليه الصلاةُ والسلامُ - في بعدادَ دارِ السلامِ ، في جامع الحيدر خانة ، وأنا الفقيرُ إليهِ - عَزَّ شأنُهُ - عبد الكريم بن السيد عباس الشيخلي - غَفَرَ اللهُ لُهما ولجميعِ المسلمينَ.

۲۷ شعبان سنة ۱۳٤٤ (۱)

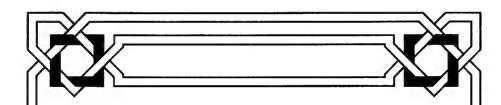
⁽۱) من قوله: «إلى قيام الساعة» إلى آخره ليس موجوداً في المطبوعة ، وإنما جاء في آخر المطبوعة ما نصه: «في ٥ ذي الحجة ، وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ».

هذا وقد تم الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه في آخر ساعة من نهار يوم الاثنين ١٢/٢/١٦ هـ، متضرعاً بين يدي الله ألا يفضحني يوم تبلى السرائر، وأن يغفر لي ولوالدي ولإخواني ولجميع المسلمين، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم كان الفراغ من النظر فيه للطبعة الثانية الساعة الثامنة من صبيحة يوم السبت الموافق للسادس من شهر ربيع الآخر عام ١٤٢٤ هـ.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الفهارس

١ _ فهرس الآيات.

٢ _ فهرس الأحاديث والآثار.

٣_فهرس الأعلام.

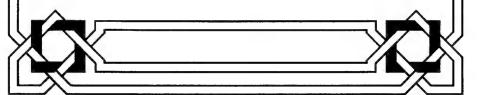
٤ _ فهرس الأبيات الشعرية.

٥ _ فهرس الأمم والقبائل والأخلاق والأديان والفرق والمذاهب.

٦ _ فهرس الكتب الواردة في الكتاب.

٧ _ فهرس المراجع.

٨ _ فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	الآية
		الفاتحة
107	٠ ٣	﴿ مِالِكِ يَوْمِ ٱلدِّبِينِ ﴾
		البقرة
197	17	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾
۲۰۷	١٤	﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓ اءَامَنَّا ﴾
109	71	﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِ مُ ٱلذِلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾
Y11	V9_V0	﴿ ﴾ أَفَنَظَمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾
187 . 97 .	V9_VA	﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِئْبَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾
۲۲۰	AY_A*	﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّكَارُ إِلَّا أَسَيَامًا مَّعْدُودَةً ﴾
1896 10 .	AA _ AV	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئنَبَ وَقَفَّيْنَا ﴾
189,79.	٠ ٨٩	﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾
7189	٠٨٨ . ٩١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَاۤ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾
189,	99_9٧	﴿ قُلْ مَن كَاتَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾
٩٠	1 • 7 _ 1 • 1	﴿ وَلَمَّا حَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عند اللَّهِ ﴾

187 1.7 _ 99	﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَتِ بَيِنَتِ ﴾
187 1.42	﴿ وَيَنَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾
٤١	﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُواْ رَعِنَا﴾
	﴿ وَدَّكِثِيرٌ مِن أَهْلِ ٱلْكِنَبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾
	﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْنَصَلْرَى
97.97 118	﴿ وَقَالَتِ ٱلْمُهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَدَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾
٠٢٠ ٢٢٠	﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَلَوَىٰ ﴾
720,99 . 177_170	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةُ لِلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾
780 181	﴿ يِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ ﴾
٤٢ ١٤٥	﴿ وَلَهِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهُوٓآءَهُم مِنْ بَعْدِ مَاجَآءَكَ ﴾
V 18V_187	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِئَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَ هُمَّ
٦١ ١٧٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾
07 198	﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلَّذِينُ لِلَّهِ ﴾
7.7199	﴿ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَكَاضَ ٱلنَّكَاسُ ﴾
١٧٠ ٢١٤	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّـةَ ﴾
777 701	﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُ مِ بِبَعْضٍ ﴾
107 ٢0٤	﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾
19A YOV	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾
	﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيآ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾
10 ٢٨٥	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن زَّبِهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾
	آل عمران
۲۱۸ ۲٤	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِيكَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَابِ يُدْعَوْنَ ﴾
۲۱۵	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَأَتَّبِعُونِي ﴾

107 77_70	﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَكِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَهِيمَ ﴾
۷۱ ۲۰۹ ، ۱۷۶ ح	﴿ يَنَأَهْلَ ٱلْكِتَنِ لِمَ تَلْبِسُوكَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَطِلِ ﴾
77_37 771	﴿ وَقَالَت ظَالَهِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ﴾
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُؤْتِيكُ اللَّهُ ٱلْكِتَابَ ﴾
۹۹ ۹۹	﴿ قُلْ يَكَأَهُلُ ٱلْكِئْبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾
٥٧،٧١٠٢	﴿ يَنَا يُهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ . ﴾
171 181	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِي قَلْتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾
٣٨ ١٥٤	﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾
171 179	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ آمُواتًا ﴾
109 107	﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلُ مِنْ قَبْلِي بِٱلْبِيِّنَاتِ ﴾
184 191_19.	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْآرْضِ ﴾
	النساء
٧	﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾
179 ٤٦	﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكِلِمَ ﴾
۸٤ ، ۲۱۱ ، ۲۲	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ٤
77 179 01	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ ﴾
۸٥ ١٥٥	﴿ فَيِمَا نَقْضِهِم مِيثَقَهُمْ ﴾
101 1٧1	﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا نَعْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾
	most N
	المائلة
۸	﴿ ٱلْيُوْمَ أَكُمُلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾
	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَرَىٰ غَنْ أَبْنَكُوا اللَّهِ وَأَحِبَّتُونُهُ ﴾
	E

﴿ وَلَا نَتَّبِعَ أَهْوَآءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ﴾
﴿ أَفَحُكُم ٱلْجَهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾
﴿ وَإِذَا جَآءُ وَكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾
﴿ قُلْ بَا أَهْلُ ٱلْكِتَبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾
الأنعام
﴿ أَلَمْ يَرَوْا كُمْ أَهْلَكُنَا مِن قَبْلِهِ مِن قَرْنِ ﴾
﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءِ أَكْبُرُ شَهَادَةً ﴾
﴿ وَلَقَدْ كُذِّ بَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ ﴾
﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُعْشَرُوٓاْ إِلَى رَبِّهِمُّ
﴿ سَلَامُ عَلَيْكُمْ كُتُبُ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
﴿ أُولَئِيكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِتَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًّا ﴾
﴿ وَجَعَلُوا بِلَّهِ شُرِّكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾
﴿ وَإِن تُطِعِ أَكْثَرُ مَن فِ ٱلْأَرْضِ ﴾
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكَنَا﴾
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَيَحْيَاىَ وَمَمَانِي ﴾
﴿ وَلَا نَزِرُ وَاذِرَةً وِنْدَ أُخْرَئَكُ ﴾
الأعراف
﴿ ٱتَّبِعُواْ مَاۤ ٱنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُرُ ﴾
﴿ وَإِذَا فَعَـٰ لُواْ فَكَحِشَةً قَالُواْ وَجَدَّنَا عَلَيْهَاۤ ءَابَآءَنَا﴾

7.7. 1.8 77_71	﴿ ﴿ يَنَهِي مَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُرْ عِندَ كُلِّي مَسْجِدٍ ﴾
198 177	﴿ أَنَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا ﴾
۱۰۷ ۱۸۰	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَى ﴾
	الأنفال
7.0 ٣0	﴿ وَمَا كَانَ صَلَانُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾
	﴿ وَمَا قَالُ طَعِلَوْ مِهُمْ عِنْدُ الْبِيْكِ ﴾
	التوبة
111_17 11_14	﴿ وَقَالَتِ ٱلْمَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾
77	﴿ ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ
171 07	﴿ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَ يَنِّ ﴾
	﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓ الْشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً ﴾
	يونس
٥٥ ١٨ ﴿ يَـ	-
	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفُهُ
717 77	﴿ أَلاَّ إِنَّ أَوْلِيآهُ ٱللَّهِ ﴾
۱۹۰ ۷۸	﴿ قَالُواْ أَجِتْنَنَا لِتَلْفِئْنَا عَمَّا وَجَدْنَا﴾
	هود
700 (VO YV_YO	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَرْمِهِ ۗ ﴾
17	﴿ يَلْكُ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِهَمْ إِلَيْكُ ﴾
۸٦	﴿ وَيَنَقَوْمِ لَا يَعْرِمَنَّكُمْ شِقَافِي ﴾
179 1.7	﴿ وَكَذَالِكَ أَخُذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ ﴾
۲۷ ۷۲	﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾
	يو سف
171 111 _ 1+9	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾
	﴿ وَمَا ارْسُلُكُ مِنْ فَبِينِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾

الرعد

	30 y.,		
۱۰۸ ۳۰	﴿ كَنَالِكَ أَرْسَلْنَكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ ﴾		
	الحجر		
۱٤٥ ۸٥	﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾		
	النحل		
۱۳۰	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشَرَكُوا لَوْسَآءَ ٱللَّهُ ﴾		
١٥٥ ٣٩ ـ ٣٨ ﴿ فَ	﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِ مِ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُونُ		
117 07_01	﴿ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَجِذُوٓا إِلَىٰ هَيْنِ آثَنَيْنَ ﴾		
117 0٧_07	﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا ﴾		
١١٥٨	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ﴾		
188 18-11	﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾		
الإسراء			
3_1 751	﴿ وَقَضَيْنَا ۚ إِلَىٰ بَنِيَ إِسْرَاءِ مِلَ فِي ٱلْكِئنبِ ﴾		
117 28-89	﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَهُاءَاخَرَ ﴾		
7.7 78	﴿ وَأَسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾		
117 111	﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَنَّخِذْ وَلَدًا ﴾		
الكهف			
۲۸ ۲۸	﴿ وَٱصْبِرِ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾		
71-11-11-11-11	﴿ قُلْ هَلْ نُنْيَئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا ﴾		
108			
۸۱ ۱۱۰	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾		

P3_30 7F	﴿ قَالَ فَمَن زَّيُّكُمَا يَنْمُوسَىٰ ﴾
	الأنبياء
127 17_17	﴿ وَمَا خُلُقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴾
117	﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْنَنُ وَلَدًا ﴾
	المؤمنون
37_07 75, PV	﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَوُّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ٢٠
75-VT 737	﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَدِي مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ عَسْمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾
117 41	﴿ مَا ٱتَّخَـٰذَ ٱللَّهُ مِن وَلَهِ﴾
188 331	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبِثًا ﴾
	الفرقان
117 ٢-1	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾
	الشعراء
VE 110_1.0	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوجٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾
VI	﴿ ﴿ قَالُوٓا أَنُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾
	القصص
77 ٣٧_٣٦	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِعَايَدِيْنَا بَيِّنَنَتٍ ﴾
119	﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَنهِ غَيْرِي ﴾
٧١ ٥٠_٤٦	﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾
7 V_	﴿ ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَاكَ مِن قَوْدِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ ﴾

العنكبوت

o	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَىطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ ﴾
۸۲ ۸۲۱	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًّا ﴾
181 79	﴿ وَٱلَّذِينَ جَهَدُواْ فِينَالَنَهُ دِيَنَّهُمْ شُبُكَنَّا ﴾
	الأحزاب
٣٦ ٢٣	﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجُ ٱلْجَهِلِيَّةِ ٱلْأُولَيُّ ﴾
۰۲ ـ ۲۲ ۲۲ ـ ۸۲۱	﴿ اللَّهِ لَيْنَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ ﴾
٧ ٧١ ـ ٧٠	﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾
	سبأ
٧١ ٣٩ ـ ٣٤	﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَاۤ﴾
	فاطر
73 _ 73 VFI	﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهَّدَ أَيْمَنَّهِمْ لَهِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾
	الصافات
111 107_101	﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لِيَقُولُونَ فِي وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾
71_VI POY	﴿ لَوْ ذَا مِنْنَا وَكُنَّا نُرَابًا ﴾
117 177 _ 189	﴿ فَأَسْتَفْتِهِمْ أَلِرَتِكَ ٱلْمُنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْمِنُونَ ﴾
	ص
r_v 3r	﴿ وَأَنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾
70 78	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُوَّالِ نَعْمَنِكَ ﴾
188 331	﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا ﴾

الزمر

00	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ۚ إِلَيْكَ ٱلْكِتَنِ مِٱلْحَقِّ ﴾
۲۳ ۸۶۱	﴿ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾
	غافر
197 77	﴿ إِنِّ آَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾
	فصلت
۸٥	﴿ قُلُوبُنَا فِي آكِنَةِ ﴾
1.9 77_71	﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُمْ عَلَيْنًا ﴾
	الشوري
٤١ ١٥	﴿ فَلِلَالِكَ فَأَدَّعُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتً ﴾
	الزخرف
11810	﴿ وَجَعَلُواْ لَهُم مِنْ عِبَادِهِ جُزَّءًا ﴾
118	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ﴾
77_37	﴿ وَكَذَالِكَ مَاۤ أَرْسَلُنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ ﴾
789,190 77_7.	﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَنذَا سِحْرٌ ﴾
٧٢ ٣٣	﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً ﴾
14	﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَتِيكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَنَدُ ٱلرَّحْمَنِ إِنَكًّا ﴾
۲۸ ۸۰۱	﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَعَةَ ﴾
	الدخان
٨٣ ـ ٣٩	﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيَّنَهُمَا لَعِبِينَ ﴾
07_97 77_	﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴾

الجاثية

	• •
٨١١٨	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾
177 78	﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَانُنَا ٱلدُّنْيَا﴾
	الأحقاف
٧٨ ١١ ـ ١٠	﴿ قُلْ أَرَءَ يَشُرُ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾
37_77 ۸۶	﴿ فَلَمَّا رَأُوهُ عَارِضَا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَنِهِمْ
	الفتح
۲۲ ـ ۳۲ ۷۲۱	﴿ وَلَوْ قَانَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوْا ٱلْأَدْبَدَ ﴾
١٧٠ ٢٩	﴿ يُحَمَّدُ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾
	الحجرات
71 737	﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأُنثَىٰ ﴾
	قَ
١٩٥ ٤	﴿ قَدْعَلِمْنَا مَا نَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمَّ ﴾
٥ ٥٩١ ، ٣٢٢	﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرِ مَّرِيجٍ ﴾
	الذاريات
197_190 11_V	﴿ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾
	النجم
118_117 77_19	﴿ أَفْرَءَ يَثُمُّ ٱللَّنتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾
112_111 17_11	الواقعة
\ Y 4	﴿ فَ لَاَ أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ ٱلنُّجُولِ ﴾
۱۸ - ۲۸	﴿ أَفِيهَا لَا لَكِدِيثِ أَنتُم مُدْهِنُونَ ﴾ ﴿ أَفِيهَاذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُدْهِنُونَ ﴾
	(3) 11 / 12 / 13

	الجمعة	
r		﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاً ﴾
	المنافقون	
۲۰۷ ۳-۱		﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ ﴾
	التغابن	
YOA V		﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَ لَن يُبْعَثُوا ﴾
۲۱۸۰		﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَن يُبَعَثُوا ﴾ ﴿ فَانَقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمُ ﴾
	نوح	
71		﴿ وَمَكُرُواْ مَكُرًا كُبَّارًا ﴾
	القيامة	
77 031		﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتَّرَكَ سُدِّى ﴾
	الإنسان	********
٤٢ ٣١		﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَكُمْ عَذَابًا أَلِيًّا ﴾
vv	عبس	(National Control
vv		﴿ عَبْسَ وَقُولَٰتْ ﴾
	الفيل	e 186 121111 12111 12
YYV 1	لفِيلِ﴾	﴿ أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْعَكِ ٱ
	قريش	
YYV 1		﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾
	الإخلاص	
111		﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـٰذُ ﴾
	ale ale ale	

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث أو الأثر
٤٣	أبغض الناس إلى الله ثلاثة
YTV	أربع في أمتي من أمر الجاهلية
١٣٥	استقرضت عبدي فلم يقرضني
١٨١	الاستواء غير مجهول
197	افترقت اليهود
	أكان فيها صنم
179	إن الله يملي للظالم
٠٠٠ ٢٣	إناكنا في جاهلية وشر
75. 77. 77	إنك امرؤ فيك جاهلية
118	إنما فاطمة بضعة مني
	أولئك قوم إذا مات فيهم
1VY	أنتم أهل كتاب
٢٣٥	بعت مكرمة قريش
٣٩	خالفوا المشركين
٤٠	خالفوا اليهود
١٨٥	الخوارج كلاب أهل النار

دخل الجنة رجل في ذباب
دخلنا على عبادة بن الصامت
صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي
قاتل الله اليهود والنصاري
القدرية مجوس هذه الأمة ١٨٣
كان أناس من العرب يطوفون بالبيت عراة٧٠٠
كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتاً ٢٠٤
كنت مستتراً بأستار الكعبة
كيف الحرب بينكم وبينه
ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
لا يسب أحدكم الدهر١٣٥
ت يسبب من كان قبلكم
لعن الله زائرات القبور
لعن الله اليهود والنصاري۲۲۲ ، ۲۲۲
مثل المؤمن كمثل خامة الزرع
مر الملأ من قريش على النبي ﷺ ٢٥٤ ٢٥٤
مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة
معاذ الله أن نعبد غير الله
من كان على مثل ما أنا عليه المن كان على مثل ما أنا عليه
من كره من أميره شيئاً ٥٥
هم أهل البدع والأهواء ١٩٨
والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم ٢١٤
وهم ما أنا عليه وأصحابي

٩	٧							•								•			ي	باب	~	4	ٲڔ	,	ليه	عا	. 1	أز	ت	ښ	5	ما	1	۪ھ	و
																																لم			
٤	•	1	•								•					•					•						ر	بيا	نه	¥	١	شر	ع	a	یا
٥	٩																			•	•						ن	K	ؿ	٠	ς	ر ا	ہے	ö	یر
١	٨	٣				•	•					•	ě	ب	فظ	را	الر	ن	ود			ו ב	از	زم	الز	ز	خ	Ĩ,	ي	,	وم	قو	ن	کو	ړ
																																ن			

فهرس الأعلام

الاسم ورقم الصحيفة الاسم ورقم الصحيفة ابن عمر ۳۹ إبراهيم ثابت الألوسي ٢٦ ابن القيم ١٢٥ ، ١٤٥ ابن الأثبر ٣٣ ابن إسحاق ١٥٢ ، ١٧٧ ، ٢١٧ ، ابن کثیر ٤٢ ابن مسعود ۱۰۹ ، ۲۵۳ ، ۲۵۵ YIA ابن تیمیة ۳۵ ، ۲۲ ، ۹۸ ، ۱۱۲ ، ابن مکتوم ۲۲۵ ابن المنذر ٥٥٧ 277 ابن منظور ۳۳ ابن جریج ۱۰۸ ، ۲۱۲ أبو أمامة ٤٠ ابسن جسريسر ۳۷، ۱۳۸، ۱۵۲، أبو الثناء الألوسي = محمود شهاب 108.191 الدين ابن زید ۲۵۲ أبو جهل ۱۰۸ ابن صوريا ٢١٩ أبو داود ١٣٥ ، ١٩٧ این عباس ۳۲، ۵۹، ۸۸، ۱۳۹، أبو ذر ۳۲، ۳۸، ۲٤٠ 701, 791, 7.7, 117, أبو سفيان ١٧٢ 117, 177, 937 أبو الشيص الخزاعي ٥٣ ابن عبد البر ٤٤

الترمذي ۱۰۹ ، ۱۹۷ الجرجاني ١٣٣ ح جنادة بن أبي أمية ٥٩ الحارث الدمشقي ١٦٩ الحارث بن زيد ۲۱۸ الحارث بن عمرو بن نوفل ٢٥٥ الحاكم ١٣٥ حبيب بن عمرو الثقفي ٢٤٩ الحسن البصري ١٨١ حسین بن غنام ۱۸ حسين بن محمد بن عبد الوهاب ١٨ الحكيم الترمذي ١٩٨ حکیم بن حزام ۲۳۵ حمد بن ناصر بن معمر ۱۸ حيى بن أخطب ١٧٢ خباب ۲۵٤ الخضر ٢٢٤ داود بن جرجيس ۲۱ الدجال ١٦٥ دوقلة المنبجي ٥٣ ح ذو الرمة ٥٣ ح الرازي ٢٦٢ الرئيس ١٧٧

أبو صالح ٢١٧ أبو طالب ٢٥٥ . أبو العتاهية ١٠٣ ح أبو العلاء المعري ٨٧ ح أبو نواس ٥٣ ح أبو محمد ابن قتيبة = عبد الله بن قتيبة أبو معاوية ٢٢٧ أبو موسى الأشعري ١٦٩ أبو هريرة ١٦٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ أحمد بن حنبل ۱۰۹ ، ۲۲۵ ، ۲۲۲ أحمد الرفاعي ٢٤٦ أحمد بن القاسم ٢٢٥ الأسود العنسي ١٦٩ الأعمش ٢٢٧ الأقرع بن حابس ٢٥٤ أم حبيبة ٢٢٢ أم سلمة ٢٢٢ بابك الخرمي ١٢٠ ، ١٦٩ البخاري ٥٩ ، ١٠٩ ، ٢٠٢ ، ٢٣٧ بخت نصر ۱۲۲، ۱۲۶ للال 307 ، 007 ملال البيهقي ٢٥٤

عبد الرحمن بن حسن ١٨ عبد العزيز الحصين ١٨ عبد الكريم السيد عباس الشيخلي 770, 77, 77 عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ۲۱ عبد الوهاب بن سليمان ١٧ عروة بن مسعود الثقفي ٢٥٠ عزير١١٥ عكرمة ٢٥٥ على بن جبلة ٥٢ ح على بن أبي طالب ٢٢٤ على بن محمد بن عبد الوهاب ١٨ عمار ۲۵٤ ، ۲۵۵ عمر بن الخطاب ٢٥٥ عمرو بن عبد عمرو ٢٥٥ عمرو بن عبيد ١٨٧ عمرو بن كلثوم ٣١ عمرو بن لحي الخزاعي ١٥٣ عون بن عبد الله ١٣٨ عيينة بن حصن ٢٥٤ الفاروقي ١١٧ الفرسنل ١١٧

سالم مولى أبي حذيفة ٢٥٥ السدى ٨٦، ١١٢ و١٧٦ سعید بن منصور ۲۲۷ سلیمان بن علی ۱۷ شعبة ٢٤٠ الشوكاني ٣٧ شيبة بن ربيعة ٢٥٥ صبيح مولى أسيد ٢٥٥ YOE age ضباعة بنت عامر بن صعصعة 71.1 الضحاك ٢١٦ الطبراني ١٩٨ عائشة ۲۰۲، ۲۲۱ عبادة بن الصامت ٥٩ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي ١٧ عبد الله بهاء الدين بن محمد الألوسى ٢٠، ٢١ عبد الله بن خلف بن دحیان ۲۶ عبدالله بن سلام ۲۱۹ عبد الله بن قتيبة ١٨٢ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١٨

محمد بن وضاح ۲۲۷ محمود شهاب الدين الألوسي 71 . 7 . مرثد بن أبي مرثد ٢٥٥ مزدك ١٢٠ مسلم ۱۰۹، ۱۳۵، ۱۳۹، ۲۰۲، 177 , 771 مسيلمة ١٠٨، ١٦٩ مطعم بن عدي ٢٥٥ المعرور بن سويد ٢٢٧ ، ٢٤٠ مقاتل ۱۰۸ ، ۱۱۶ مقداد بن عمر و ۲۵۵ النسائي ١٠٩ النعمان بن عمرو ۲۱۸ النووى ٣٢ واصل واقد بن عبد الله الحنظلي

الوليد بن المغيرة المخزومي

فرعون١٦٥ قتادة ٨٦، ١٠٨، ١١٤، ١١٥، 197 قرظة بن عبد بن عمرو بن نوفل 700 کعب ۱۷۳ الكلبي ٢٠٤، ١١٥ الكيلاني ٢٢٤ ، ٢٧٣ المتنبي ٥٤ ح مجاهد ١١٥، ١٢٤، ١٣٨، 14. محب الدين الخطيب ٢٥ محمد بهجة الأثرى ٢٦ محمد بن جعفر بن الزبير ٢١٧ محمد حياة سندي ١٧ محمد بن عبد اللطيف الأحسائي 11 محمد بن عبد الوهاب ١٧ محمد قطب ٣٣ محمد المجموعي ١٨

* * *

400

P37 , 07

فهرس الأبيات الشعرية

رقم الصحيفة	القافية	أول البيت
٥٣	الأشياء	والضد
Y & V	أبي	إن الفتى
119	واحد	وفي کل
۲۰۲	ذكرا	أقال الله
1.7	الوزرا	نهانا
71	نستجير	وقد جربتهم
۲۰۹	عمرو	حياة
۸۷	الصغر	والنجم
١٣٤	لاتمسي	منع
Y & V	بنفسه	وما الفخر
Y 1 V	بديع	تعصي
Y 1 V	مطيع	لو کان
٧٢	مرزوقا	كم عالم
189 697	بذاکا	وكل يدعي
197	الزلالا	ومن يك
٦٥	قليل	تعيرنا

مال	رضينا
لا يزال	فإن المال
فلا أحله ۲۰۳، ۱۰۶، ۲۰۳	اليوم
تمله	أختم
نبالي۱۳٤	رمان <i>ي</i>
النصال ١٣٤	وكنت
بالعقول	شربت
نزل۱۰۱	فاعتبر
الخصوم١٠٣	إلى ديان
النعيم ٢٥٢	رب حلم
عظام ٢٤٧	أقول لمن
بالعظام ٢٤٧	أتقنع
بالسنام ٢٥٨	وماذا
الكرام ٢٥٨	وماذا
سلام ۲۰۸	تحيينا
وهام ۸۰۲	يحدثنا
الرباني ۱۱۸	قل للفرسنل
نقصان	أنت الذي
نصراني ١١٨	ونسيت
قرآن۱۸٦	ومن العجائب
الإنسان	حشوية
الأكوان ١٨٦	ويظن
والسلطان ١٨٦	إذ قولهم

مکان ۲۸۱	ظن الحمير
الأزمان ١٨٦	والله لم يسمع
البهتان ١٨٦	لا تبهتوا
الأكوان ١٨٧	بل قولهم
السلطان ١٨٧	حقاً كخردلة
العدوان١٨٧	أترونه
ولا كتمان ١٨٧	کم ذا
الأزمان ١٨٧	تدرون
الشيطان١٨٧	سمى به
الإرثان ۱۸۷	فورثتم
بوزان ١٨٧	تدرون
القرآن١٨٧	من قد
والإيمان ١٨٧	هذا هو
الأذهان١٨٧	وردوا
والأنتان١٨٧	ووردتم
الكسلان١٨٨	وكسلتم
العشى ١٣٤	أشاب

* * *

فهرس الأمم والقبائل والأحلاف والأديان والفرق والمذاهب

الإسماعيلية ١٢١ الأشاعرة ٢٠٨ أهل الباطل ١٨٢ أهل البدع (المبتدعة) ١٨٧، ١٨٩، Y.A. 199 أهل الجاهلية ١٥٣، ١٧١، ١٩٨، 3.7. 777 أهل الحديث ١٨٧ ، ١٨٥ أهل الحق ١٨٩ أهل السنة ١٨٢ ، ١٨٦ أهل الكتاب (الكتابيون) ١٥٣، | الرافضة ١٨٣، ٢٠١، ٢٠٨ ۰۲۱، ۱۲۲، ۱۷۲، ۱۹۲۱ أهل مكة ١٧٢ الأوس ٧

بنو إسرائيل ١٦٠ ، ١٦٣ ، ٢٦١ الجبرية ١٨٢ الحاكمية ١٢٢ الحشوية ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، INV الحمس ۲۰۲، ۲۰۲ الخرمية ١٢٠ الخزرج ٥٧ الخوارج ١٨٥ الدهرية ١٣٤ الروم ١٦٠ الزرارية ١٢٢ الزنادقة ١١٥

زنادقة الصوفية ٢٠١

السلف ١٨١ ، ١٤٥ السلف الشيعة ٢٢٤ الصابئة ١٨٠ عبدة الأوثان ١٦٤ العسدية ١٢٢ الفاطمية ١٢٢ القدرية ١٨٣ ، ١٨٤ القرامطة ١٢١ قریش ۲۰۲ ، ۲۰۲ الكسانية ١٢٢ المتصوفة ۲۰۸ ، ۲۲۰ المجسمة ١٨٥ المجوس ١١٨ ، ١٢٢ المرجئة ١٨٤ المزدكية ١٢٠ المشبهة ١٨٦

مشركو قريش ١٢٤ المعتزلة ١٢٦ النصاري ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، PAI , YPI , A+Y , 17Y , YOA نصاری نجران ۱۵۲ ، ۱۷۷ ، ۲۱۷ النصيرية ١٢١ الي و ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، . 1VA . 1VV . 1VT . 108 PAI , VPI , ... 317 , VIY, AIY, PIY, IYY, 177 يهود خيبر ١٧٦ ، ٢١٤ یهود قری عرین ۱۷٦ يهو د المدينة ۲۱۶

فهرس الكتب الواردة في الكتاب

أساس التقديس ٢٦٢ الإنجيل ١٧٨ بلوغ الأرب في أحوال العرب ٢٦٤ تأويل مختلف الأحاديث ١٨٦ تفسير ابن جرير ٢٥٤ تفسير سورة الإخلاص ١١٦ التوراة ١٧٨، ٢٠٠، ٢١٨ جواب أهل الإيمان في التفاضل بين آيات القرآن ١٨٦ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١١٦، ١٧٩، ٢٦١ دلائل النوة ٢٥٤

روح المعاني (تفسير الجد) ١٣١ ،
١٧٩

سنن سعيد بن منصور ٢٢٧

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ١٤٥، ١٢٥، ١٤٥،
صحيح البخاري ١٨٠، ٢٣٧،
٢٤٠

صحيح مسلم ١٨٠، ٢٣٧، ٢٤٠٠
الكافية الشافية ١٨٦
مسند أحمد ٢٥٣
منهاج السنة ٩٨

فهرس المراجع

- 1 إثبات صفة العلو ، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، حققه وعلق عليه د/ أحمد بن عطية الغامدي ، مؤسسة علوم القرآن ببيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية ، ط ١٤٠٩/١ هـ.
- ٢ ـ الأجوبة على أحاديث المصابيح ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- " _ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المعروف بالقرماني ، تحقيق فهمي سعد ، عالم الكتب ببيروت ، ط ١٤١٢/١ هـ.
- أخبار المدينة النبوية ، لعمر بن شبة ، تحقيق عبد الله الدويش ، دار
 العليان ببريدة .
- و _ الأخبار النجدية ، لمحمد بن عمر الفاخري ، تحقيق د/عبد الله بن
 يوسف الشبل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- 7- الأربعون حديثاً ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، حققه وخرج أحاديثه بدر البدر ، مكتبة المعلا بالكويت ، ط ١٤٠٨/١ هـ.
- ٧ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم = تفسير أبي السعود ،
 للقاضي أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي ، مكتبة الرياض الحديثة
 ١٤٠١ هـ.

- ٨ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين
 الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط ١٣٩٩/١ هـ.
- ٩ ـ الأزمنة وتلبية الجاهلية ، لأبي على محمد بن المستنير قطرب ، حققه
 وقدم له د/حنا جميل حداد ، مكتبة المنار بالزرقاء في الأردن ،
 ط ١/ ١٤٠٥ .
- ١٠ ـ الأسماء والصفات ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق عماد الدين حيدر ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط ١/١٤٠٥.
- ١١ ـ الاشتقاق ، لمحمد بن الحسن الأزدي المعروف بابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٨ .
- 17 أصل الشيعة وأصولها ، لمحمد حسين آل كاشف الغطا ، قدم له مرتضى العسكري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ١٤٠٢/٤.
- ۱۳ أضواء على العقيدة الدرزية ، لأحمد الفوزان ، دار الوثائق بالكويت ، ط ۲/ ۱٤۱۰.
- 14 الاعتقاد ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق أحمد مرسي ، حديث أكادمي باكستان.
- ١٥ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للرازي ، مراجعة على سامي
 النشار ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٤٠٢.
 - ١٦ أعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٥ .
- 1۷ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار المعرفة ببيروت.
- ١٨ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لأبي العباس

- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق ناصر العقل ، ط ١٤٠٤/١.
- 19 ـ الأمالي في لغة العرب ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الكتب العلمية ببيروت.
- ٢٠ ـ الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ ، عبد الله بن سعد الرويشد ، رابطة الأدب الحديث ، ط ٢/ ١٤٠٤.
- ٢١ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣ .
- ۲۲ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بالرياض، للباحث محمد السكاكر.
- ۲۳ _ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، لأبي بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق د/ ذيب القحطاني ، ١٤٠٩ .
- ٢٤ ـ الأنواء في مواسم العرب ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
- ۲۰ ـ الأنواء والأزمنة ومعرفة أعيان الكواكب في النجوم ، لعبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي ، تحقيق د/ نوري حمود القيسي ومحمد نايف الدليمي ، دار الجيل ببيروت ط ١٤١٦/١.
- ٢٦ ـ أيام العرب قبل الإسلام ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، جمع وتحقيق ودراسة د/عادل جاسم البياتي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ط ١٤٠٧/١.
- ۲۷ ـ البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ، دار الفكر ببيروت ، ط ١٤٠٣/٢.

- ٢٨ ـ بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جمع من الباحثين ،
 جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٢٩ ـ البدء والتاريخ ، المنسوب إلى المطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة
 الثقافة الدينية بمصر .
- ٣٠ ـ البدع والنهي عنها ، لابن وضاح ، تحقيق محمد دهمان ، دار
 البصائر بدمشق ، ط ٢/ ١٤٠٠ .
- ٣١ ـ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، لأبي الفضل السكسكي ، تحقيق د/ بسام العموش ، مكتبة المنار ط ١٤٠٨/١ .
- ٣٢ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، لمحمود شكري الألوسي ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، ط ٢.
- ٣٣ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ٢/ ١٩٨٧.
- ٣٤ ـ البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، دار الفكر للجميع .
- **٣٥ ـ تـاج العروس في شرح القاموس** ، لمحب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الكتاب العربي ، مصور عن الطبعة الأولى .
- ٣٦ تاريخ الإسلام ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد التركماني المعروف بالذهبي ، تحقيق د/ عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي ببيروت.
- ٣٧ ـ تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، د/عبد الله فياض ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ١٤٠٦/٣ .

- ٣٨ ـ تاريخ الدولة السعودية ، لأمين سعيد ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض.
- **٣٩ ـ تاريخ الرسل والملوك** ، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف .
- 3 تاريخ الفرق الإسلامية ، لمحمد خليل الزين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٢/ ١٩٨٥ .
- ٤١ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب
 الفقهية ، لمحمد أبى زهرة ، دار الفكر العربى ١٩٨٧ .
- ٤٢ ـ تاريخ اليعقوبي ، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي المعروف باليعقوبي ، دار صادر ، ١٤١٢ .
- **٤٣ ـ تاريخ بغداد** ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ببيروت.
- ٤٤ تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروى ، دار الفكر ببيروت .
- **٥٤ ـ تاريخ واسط**، لبحشل، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب ببيروت، ط ١٤٠٦/١.
- ٤٦ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين ، لأبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني (ت ٤٧١) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ببيروت ، ط ١٤٠٣/١.
- ٤٧ ـ التدمرية ، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق محمد السعوى ، ط ١٤٠٥ .
- ٤٨ ـ التعريفات ، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ،
 ١٩٨٥ .

- 29 ـ تفسير القرآن ، لعبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق د/ مصطفىٰ مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، ط ١٤١٠/١ .
- - تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن
 كثير القرشي الدمشقى ، دار إحياء الكتب العربية .
- المشهور بابن أبي حاتم ، تحقيق د/ أحمد العماري ، مكتبة الدار بالمدينة النبوية ، ط ١٤٠٨/١.
- ۲۰ تلبيس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ۱٤٠٣/۱.
- ٥٣ ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني ، تحقيق د/ شعبان إسماعيل ، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
- ٤٥ ـ التمهيد في أصول الفقه ، لأبي الخطاب الكلوذاني ، دراسة وتحقيق مفيد أبو عمشة ، جامعة أم القرى ، ط ١٤٠٦/١.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخرين ، مؤسسة قرطبة .
- ٥٦ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ، قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٣٦٨.
- ٥٧ تهذیب الکمال في أسماء الرجال ، لجمال الدین أبي الحجاج یوسف بن عبد الرحمن المزي ، تحقیق: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ببیروت ، ط ٢/ ١٤٠٣.

- ٥٨ ـ تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، حققه وقدم له عبد السلام هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر .
- ۹۰ جامع البیان عن تأویل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جریر الطبری ، دار الفكر ۱٤۰٥.
- ٦٠ ـ الجامع الصحيح ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ،
 المكتبة الإسلامية بإستانبول ١٩٨١ .
- 71 الجامع الصحيح ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
- ٦٢ ـ الجامع الصحيح ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ،
 تحقيق أحمد شاكر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ،
 ط ٢/ ١٣٩٨ .
- ٦٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي .
- 75 _ الجامع لشعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط1/ ١٤١٠.
 - ٦٥ _ جاهلية القرن العشرين ، لمحمد قطب ، دار الشروق ١٤٠٩ .
- 77 جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، لأبي زيد القرشي ، حققه وضبطه وزاد في شرحه على البجاوي.
- 77 جمهرة الأمثال ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د/ أحمد عبد السلام ، وخرج أحاديثه أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤٠٨ .

- ٦٨ جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ،
 ط ١٤٠٣/١.
- 79 ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق علي بن حسن بن ناصر وزملائه ، دار الوطن ، ط ١٤١٤/١.
- ٧٠ الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، لمحمد الألوسي ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، دار الجيل ببيروت ، ط ١ .
- ٧١ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، دار الندوة الجديدة ، ط ٣/ ١٤٠٠.
- ٧٢ حجة الله البالغة ، لأحمد شاه ولي الله الدهلوي ، دار الكتاب الإسلامي .
- ٧٣ ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د/ محمد الخطيب ، مكتبة الأقصى بعمان الأردن ، ط ٢/ ١٤٠٦.
- ٧٤ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتاب العربي ، ط ١٤٠٥/٤.
- ۷۵ ـ حیاة الشیخ محمد بن عبد الوهاب ، لحسین خزعل ، دار الکتب بیروت ، ط ۱۹۶۸/۱.
- ٧٦ الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام
 هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبى وأولاده بمصرط ٢ .
- ٧٧ خبيئة الأكوان في معرفة المذاهب والأديان ، لصديق حسن خان ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤٠٥/١.

- ٧٨ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي ، دار صادر.
- ٧٩ ـ داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب ، لعبد العزيز سيد الأهل ، دار
 العلم للملايين ، ط ١/١٩٧٤ .
- ٨٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لأبي بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، دار الفكر ببيروت .
- ٨١ ـ درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١٣٩٩/١.
- ۸۲ ـ دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقص ، لعبد العزيز العبد اللطيف ، مكتبة طيبة بالرياض ، ط ١ .
- ٨٣ ـ دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤٠٥/١.
- ٨٤ ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، لعبد الله الجبوري ، المكتب الإسلامي ببيروت ، ط ١٤٠٤ .
- ٥٨- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ببيروت.
 - ٨٦ ـ ديوان أبي العتاهية ، دار صادر ببيروت.
- ۸۷ ديوان الأخرس ، لعبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب الموصلي البغدادي البصري ، حققه وعلق عليه وليد الأعظمي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ط ١٤٠٦/١.

- ٨٨ ـ ديوان الإمام الشافعي ، جمع محمد عفيف الزعبي ، مؤسسة الزعبي بيروت ، ط ٣/ ١٣٩٢.
- ۸۹ ـ ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، دار
 الكتاب العربي ، ط ٦/ ١٤٢٠.
 - ٩ ديوان السموءل بن عاديا ، المكتبة الشعبية .
 - ٩١ ـ ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر ببيروت.
- ۹۲ ـ ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق وشرح أنطوان محسن القوال ،
 دار الكتاب العربي ، ط ۲/ ۱٤۱٥.
- **٩٣ ـ ديوان طرفة بن العبد** ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤٠٧/١.
- ٩٤ ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وحققه وشرحه د/ إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط ١٤١١/١.
- ٩٥ ـ ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين ،
 لسعد اليافعي ، تحقيق د/ موسى الدويش ، دار البخاري بالمدينة النبوية ، ط ١٤١٠/١.
- 97 ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق د/ سليمان النعيمي.
- **٩٧ ـ الرد على الجهمية** ، لعثمان بن سعيد الدارمي ، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه: بدر البدر ، الدار السلفية بالكويت ، ط ١٤٠٥/١.
- ٩٨ ـ الرد على الرافضة ، لأبي حامد محمد المقدسي ، تحقيق
 عبد الوهاب خليل الرحمن ، الدار السلفية بالهند ، ط ١٤٠٣/١.
- 99 الرد على المنطقيين ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، إدارة ترجمان السنة بباكستان ، ط ١٣٩٦/٢.

- ١٠٠ ـ رسائل العدل والتوحيد ، للحسن البصري ، والقاضي عبد الجبار ، والقاسم الرسي ، والشريف المرتضى ، ويحيى بن الحسين ، تحقيق د/ محمد عمارة ، دار الشروق ، ١٤٠٧ .
 - ١٠١ ـ روح التشيع ، لعبد الله نعمة ، دار البلاغة ببيروت ، ١٤١٣.
- ۱۰۲ _ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي القاسم السهيلي ، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبد الروؤف سعد ، دار الفكر بيروت.
- ١٠٣ ـ روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي
 الإسلام، للشيخ حسين بن غنام، حرره وحققه ناصر الدين الأسد،
 وقابله على أصله الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ط ١٤٠٣/٣.
- ۱۰٤ ـ روضة الناظر وجنة المناظر في علم أصول الفقه ، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي ، راجعة سيف الدين الكاتب ، دار الكتاب العربي ، ط ١٤٠١/١.
- ۱۰۵ ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ، للشيخ محمد بن عثمان القاضى ، مطبعة الحلبي ، ط ۳/ ۱٤۱۰.
- ١٠٦ ـ زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الإسلامي.
- ۱۰۷ ـ سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ۱٤٠٨/١.
- ١٠٨ ـ السنة ، لابن أبي عاصم ، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة ،
 للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ببيروت، ط ١/ ١٤٠٠.
- ۱۰۹ ـ السنة ، لمحمد بن نصر المروزي ، خرج أحاديثه وعلق عليه سالم السلفى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ۱٤٠٨/١.

- ١١٠ ـ السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ، لمحمد رشيد رضا ، المنار ١٣٤٧ .
- 111 السنن ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وصاحبه ، دار الحديث ، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٨٨.
- ١١٢ ـ السنن ، لعلي بن عمر الدارقطني ، عني به عبد الله هاشم المدني ، دار المحاسن بالقاهرة.
- 11۳ ـ السنن ، لمحمد بن زيد الربعي ، أبي عبد الله ابن ماجه القزويني ، حقق نصوصه ، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمود فؤاد عبد الباقي.
 - ۱۱۶ ـ سنن الدارمي ، دار الفكر ببيروت.
- 110 ـ السن الصغرى (المجتبى) ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط ٢.
- 117 ـ السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الفكر ببيروت.
- ۱۱۷ ـ السنن الكبرى ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق د/ عبد الغفار بن سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤١١/١.
- 11۸ ـ سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، أشرف على تحقيقه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ٢/٢/٢ .
- ۱۱۹ ـ سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأمين سعيد ، دار الملك عبد العزيز بالرياض ، ١٣٩٥ .

- 17. _ السيرة النبوية ، لابن هشام ، حققها مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصرط ٢.
- ۱۲۱ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي .
- 17۲_ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق د/ أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
- ۱۲۳ ـ شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة بمصر ، ط ۱٤٠٨/٢.
- 178 ـ شرح السنة ، للحسين بن مسعود البغوي ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط ١٤٠٣/٢.
- ١٢٥ ـ شرح القصائد العشر ، للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ،
 ضبطه وصححه عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ببيروت ،
 ط ١/٥٠٨ .
- ۱۲٦ ـ شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ، لأبي جعفر النحاس ، دار الكتب العلمية ببيروت.
- ۱۲۷ ـ شرح المعلقات السبع ، للحسين بن أحمد الزوزني ، صححه وراجعه لجنة من الأدباء ، دار الكتب العلمية ببيروت ١٣٩٨ .
- ۱۲۸ ـ شرح المفضليات ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، المعروف بالخطيب التبريزي ، تحقيق علي البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة ١٩٧٧ .

- ۱۲۹ ـ شرح ديـوان الحمـاسـة ، لأبي زكريـا يحيـى بن علـي التبريـزي ،
 المعروف بالخطيب التبريزي ، عالم الكتب ببيروت.
- ۱۳۰ شرح ديوان المتنبي ، المنسوب لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، برلين.
 - ١٣١ شرح صحيح مسلم ، لأبي زكريا يحيى النووي ، دار الفكر .
- ۱۳۲ شرح مقامات الحريري ، للشريسي ، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوى ، دار الغرب الإسلامي .
- ١٣٣ ـ الشريعة ، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق محمد حامد الفقى ، أنصار السنة المحمدية .
- ١٣٤ ـ شعر علي بن جبلة ، جمعه وحققه د/ حسين عطوان ، دار المعارف بالقاهرة ط ٣.
- ۱۳۵ الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر.
- ١٣٦ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ببيروت.
 - ١٣٧ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأحمد بن حجر آل بوطامي.
- ۱۳۸ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ، د/ عبد الله العثيمين ، دار العلوم بالرياض .
 - ١٣٩ الشيعة والتصحيح ، د/ موسى الموسى ، ١٤٠٨ .
- ۱٤٠ ـ صب العذاب على من سب الأصحاب ، محمود شكري الألوسي ، تحقيق عبد الله البخاري ، ط ١٤١٧/١.

- 181 _ الصحاح ، لإسماعيل الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢/ دار العلم للملايين ببيروت .
- 187 _ الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة ، دار المنار للطباعة والنشر ، ط ١٤٠١/١.
- 18٣ _ الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المكي ، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١/ ١٤٠٤. طبعة أخرى ، قدم لها وأشرف على طبعها على المدنى ، مكتبة المدنى ومطبعتها.
- 184 _ الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري البصري ، دار صادر ببيروت.
- 180 ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لعبد الرحمن بن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ .
- 187 العدة في أصول الفقه ، لأبي يعلى الفراء الحنبلي ، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د/ أحمد بن علي سير مباركي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ١٤٠٠/١.
- ١٤٧ ـ عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر ، لإبراهيم بن عيسى ، دار اليمامة بالرياض.
- ۱٤۸ ـ العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠٣.
- 189 _ عقيدة الدروز عرض ونقض ، لأحمد بن محمد الخطيب ، عالم الكتب ، ط ٣/ ١٤٠٩.

- ١٥٠ ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي عثمان الصابوني ، تحقيق بدر البدر ، الدار السلفية بالكويت ، ط ١٤٠٤/١.
- ۱۰۱ عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، د/ صالح العبود ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط ٣/ ١٤١٧.
- ۱۰۲ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية بباكستان ، ط ۱۲/۱/۲.
- 107 _ العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق محفوظ الرحمن السلفي ، دار طيبة بالرياض ، ط ١٤٠٥/١.
- 10٤ ـ علماء نجد خلال ستة قرون ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، مكتبة النهضة الحديث بمكة المكرمة ، ط ١٣٩٨/١.
- ١٥٥ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ١٥٦ عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وضبطه وعلق عليه د/يوسف طويل ، دار الكتب العلمية ببيروت.
- ۱۵۷ ـ الغنية لطالبي طريق الحق ، لعبد القادر الجيلاني ، مصطفى البابي الحلبي ، ط ۲/ ۱۳۷٥ .
- ۱۰۸ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد ، الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ۸۵۲) ، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، قام بإخراجه وتحقيقه محب الدين الخطيب ، رقمه محمود فؤاد عبد الباقى ، المكتبة السلفية ، ط ۱۲۰۷/۳.

- 109 _ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط ٢/ ١٤١١.
- 17. _ فرق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي ، دار الأضواء ، ط ٢/٤٠٤.
- 171 _ الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ببيروت.
- 177 _ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي، تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر وصاحبه، دار الجيل ببيروت.
- 177 _ فهرس الفهارس والأثبات ، عبد الحي الكتاني ، اعتناء د/ إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١٤٠٢/٢ .
- ١٦٤ ـ الفهرست ، لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق ،
 المعروف بابن النديم ، تحقيق رضا تجدد ، دار المسيرة ط ٣/ ١٩٨٨ .
- 170 _ في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام ، د/ محمد إبراهيم فيومي ، عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٩ .
- 177 _ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لزين الدين عبد الرؤوف بن علي المناوي ، دار المعرفة ببيروت.
- 17۷ _ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق د/ السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط ١٤٠٥/١.
- 17۸ _ القول في علم النجوم ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ، درسه وحققه د/ يوسف بن محمد السعيد ، دار أطلس للنشر والتوزيع بالرياض ، ط ١/ ١٤٢٠.

- 179 الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ببيروت.
- 1۷۰ ـ الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، دار الكتاب العربي ، ط ١٤٠٣/٤.
- 1۷۱ ـ الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي ، كتب هوامشه: نعيم زرزور ، تغاريد بيضون ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤٠٧/١.
- ۱۷۲ الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ، قرأها ودققها على المخطوطات يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، ط ٣/ ١٤٠٩.
- 1۷۳ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ببيروت.
 - ١٧٤ ـ لسان العرب ، لجمال الدين بن منظور ، دار صادر .
- 1۷٥ ـ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، لمؤلف مجهول ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز بالرياض.
- 1۷٦ المبسوط في القراءات العشر ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت ، ط ١٤٠٨/٢.

- ۱۷۷ ـ مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى ، عارضه بأصواله وعلق عليه: د/محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط٢/ ١٤٠١.
- 1۷۸ _ مجمع الأمثال ، لأبي الفضل محمد بن أحمد الميداني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الحلبي.
- ۱۷۹ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الكتاب العربي ، ط ۱٤٠٣/٣.
- ١٨٠ _ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن القاسم وابنه محمد ، شؤون الحرمين.
- 1/۱ _ مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- 1۸۲ ـ المحاضرات في الآداب واللغة ، للحسن اليوسي ، تحقيق وشرح محمد حجى وأحمد الشرقاوي ، دار الغرب الإسلامي ببيروت .
- ۱۸۳ _ المحصول في علم الأصول ، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دراسة وتحقيق طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢/ ١٤١٢ .
- 1٨٤ _ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لعلي بن إسماعيل بن سيده ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار الكتاب الإسلامي بمصر .
 - ١٨٥ _ محمد بن عبد الوهاب ، لأحمد عبد الغفور عطار ، ط ١ .
- 1٨٦ _ مختصر التحفة الاثني عشرية ، لمحمود شكري الألوسي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية بمصر.
- ۱۸۷ ـ مختصر العلو، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد التركماني المعروف بالذهبي، اختصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ببيروت، ط ١٤٠١/١.

- ١٨٨ المختصر في أخبار البشر ، لعماد الدين إسماعيل أبي الفدا ، مكتبة المتنبى بالقاهرة.
- ۱۸۹ ـ المسائل التي خالف فيها رسول الله على أهل الجاهلية ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حققه ودرسه وشرحه: يوسف بن محمد السعيد ، دار المؤيد للنشر والتوزيع بالرياض ، ط ١٤١٥/١.
- ۱۹۰ ـ المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع النيسابوري ، دار الكتاب العربي .
- ۱۹۱ ـ المستقصى في أمثال العرب ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمى ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ۲/ ۱٤٠٨.
- ۱۹۲ المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر ، لمحمود شكري الألوسي ، تحقيق د/ عبد الله الجبوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ۱٤٠٢.
- 19۳ المسند ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، المكتب الإسلامي ، ط ٥/ ١٤٠٥ .
- 198 المسند ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث بدمشق وبيروت ، ط١/١٤٠١.
- 190 مسند الطيالسي ، لأبي داود سليمان بن الجارود الفارسي البصري ، دار المعرفة ببيروت.
- 197 _ مشاهير علماء نجد وغيرهم ، عبد الرحمن آل الشيخ ، دار اليمامة بالرياض ، ط ١/١٣٩٢.
- 19۷ ـ مشكاة المصابيح ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، المعروف بالخطيب التبريزي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ،

- المكتب الإسلامي ببيروت ، ط ٣/ ١٤٠٥.
- 191 _ مصطلحات إسلامية ، لمحيي الدين القضماني ، المكتب الإسلامي ببيروت ، ط ١٤١٠/١.
- 199 _ المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق وتخريج وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط ١٤٠٣/٢.
- ٢٠٠ ـ المصنف في الأحاديث والآثار ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، حققه وصححه عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية.
- ٢٠١ ـ معالم التنزيل = تفسير البغوي ، للحسين بن مسعود البغوي ، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، دار المعرفة ببيروت ،
 ط ١٤٠٦/١ .
- ۲۰۲ ـ معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، ط ۲۰۱/ ۱٤۰۱.
- ۲۰۳ ـ معاني القرآن وإعرابه ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط ١٤٠٨/١.
- ٢٠٤ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي ، حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ببيروت ، ١٣٦٧.
- ٢٠٥ _ معجم الأدباء ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٠٦ ـ المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن الحسيني ، دار الحرمين بالقاهرة ، ط ١٤١٥/١.

- ۲۰۷ ن معجم البلدان ، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
- ۲۰۸ ـ المعجم الصغير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ط ٢ .
 - ٢٠٩ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وضع مجمع اللغة بالقاهرة .
- ٢١٠ ـ المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفى ، ط ٢.
- ٢١١ ـ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي،
 حققه وضبطه: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ .
- ۲۱۲ ـ المعلم بفوائد مسلم ، لأبي عبد الله المازري ، تحقيق وتعليق محمد الشاذلي النيفر ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ، ط ۲/۲ م.
- ۲۱۳ ـ المغني في أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، حققه جماعة من الباحثين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
- ٢١٤ المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ببيروت.
- ٢١٥ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة.
- ٢١٦ ـ الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة.
- ٢١٧ ـ الملل والنحل ، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ، تحقيق ألبير نصر ، دار المشرق.

- ۲۱۸ ـ المنمق في أخبار قريش ، لابن حبيب البغدادي ، صححه وعلق
 عليه خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، ط ۱/ ۱٤٠٥ .
- 719 منهاج السنة النبوية ، لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١٤٠٦/١.
- ٢٢ ـ الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه .
- ۲۲۱ ـ النسب ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق ودراسة مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر ، ط ۱٤۱۰/۱ .
- ۲۲۲ ـ نقائض جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وضع حواشيه خليل منصور ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١٤١٩ .
- ۲۲۳ ـ النكت والعيون = تفسير الماوردي ، لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ودار الكتب العلمية ، ط ١٤١٢/١.
- ٢٢٤ نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنويري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- ٢٢٥ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، لأحمد بن علي القلقشندي ،
 دار الكتب العلمية ببيروت .
- ۲۲٦ النهاية في غريب الحديث ، لأبي السعادات المبارك بن محمد مجد الدين بن الأثير ، تحقيق طاهر محمد الزاوي ود/محمود الطناحي ، المكتبة العلمية.

۲۲۷ ـ الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، اعتناء
 هلومت ريتر ، ستوتغارت ١٤١١ .

٢٢٨ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، لعلي بن عبد الحزيز الجرجاني ،
 تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
o	مقدمة الطبعة
V	مقدمة التحقيق
ملان:	القسم الأول: الدراسة: وفيها فه
ك	الفصل الأول: وفيه خمسة مباح
الأصل ١٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	المبحث الأول: ترجمة مؤلف
رح	المبحث الثاني: ترجمة الشار
ح ۳۳	المبحث الثالث: منهج الشري
اب	المبحث الرابع: طبعات الكة
نسخة الخطية ٢٧	المبحث الخامس: وصف ال
فيه أربعة مباحث ٢٩	الفصل الثاني: في الجاهلية ، و
اهلیة	المبحث الأول: تعريف الج
لمية ٣٥	المبحث الثاني: أنواع الجاه
فة أهل الجاهلية ٢٩	المبحث الثالث: حكم مخال
لموطة	المبحث الرابع: صور المخه
٤٩	القسم الثاني: الكتاب محققاً.
01	مقدمة الشارح

مقدمة مؤلف الأصل ٣٥
المسألة الأولى: التعبد بإشراك الصالحين ٥٥
الثانية: التفرق
الثالثة: مخالفة ولي الأمر ١٩٥
الرابعة: التقليد
الخامسة: الاقتداء بفسقة العلماء والعباد ٢٢
السادسة: الاحتجاج بالمتقدمين ١٣
السابعة: الاحتجاج بالكثرة ٢٥
الثامنة: الاستدلال على بطلان الشيء بغرابته ٢٧
التاسعة: الاحتجاج بذوي القوة والفهم والمال ٢٨
العاشرة: الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله٧١
الحادية عشرة: الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ الضعفاء به ٧٣
الثانية عشرة: رمي من اتبع الحق بعدم الإخلاص ٢٦
الثالثة عشرة: التكبر والأنفة عن قبول الحق بسبب سبق الضعفاء ٧٧
الرابعة عشرة: الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم أولى لو كان حقاً ٧٨
الخامسة عشرة: الخطأ في فهم القياس٧٩
السادسة عشرة: الغلو في العلماء والصالحين ٨٣
السابعة عشرة: الاعتذار بعدم الفهم٥٨
الثامنة عشرة: التعصب للمذهب
التاسعة عشرة: الاعتياض عن كتاب الله بكتب السحر ٩٠
المسألة الموفية للعشرين: التناقض في الانتساب ٢٠٠٠٠٠٠٠
الحادية والعشرون: تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه ٩٣
الثانية والعشرون: تحريف العلماء كتب الدين

الثالثة والعشرون: انحرافهم في الولاء والبراء
الرابعة والعشرون: عدم قبولهم الحق الذي مع غيرهم
الخامسة والعشرون: ادعاء كل طائفة أنها الناجية ٩٧
السادسة والعشرون: إنكار ما أقروا أنه من دينهم ٩٩
السابعة والعشرون: التعبد بكشف العورات
الثامنة والعشرون: التعبد بتحريم الحلال
التاسعة والعشرون: الإلحاد في أسماء الله وصفاته ١٠٧
المسألة الموفية للثلاثين: نسبة النقائص إلى الله١١١
الحادية والثلاثون: تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق ١١٧
الثانية والثلاثون: القول بالتعطيل ١١٩
الثالثة والثلاثون: الشركة في الملك
الرابعة والثلاثون: إنكار النبوات
الخامسة والثلاثون: الضلال في القدر ١٢٥
السادسة والثلاثون: مسبة الدهر١٣٣
السابعة والثلاثون: إضافة نعم الله إلى غيره١٣٧
الثامنة والثلاثون: الكفر بآيات الله
التاسعة والثلاثون: اشتراء كتب الباطل واختيارها على الآيات ١٤٢
المسألة الموفية للأربعين: القدح في حكمة الله١٤٤
الحادية والأربعون: الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم ١٤٩
الثانية والأربعون: الغلو في الأنبياء والرسل ١٥١
الثالثة والأربعون: الجدال بغير علم١٥٢
الرابعة والأربعون: الكلام في الدين بلا علم١٥٣
الخامسة والأربعون: الكفر باليوم الآخر ١٥٥

السادسة والأربعون: التكذيب بقوله _ تعالى _ ﴿ مُـٰ لِكِ يُومِ الدِّينِ ﴾ ١٥٦
السابعة والأربعون: التكذيب بقوله تعالى: ﴿ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَعَةً ﴾
الثامنة والأربعون: التكذيب بما جاء في القرآن من شروط الشفاعة ١٥٨
التاسعة والأربعون: قتل أولياء الله والذّين يأمرون بالقسط من الناس. ١٥٩
المسألة الموفية للخمسين: الإيمان بالجبت والطاغوت ١٧٢
الحادية والخمسون: لبس الحق بالباطل١٧٤
الثانية والخمسون: التعصب للمذهب١٧٦
الثالثة والخمسون: تسمية اتباع الإسلام شركاً ١٧٧
الرابعة والخمسون: تحريف الكلم عن مواضعه ١٧٨
الخامسة والخمسون: تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية ١٨٠
السادسة والخمسون: افتراء الكذب على الله ١٨٩
السابعة والخمسون: رمي المؤمنين بطلب العلو في الأرض ١٩٠
الثامنة والخمسون: رمي المؤمنين بالفساد في الأرض١٩٢
التاسعة والخمسون: رمي المؤمنين بتبديل الدين ١٩٣
المسألة الموفية للستين: الفزع إلى القوة حين يُغْلَبون بالحجة ١٩٤
الحادية والستون: تنقضهم لما تركوا الحق
الثانية والستون: دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ٢٠٠
الثالثة والستون: الزيادة في العبادة
الرابعة والستون: النقص من العبادة
الخامسة والستون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق ٢٠٣
السادسة والستون: تعبدهم بالمكاء والتصدية ٢٠٥
السابعة والستون: النفاق

الثامنة والستون: الدعوة إلى الضلال بغير علم٠٠٠ ٢٠٨
التاسعة والستون: الدعوة إلى الكفر مع العلم ٢٠٩
المسألة الموفية للسبعين: المكر الكبار ٢١٠
الحادية والسبعون: حال أئمتهم ٢١١
الثانية والسبعون: زعمهم الاختصاص بولاية الله ٢١٣
الثالثة والسبعون: الكذب في دعوى محبة الله ٢١٦
الرابعة والسبعون: التمني على الله الأماني الكاذبة ٢١٨
الخامسة والسبعون: اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ٢٢١
السادسة والسبعون: اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ٢٢٤
السابعة والسبعون: اتخاذ السرج على القبور
الثامنة والسبعون: اتخاذ القبور أعياداً ٢٣٠
التاسعة والسبعون: الذبح عند القبور ٢٢٢
الثمانون: التبرك بآثار المعظمين
الحادية والثمانون: الفخر بالأحساب ٢٣٧
الثانية والثمانون: الاستسقاء بالأنواء
الثالثة والثمانون: الطعن في الأنساب ٢٣٧
الرابعة والثمانون: النياحة ٢٣٧
الخامسة والثمانون: تعيير الرجل بفعل غيره ٢٤٠
السادسة والثمانون: الافتخار بولاية البيت ٢٤٢
السابعة والثمانون: الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء عليهم السلام. ٢٤٥
الثامنة والثمانون: الافتخار بالصنائع ٢٤٨
التاسعة والثمانون: عظمة الدنيا في قلوبهم ٢٤٩
التسعون: ازدراء الفقراء

الحادية والتسعون: عدم الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم
الآخر
الثانية والتسعون: الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل دين المشركين
على دين المسلمين
الثالثة والتسعون: كتمان الحق مع العلم به ٢٦١
الرابعة والتسعون: القول على الله بلا علم٢٦٢
الخامسة والتسعون: التناقض الواضح٢٦٣
السادسة والتسعون: العيافة
السابعة والتسعون: الطرق
الثامنة والتسعون: الطيرة
التاسعة والتسعون: الكهانة
المئة: التحاكم إلى الطاغوت
الفهارس ۱۳۷۰ الفهارس الفهارس الفهارس الفهارس الفهارس المتعلق الم
فهرس الآيات
فهرس الأحاديث والآثار
فهرس الأعلام
فهرس الأبيات ٢٨٧
فهرس الأمم والقبائل والأحلاف والأديان والفرق والمذاهب ٢٩٠
فهرس الكتب الواردة في الكتاب
فهرس المراجع
فهرس الموضوعات